المعتقدات الآراميه

تأليف

خزعل الماجدي



2000

المعتقدات الآراميه

الإهداء

إلى

روح أبي الطاهرة

صاعدة إلى عليين

مقدمة

يشوب تأريخ وتراث الآراميين ضباب كثير ، ولا يجد الباحث الاّ النزر اليسير من الآثار والكتابات واللقى التي تتحدث عن هذا التراث ، قياساً الى الاقوام المجاورة التي سبقتهم أو زامنت وجودهم . ولعل ذلك متأت من سببين متداخلين :-

أولهما عدم ظهور ممالك آرامية واسعة وقوية ومستقرة لفترة طويلة من الزمن ، وثانيهما الضغط الآشوري المتكرر على مدنهم وممالكهم وتدميرها بشكل مستمر . فقد كان ظهور الآشوريين وبزوغ قوتهم متزامناً مع بزوغ المدن والممالك الآرامية التي كانت اغلبها متاخمة للآشوريين ، أو على مرمى اندفاع وهيجان الجيوش الآشورية الكاسحة ، مما تسبب في ضياع واندثار أغلب آثارهم ومدوناتهم .

غيّر ظهور الآراميين تأريخ الشرق الأدنى القديم ، بل وتأريخ العالم القديم بأكمله . وإذا كانت البحوث والدراسات الخاصة بالآراميين وتاريخهم وعقائدهم ما زالت قليلة ولا تتناسب مع حضورهم في التأريخ ، فإن المستقبل سيكشف عن الحجم الحقيقي لحضارتهم وعقيدتهم ولغتهم وتاريخهم بشكل عام .

استغرق تأريخ الآراميين الحضاري ما يقرب من ثلاثة آلاف سنة ، كان الألف الأول منذ حوالي (2500-1500) ق . م ، وهو عصر تشكل القبائل والبيوت الآرامية الأولى وظهور عناصر الحضارة الآرامية في وادي الرافدين بشكل خاص ، والذي نرى أنه كان مهد حضارتهم الأولى .

أما الألف الثاني منذ حوالي (1500-500) ق . م ، فقد كان عصر انتشارهم نحو بلاد الشام وجنوب العراق وشمال الجزيرة العربية ، وعصر كفاحهم السياسي المتواصل مع الآشوريين بشكل خاص والحيثيين والعبريين لاحقاً ، وهو عصر بطولي ظهرت فيه ممالك ومدن وإمارات الحضارة الآرامية على امتداد قوس يمتد من عيلام شرقاً حتى شمال آشور ثم باتجاه بلاد الشام نزولاً الى جنوبها ، وتشغل وسط هذا القوس قوى وممالك الآراميين على

امتداد نهر الفرات بشكل خاص . وكان الألف الثالث منذ حوالي (500 ق .م - 500م) عصراً حضارياً لا سياسياً ، فقد بدأت مظاهر الحضارة الآرامية (اللغة ، الدين ، الكتابة ، الفنون . . .الخ) تظهر وتختلط مع غيرها من مظاهر الحضارات المحلية أو الوافدة ، ولا عجب أن تكون اللغة الآرامية طيلة هذا الألف الأخير هي لغة الكتابة والتفاهم على امتداد الجهات الأربع للشرق الأدنى ، من فارس الى مصر ومن آسيا الصغرى الى اليمن .

في كتابنا هذا تناولنا في **الفصل الأول** بخلاصة شديدة ما تيسر من تأريخ الآراميين في وادي الرافدين وسوريا ، وتتبعنا انتشار مدنهم وممالكهم التي تبدو واسعة رغم قلّة معلوماتنا الآثارية عنها .

أما في **الفصل الثاني** فقد تناولنا المثيولوجيا الآرامية حيث قمنا بدراسة الآلهة والرموز والأساطير الآرامية ، وقد توقفنا طويلاً عند الآلهة الآرامية ، ووضعنا شجرة أنساب محتملة لهذه الآلهة ، وطرحنا فرضية جديدة حول أصل الآلهة الآرامية الأولى واحتمال وجود اسطورة خليقة خاصة بهم . . ثم تتبعنا تطور ظهور إلههم القومي (حدد) ، وميزاته وعلاقته بآلهة الطقس المجاورة له ، وأثر الآلهة البابلية والكنعانية على هذه الشجرة ودخولها تحت مسميات عديدة ، وواصلنا ذلك في البحث عن اختلاط الآلهة اليونانية والرومانية بها في العصر الهيلنسيتي وما بعده .

وقد ركزنا اهتماماً خاصاً بالكائنات الخرافية الآرامية كالعفاريت والجن والملائكة والشياطين التي كانت شائعة في عقيدتهم ، ثم تحدثنا عن الرموز العقائدية الآرامية .

وفي **الفصل الثالث** تحدثنا عن اللاهوت الآرامي ، وتطور العقائد الدينية الآرامية ومراحلها وعلاقتها بالغنوصية والزرادشتية ، وكذلك درسنا بعض عقائد الاسكاتولوجيا الآرامية (عقائد ما بعد الموت) .

وفي **الفصل الرابع** درسنا بعض مظاهر الطقوس والشعائر الآرامية الخاصة بالصلاة والقرابين والدعوات والتراتيل وتقديم التماثيل وطقوس الموت .

لقد حاولنا رسم الملامح العامة للمعتقدات الآرامية رغم اعتقادنا أن ما فاتنا كثير بسبب شحة المادة الآثارية ، وتوزع ما توفر منها في مراجع غير ميسرة . آملين سد هذه النقص حيث ما توفرت الفرصة لذلك .

نتقدم بالشكر الجزيل لجهود الباحثين والمؤلفين الذين سبقونا في دراسة حضارة الآراميين وتراثهم والذين مهدوا لنا الطريق لعرض مادتنا وبناء فرضياتنا .

وقبل الختام نود أن نشير ، بتواضع شديد ، الى الكشف العلمي الذي وضعناه في هذا الكتاب والذي يخص محاولة تحديد ومعرفة الآلهة الآرامية القديمة جداً ، والتي سبقت ظهور الآله (حدد) وكانت أصل الخليقة الآرامية ، فقد وضعنا وفقاً لاجتهاد علمي يستند إلى حقائق موضوعية ، فرضية جديدة حول ذلك . آملين أن تثبت الكشوفات الآثارية مستقبلاً صحة ما ذهبنا اليه . . . حيث تعرفنا على اسم الإلهة الآرامية الأم (أم) ونسلها البدائي .

ولا يفوتني هنا أن أنوه إلى الجهد الكبير الذي بذله زميلي الاستاذ الفنان فاروق كاظم حيث اتحف هذا الكتاب بتخطيطاته ورسوماته التي جسدت شواهد ورموز التراث الروحي الآرامي ، فله مني جزيل الشكر والعرفان .

ومن الله التوفيق

خزعل الماجدي

(دكتوراه تاريخ قديم/التراث الفكري والعلمي)

درنة / ليبيا

1998/10/28

الفصل الأول

مقدمة تاريخية

(دراسة في التأريخ السياسي والثقافي للآراميين)



حزائيل : ملك مملكة آرام دمشق

«أما حزائيل ، ملك دمشق ، فأنه في هذه المعركة اعتمد على قوته الضاربة ، التي دفع بها نحو المعركة بأعداد ضخمة ، وتمركز في معقل محصن على قمة جبل الصنير في سلسلة لبنان الشرقية» .
شلما نصر الثالث
831 ق م

«يا حزائيل . . . علمت ما ستفعله ببني إسرائيل من الشر ، فأنك تطلق النار في حصونهم وتقتل شبّانهم بالسيف وتحطم أطفالهم وتشق حواملهم» .
سفر الملوك الثاني
الاصحاح الثامن : 12

يصعب وضع تسلسل تأريخي منسق للأراميين بسبب غموض بداية تأريخهم ، وتداخل ممالكهم القريبة والبعيدة عن بعضها في آن واحد .

وقد آثرنا أن نعرض هذا التأريخ على مراحل ، تبدأ من ظهور الآراميين البعيد زمنياً ثم تتبع عصر قبائلهم المستقرة ما بين القرون (15-11) ق .م ، وعند وصولنا الى الممالك الآرامية حرصنا على تقسيم عصرها جغرافياً الى : الممالك التي ظهرت في وادي الرافدين ، والممالك التي ظهرت في سوريا القديمة ، وتتبع كل منهما على حدة .

ثم أفردنا لعصر اللغة الآرامية مناقشة مستفيضة ، لأهمية هذا العصر الثقافية والروحية .

1- ظهور الآراميين

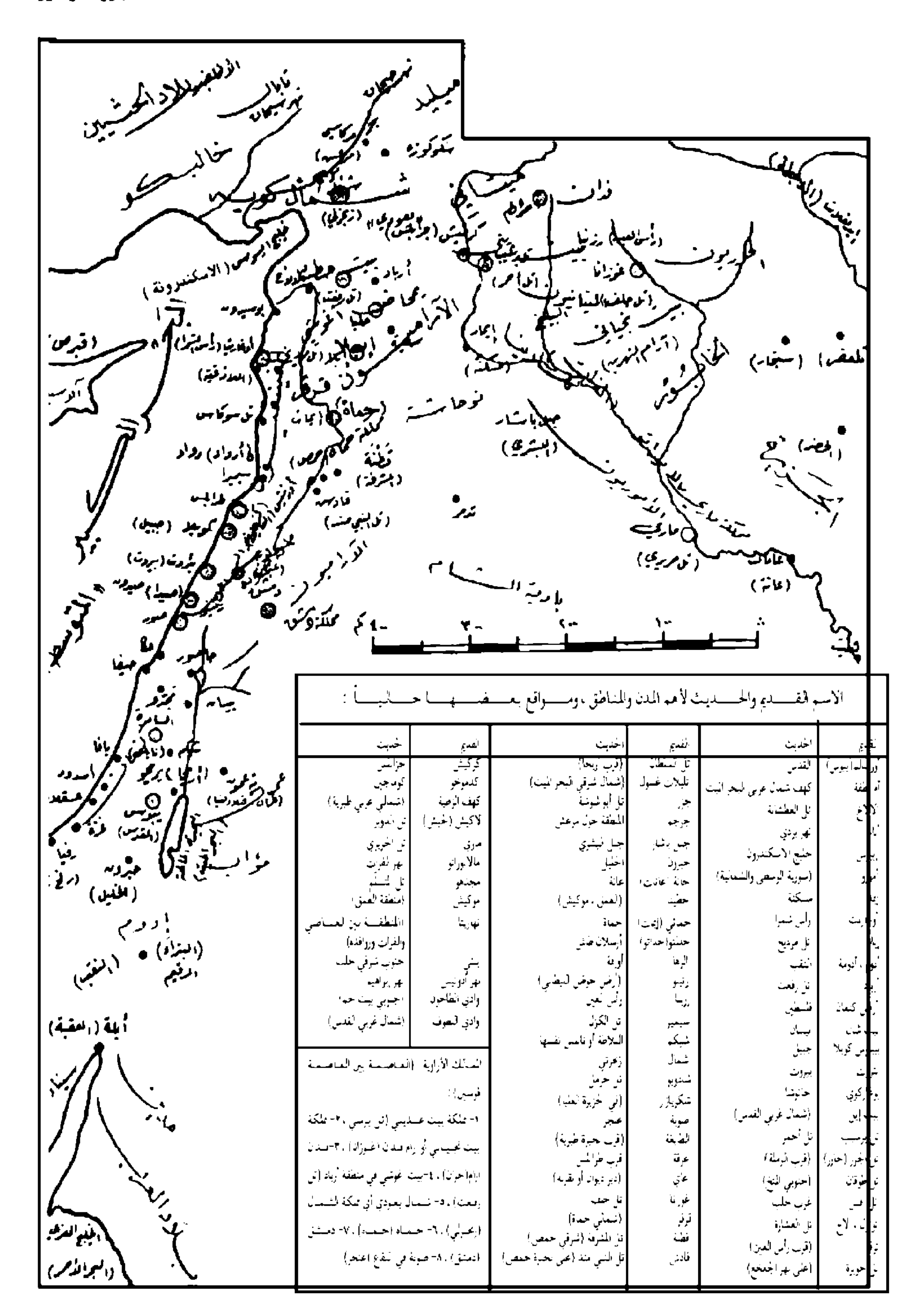
لا أحد يستطيع على وجه الدقة ، أن يؤكد لنا أصل الآراميين ومن أين جاءوا؟ وذلك بسبب الغموض الشديد الذي يحيط بداية ظهورهم في التأريخ الوثائق القديمة التي حصلنا عليها .

ولا نريد أن ننساق هنا إلى تلك الآراء الجاهزة التي تقرر بأن أصلهم وأصل الساميين جميعاً من شبه جزيرة العرب . وهي النظرية الأكثر شهرة في تناول أصل الساميين ، والآراميين الذين هم فرع سامي . أو ننساق وراء تلك النظرية التي تقول بالأصل الأرميني للساميين ، ثم تؤكد ذلك من خلال الآراميين حيث تربط بين اسمهم واسم أرمينيا . . .

ونقدنا للنظرية الأولى هو نقد عام لها ، وهي تجمع كل الهجرات السامية من الجزيرة العربية الصحراوية التي لا مكان لتفصيلها هنا . أما نقدنا للنظرية الثانية ، فينصب في الاتجاه المعاكس لها ، فقد تكون أرمينيا اسم آرامي لاحق لظهور الآراميين ، وربما كانوا قد هاجروا اليها هي أيضاً في فترة ما ، وسميت باسمهم وهو الأقرب الى الحقيقة والصواب .

لكننا بلا شك لا نمتلك بديلاً نظرياً لأصل الآراميين ، ولا نجازف باقتراحه هنا حتى يظهر المزيد من الوثائق القديمة والحفريات الأثرية .

تتوفر أمامنا مجموعة من الحقائق التي تشير الى أن الآراميين استوطنوا شمال وادي الرافدين في وقت مبكر ، قد يصل إلى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد . وإذا كان الآشوريون قد استقروا في شمال العراق ، والأكديون في جنوب العراق قبل ذلك بحوالي ألف سنة ، فإن الآراميين ظهورا على شكل قبائل رحُل أو مستقرة ، في الوقت الذي اعتلى فيه سرجون الأكدي عرشه وحكم بلاد وادي الرافدين ، ثم كوّن امبراطوريته المعروفة التي امتدت من شرق البحر الأبيض المتوسط حتى سواحل الخليج العربي والمدن العيلامية والجزيرة ، وظهرت كما لو أن نهري دجلة والفرات بكامل طولهما وفروعهما مثل الشرايين المائية التي كانت تغذي هذه الامبراطورية .



الاسم القديم والحديث لأهم المدن والمناطق، ومواقع بعضها حالياً:

القديم	الحديث	القديم	الحديث	القديم	الحديث
[illegible] (يبوس)	القدس	تل السلطان	(قرب ريحا)	كركميش	جرابلس
[illegible]	كهف شمال غربي البحر الميت	تليلات غسول	(شمال شرقي البحر الميت)	كدموخو	كوماجين
[illegible]	تل العطشانة	جزر	تل أبو شوشة	كهف الزطية	(شمالي غربي طبرية)
[illegible]	نهر برثي	جرجم	المنطقة حول مرعش	لاكيش (لخيش)	تل الدوير
[illegible]	خليج الاسكندرون	جبل بشار	جبل البشري	ماري	تل الحريري
[illegible]	(سورية الوسطى والشمالية)	حبرون	الخليل	مالاتوراتو	نهر الفرات
[illegible]	سكنة	حانة (عانات)	عانة	مجدو	تل المتسلم
[illegible]	رأس شمرا	حضيت	(العمق، موكيش)	موكيش	(منطقة العمق)
[illegible]	تل مرديخ	حمثي (إمث)	حماة	نهرينا	المنطقة بين العاصي والفرات وروافده)
[illegible]	النقب	حسنوا (حدانو)	أرسلان طاش	يشي	جنوب شرقي حلب
[illegible]	تل رفعت	الرها	أورفة	نهر أدونيس	نهر إبراهيم
[illegible]	فلسطين	رتينو	(أرض حوض البيضي)	وادي الطاحون	(جنوبي بيت حبرا)
[illegible]	بيسان	ريبا	رأس نعي	وادي الصوف	(شمال غربي القدس)
[illegible]	جبيل	سميرو	تل الكزل		
[illegible]	بيروت	شيكم	البلاطة أو نابلس نفسها		
[illegible]	حانوتا	شمال	زنجرلي		
[illegible]	(شمال غربي القدس)	شنوبو	تل حرمل		
[illegible]	تل أحمر	شكريازر	(في خربة الهلب)		
[illegible] (حازور)	(قرب الرملة)	صوبة	عنجر		
[illegible]	(جنوبي النخ)	الضبعة	(قرب بحيرة طبرية)		
[illegible]	غرب حلب	عرقة	قرب طرابلس		
[illegible]	تل العشارة	عاي	(دير ديوان أو قربه)		
[illegible]	(قرب رأس العين)	غوزانا	تل حلف		
[illegible] حويرة	(على نهر الجغجغ)	قرقر	(شمالي حماة)		
		قطنة	تل المشرفة (شرقي حمص)		
		قادش	تل النبي مند (على بحيرة حمص)		

الممالك الآرامية (العاصمة بين القوسين): ١- مملكة بيت عديني (تل برسيب)، ٢- مملكة بيت بخياني أو رام (مدن غوزانا)، ٣- مدن (آرام حران)، ٤- بيت غوشي في منطقة أرباد (تل رفعت)، ٥- شمال بعودي أي مملكة الشمال (زنجرلي)، ٦- حماه (حماة)، ٧- دمشق (دمشق)، ٨- صوبة في البقاع (عنجر)

خريطة (1)

مواقع الأموريين / الكنعانيين/ الآراميين

وفي عهد إبنه نرام سين (2507-2452 ق . م) تتحدث وثيقة أكدية الأصل بأن هذا الملك قد انتصر على (شيخ آرام) الذي كان اسمه خرشامتكي وغيره ، وتصف وثيقة اخرى انتصاره على مدينتي (سميروم) و (آرامي) ، ويستدل من سياق الاحداث المذكورة في الوثيقة أن هاتين المدينتين تقعان في منطقة شرقي دجلة بين نهري الزاب الأسفل وديالى (انظر أبو عسّاف 11:1988) .

لقد ورد اسم (سميروم) و (سرمراته) و (سيمراء) بحدود الألف الأول قبل الميلاد ليشير الى منطقة سامراء (التي ثبت أن تسميتها ليست عربية عباسية ، بل هي أقدم من ذلك بكثير) . ومعروف أن سامراء كانت تتمتع بثقافة أو حضارة نيوليتية (حجرية حديثة) ما بين الألف السادس والخامس قبل الميلاد ، وهي تشكل من وجهة نظرنا المهد الأول للسومريين الذين نزحوا منها باتجاه نهري دجلة والفرات نحو جنوب العراق ليشكلوا حضارتهم هناك (انظر الماجدي 1998:34-37) .

ويبدو أن منطقة (آرامي) أو (آرام) لا تبعد عنها كثيراً ، ولأن معنى اللفظ يدل على المناطق المرتفعة قديماً ، لذا كانت قريبة من مناطق تلول أو جبال صغيرة شرق دجلة ، وهي لا تقع في أقاصي شمال وادي الرافدين أو سوريا .

وقياساً على هذه الحقائق ، وحقائق اخرى قادمة سنناقشها ، نرى أن الآراميين هم موجة ساميّة ثالثة (متأخرة زمنياً نسبياً) ولكنها تتوسط في موقعها ما بين الآشوريين شمال العراق والأكديين جنوب العراق ، وتشغل المنطقة الوسطى التي يمكن أن تمتد ما بين موقع مدينة بغداد وسامراء من ناحية نهر دجلة ، ثم غرباً باتجاه موقع حديثة الحالي من ناحية نهر الفرات . ومن هذه المنطقة انتشروا أولاً نحو جزيرة الفرات ثم غرب الفرات بسبب الضغط المتنامي عليهم من قبل الآشوريين .

ويرى الدكتور علي أبو عساف نقلاً عن شنايدر أن ظهور وثيقة الملك السومري الحديثة (شولجي) (2093-2046) ق . م مع الوثائق السابقة ، تّدل بأن مدينة (آرامي) تقع بالقرب من مدينة أشنونة على دجلة ، وقد أسسها الآراميون الذين هاجروا الى بلاد سومر وأكد تباعاً ، وهم أسلاف الآراميين الذين ظهور على مسرح السياسة بعد ذلك بنحو ألف عام (انظر أبو عساف 12:1988) و (Schneidar 1949: 109-110) .

في المرحلة اللاحقة ، أي بعد سقوط سومر وظهور العموريين في جنوب العراق بشكل خاص ، الذي بدأت الدول تحكم السيطرة عليه وتعتبره منطقة الحكم الأولى للانطلاق إلى كل الجهات حوله ، حيث فعل هذا السومريون ثم الأكديون ثم العموريون (في إين) ثم العيلاميون (في لارسة) .

أما القسم الشمالي من وادي الرافدين فقد تنازعت عليه بعد سقوط الدولة السومرية ، قوة اساسية ذات طابع مديني مبكر وهي الآشورية ، وقوتان قبليتان ذات طابع عشائري غير مستقر ، هما (الآراميون والأحلامو) .

ونرّجح أن تكون هناك علاقة لغوية بين (آرام وآحلام) ، لكننا لا نعرف على وجه الدقة العلاقة الاثنولوجية والاجتماعية والسياسية بينهما .

وهكذا نجد في مرحلة الظهور الآرامي هذه التي عيّنا مكانها فيما بين آشور وأكد باتجاه الفرات ، (أنها بدأت بأرام في الألف الثالث قبل الميلاد وانتهت بآرام وأحلام في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد . وقد هاجرت قبائل أحلام (أحلامو) باتجاه الفرات وعبرته واستقرت لزمن طويل في جبل البشري أو جبل باشار غرب الفرات . أما قبائل آرام فقد بدأت بالاستقرار في مناطق شرق وغرب الفرات الأعلى والأوسط ، وتسلقت الى أعالي وادي الرافدين ، وكانت في كل حركتها هذه تتحاشى الإصطدام بالآشوريين فهي تعيش على تخوم وجودهم المرتكز على دجلة قرب آشور وكالح ، كما أن القبائل الآرامية اتجهت شمال سوريا في هذه المرحلة .

2- عصر القبائل الآرامية المستقرة (القرون 15-11) ق. م

في النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد ، استقرت القبائل الآرامية رغم الملاحقات والضغوط الآشورية والحيثية والميتانية .

وأصبحت في الغالب كلمة (بيت) تطلق على بعض هذه القبائل المستقرة ، كما هي العادة عند قبائلنا العربية حتى يومنا هذا ، إذ نقول ان هذا بيت فلان ونعني به عشيرة محددة .

أما كلمة (دور) الآرامية فسنراها تتضح أكثر في عصر الممالك الآرامية ، لأنها تعبر عن عاصمة المملكة أو البيت الآرامي المعين الذي كّون له مملكة .

في هذه المرحلة تُظهر الوثائق سعة انتشار القبائل الآرامية المستقرة في الأعالي الغربية للفرات شمالاً وسط الفرات عند بابل جنوباً وباتجاه صحراء بادية الشام غرباً . ولكنها تظهر هنا في صيغة ثالوث قِبلي غامض هو (آرام - أحلام - سوت) الذي كان منتشراً من جبال بشري الى تدمر والى مدينة بابل والى مدينة عانة جنوباً ، أما شمالاً فيصل الى مدينة جرجميش وسهل سروج الى الشرق منها . وهو ما اخبرتنا به وثائق الملك الآشوري تجلات بلاصر الأول (1112-1074) ق . م .

ويبدو لنا أنه رغم الملاحقات القاسية التي عانت منها هذه القبائل لكنها كانت ترسّخ اطوار استقرارها مع مرور الزمن .

أما التمييز بين هذه الأسماء الثلاثة التي ترافقت تأريخياً ، فقد تضاربت حولها الآراء والاجتهادات ، ولكننا نودّ أن نعطي خلاصة رأينا فيها هنا .

آرام هي القبائل الرافدينية الملازمة لنهر الفرات والمنتشرة حوله من شمال العراق وسوريا حتى بابل .

أما أحلام (احلامو) فهي قبائل البادية أو الصحراء العراقية السورية وجبل البشري ، والتي تسربت مع الزمن باتجاه الشام . وتربطها علاقة أصل قديمة مع الآراميين ضعفت بمرور الزمن حين أصبحت لها شخصيتها الصحراوية الخاصة ، ثم اختفت من المسرح الآرامي المحتدم خلال القرون المتوالية ، لأنها هاجرت باتجاه بلاد ومدن الشام .

أما سوت (سوتو) فنرى أنها قبائل عمورية أو هي من بقايا القبائل العمورية المستوطنة غرب الفرات ، ولا علاقة لها بالآراميين . ويبدو انها حذت حذو قبائل (احلامو) فتوغلت في بلاد الشام وخصوصاً شرق نهر الأردن ، حيث كّونت هناك فيما بعد مملكتان هما شوتو العليا وشوتو السفلى . ولذلك وردت أخبارها في الحوليات الفرعونية (انظر خريطة رقم 1) .

وهكذا نرى أن نهاية هذه المرحلة اكتملت باستقرار القبائل الآرامية شرق وغرب ووسط الفرات وأعالي شمال سوريا .

وقد استقرت جماعة منهم فيما بعد في الأراضي التابعة لدولة أوغاريت ، فمارسوا الزراعة وامتلكوا الحقول . ففي عصر الملك الأوغاريتي (عمي ستامرو) الثاني (النصف الأول

من القرن الثالث عشر ق . م) ، ورد اسم العلم (ابن آرامي) وشبه جملة (حقول الآراميين) ، التي نرى فيها أن الآراميين لم يؤسسوا دولاً على سواحل بلاد الشام بل في داخلها ، وربما كانت حقولهم تلك في منطقة (قرقور) التي جرت فيها بعد عدة قرون المعركة الشهيرة بين شلمنصر الثالث الآشوري و (برهدد) ملك دمشق (انظر أبو عساف 18:1988) .ولا شك أن تأملاً بسيطاً في خارطة الشرق الأدنى خلال هذه المرحلة ، يوضح أن تدافعاً هائلاً على الاستقرار في مناطق الانهار والسواحل البحرية والزراعية قد حصل ، وخصوصاً في العراق وسوريا . . . ولذلك نرى أن الموجات السامية المبكرة أمنّت استقرارها في مثل هذه المناطق مثل الآشوريين والعموريين في العراق والكنعانيين في الشام . . . أما الآراميون الذين تأخرت هجرتهم قليلاً ، فلم يجدوا موطىء قدم ثابت إلاّ بين تخوم مدن وممالك ودول الاقوام السابقة ، ولذلك تأخر ظهور نظامها السياسي المعّبر عنه بصيغة الممالك ، ولم يحصل ذلك الاّ بعد أن أمّنت استقرارها القِبلي والحَضاري والزراعي واتجهت نحو تشكيل مدنها في المرحلة التالية .

3- عصر الممالك الآرامية (1000-539) ق.م

بينما كانت القبائل الآرامية تزداد قوةً وعدداً في شمال العراق وسوريا وتتجه نحو إقامة تحالفات ومدن صغيرة ، كان الآشوريون قد وسّعوا مدنهم وكّونوا دويلات صغيرة ثم بدأوا بالتوسع تدريجياً .

ورغم أن الآشوريين قد تخلصوا في هذا العصر من حكم دولة حمورابي البابلية ، وحرصوا على استقلالهم من جديد وتوسيع حكمهم ، إلاّ أنهم سقطوا لمدة قرن كامل تحت حكم الميتانيين .

كانت المنافسة قوية بين الآشوريين والآراميين رغم رجحان الكفة الآشورية بحكم عمقها التأريخي وسعة مدنها وكثرتها .

وما أن حلّ العصر الآشوري الوسيط (1280-1912) ق . م ، حتى بدأت المدن الآشورية بالاستقلال ، وكذلك بدأت المدن الآرامية بالاستقلال والتوسع . وكانت هجمات القبائل والمدن الآرامية متصلة حتى استطاع الآراميون التمركز في الأراضي الواقعة في مثلث يقع رأسه في منطقة (ديار بكر) حيث تقع مملكة بيت زماني ويمتد بساقيه شرق

وغرب الفرات ، حيث تمتد الممالك الآرامية العراقية القديمة شرق الفرات ، وتمتد الممالك الآرامية السورية القديمة غرب الفرات . وكاد المستقيم أن يوصل بين هيت في العراق حيث حدود مملكة سوحي وبين دمشق في سوريا حيث مملكة دمشق ، وفي وسط هذا المثلث ظلت القبائل الآرامية تجوب في صحراء الجزيرة الفراتية العراقية السورية .

أما في جنوب العراق فقد انتشرت ممالك عديدة حتى وصلت عيلام . وكذلك في جنوب سوريا حيث ظهرت ممالك عديدة جاء ذكر أغلبها في العهد القديم .

ويمكننا إجمالاً تقسيم الممالك الآرامية حسب توزيعها الجغرافي الى قسمين في العراق القديم (شمالاً وجنوباً) ، وفي سوريا القديمة (شمالاً وجنوباً) .

1- الممالك الآرامية في العراق القديم

أ . ممالك الشمال:-

وهي الممالك التي تأخمت لحدود المدن الآشورية ، ونعني بها الحدود الشرقية والشمالية والغربية ، وهذا يعني انها شكلت ما يشبه القوس أو الطوق الشمالي على هذه المدن الآشورية . ومن هنا جاء الصراع الآشوري الآرامي حيث سعى الآشوريون للسيطرة على هذا القوس الآرامي لكي يمتد النفوذ الآشوري خارجه ويحدّ من المصالح الحورية والميتانية والحيثية التي كانت تسعى هي الاخرى لمد نفوذها جنوباً نحو المدن الآشورية .

وهكذا وقعت هذه الممالك الآرامية بين رحى طاحونة لا تهدأ ، كانت تدور عليها من الشمال والجنوب .

ونستطيع هنا أن نفسر أيضاً صلة الآراميين الثقافية والروحية والدينية والفنية بهذه الأقوام التي كانت تحتك بها سلماً وحرباً . وسنبدأ بذكرها من أقاصي الشمال نزولاً :-

1 . **مملكة بيت زماني** : وتقع في منطقة ديار بكر وعاصمتها أميدي ، وربما كان اسم زماني هو اسم الملك المؤسس لهذه المملكة ، وقد عرف فيها الملك (عمي بعلي) .

وقد هاجمها الملك الآشوري توكلتي ننورتا الثاني عام (885 ق . م) ، واستبدل حاكمها الأول (عمي بعلي) الذي انقلب على الآشوريين مع حليفه (بور راماتو) أمير مدينة سينابو ،

فهاجمها آشور ناصر بال الثاني عام (879 ق . م) ، وصلب بور راماتو وخلع (عمي بعلي) ونصب أخاه (إيلانو) مكانه .

وثار أنصار(عمي بعلي) ، فهاجمهم آشور ناصر بال وأسر منهم رجالاً ، ثم ثار (إيلانو) فأخضعه مرة أخرى .

– وتقع مملكة بيت زماني على ضفاف دجلة شمال طور عابدين ، وكان من مدنها المهمة (تيدي) قرب مدينة ماردين .

2 . **مملكة سينابو** : وتقع قرب مملكة بيت زماني وكان يحكمها نور راماتو ، وقد أخضعت أخيراً للآشوريين .

3 . **مملكة تامانيتا (تيمانيا)** : وهي مركز القبيلة الآرامية تامانيتا التي كانت تنتمي إلى ما يشبه الاتحاد الآرامي مع ممالك نصيبين وخوميرنا وجيدرا . وتقع هذه الممالك جميعها في جبال طور عابدين وقرب ضواحي نصيبين .

4 . **مملكة نصيبين** :– وموقعها في منطقة نصيبين وكان اسم ملكها (نور حدد) .

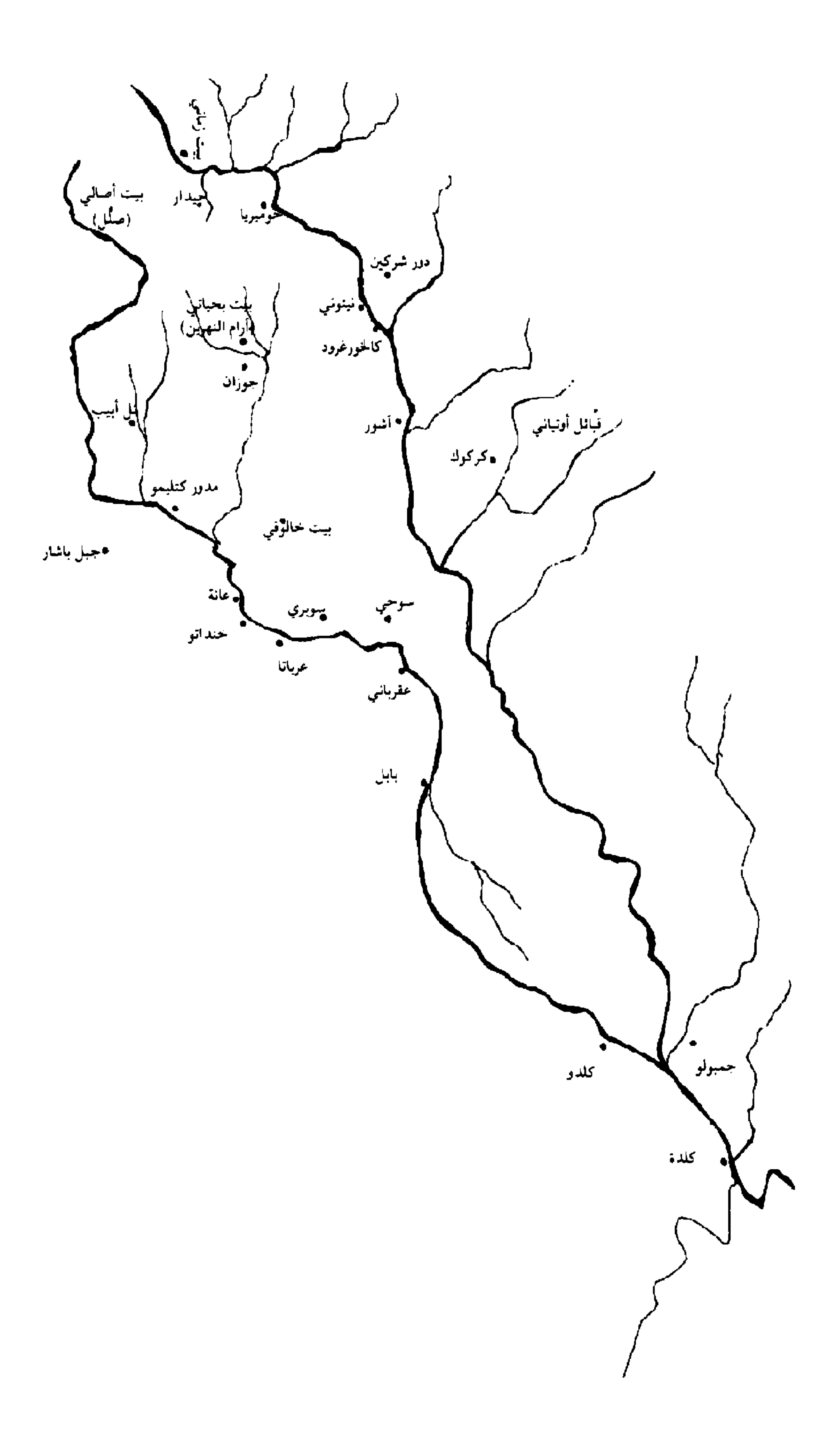
5 . **مملكة خوميرنا** :– وموقعها في سلطان تبه شمال حوران واسم ملكها (ماملو) .

6 . **مملكة جيدرا** (راداماتا) :– وموقعها جنوب غرب ماردين واسم ملكها هو (موقورو) .

– وكانت هذه الممالك الأربعة الأخيرة قد شكلت ما يشبه الاتحاد الآرامي في طور عابدين ، وهاجمهم أدد نيراري الثاني (912-891ق .م .) ، خلال حملته السادسة على الجزيرة ، وبعد معارك عنيفة دامت ستة سنوات احتل ممالك طوزعابدين وحولّها إلى مقاطعات آشورية ، وأسر (نورحدد) ونقله مع أفراد عائلته وقبيلته إلى مناطق مجاورة له في نينوى حيث سكنوا هناك (انظر أبو عساف1988:23) .

7 . **مملكة بيت بحياني** (**مملكة آرام النهرين**) : وتقع في حوض الخابور قرب منابع هذا النهر ، جوار بلدة رأس العين وعاصمتها مدينة جوزان (تل خلف) ، وتقع شرقها مملكة نصيبين وغربها مملكة بيت عريني ويفصلهما نهر البليخ .

مملكة بيت بحياني هي المملكة التي اشتهرت باسم (آرام النهرين) لوقوعها بين نهري الخابور والبليخ .



خريطة (2)

الممالك الآرامية في العراق القديم (مابين النهرين) في الشمال والوسط والجنوب

وقد حكم هذه المملكة عدد من الملوك فيما بين القرنين الحادي عشر والتاسع قبل الميلاد وهم بالتسلسل :-

1- بحياني :- مؤسس المملكة .

2- خدياني :- إبن مؤسس المملكة .

3- كبارة :- صاحب العمران الكبير .

4- أبي سلامو
5- شمش نوري } خضعوا للنفوذ الآشوري .
6- حدد يسعي

7- زدنت : ثائر آرامي ضد الآشوريين ، قضى عليه (اددنيراري الثالث) .

- وبعد القضاء على تمرد الملك زدنت عام (808 ق . م) ، وتنصيب والي آشوري هو (مانوكي آشور) ، انتهى حكم الآراميين فيها ولكن سكانها ظلوا من الأموريين ، وتتابع على حكمها ولاة آشوريون خضعوا لمراقبة والي نصيبين الآشوري واستمر الوضع على هذه الصورة حتى عام (612 ق .م) ،حينما سقطت المملكة الآشورية وقامت الدولة البابلية الكلدانية فخضعت مملكة حوزن للكلدانيين وسكنتها جالية بابلية ،لكنها كانت مستقرة الحكم وقريبة من الاستقلال النسبي .

8- **مملكة آرام فدان** : وكانت تقع الى الشمال من مملكة بيت بحياني وترتبط بها ، وعاصمتها حرّان وقد ظهرت فيها بصورة مبكرة عبارة الإله (القمر (سين)) وثالوثه المكون منه ومن زوجته ننكال وابنه نسكو إله النور .

9- **مملكة بيت عديني** : وكانت تقع في حوض الفرات وتحدّها غرباً مملكة جرجميش ، وشرقاً نهر البليخ ، ووصلت حدودها الغربية حتى بلدتي الباب واخترنن .

عاصمتها هي تل بارسيب (تل أحمر الآن) شرق الفرات . وقد حكمها عدد من الملوك فيما بين النصف الثاني من القرن العاشر وحتى النصف الثاني من القرن التاسع ، أي لما يقرب من قرن كامل وهم :-

1- بارسيب : وربما كان هو مؤسس المملكة أو أبوه (سيب) .

2- عديني : اشتهرت المملكة باسمه .

3- آخوني : ابن عديني وانتهى حكمه حوالي (855 ق . م) ، على يد شلمنصر الثالث الملك الآشوري .

- **لقد اتسعت مملكة بيت عديني وشملت عدة مدن آرامية وعلى الشكل التالي :-**
أ- شمالاً : الى الشرق من الفرات مدن (لالاتي ، يورمران ، بيت أصالي (صلل) .
ب- جنوباً : شمال جبل بشري مدن (دوميتي ، آزمو) .
ج- غرباً : غرب نهر الساجور مدن (سورنو (سارين) ، تل باشيرا (يشير) .
- أما في الشرق فلم تتسع بسبب وجود قوة مملكتي آرام النهرين وآرام فران .

10- **إمارات بيت لاقي (لاكي)** :- كانت إمارات بيت لاقي تتسع وتنكمش حسب النفوذ الآشوري ، وقد كانت العاصمة القديمة لهذه الامارات مدينة (دور كتليمو) التي كانت في القرن الرابع عشر قبل الميلاد عاصمة القبائل الآرامية الشمالية كلها .

وتقع الامارات في الجزء الجنوبي من حوض الخابور وحوض الفرات الممتد من بلاد سوحي في الشرق وبيت عديني في الغرب ، وقد عاشت في هذه المنطقة الكثير من العشائر الآرامية منها عشيرة حديفة . وقد خاضت قبائل وإمارات بيت لاقي صراعاً مريراً مع الآشوريين لا نريد الخوض في تفاصيلها هنا ، إلاّ أن هذه الامارات خضعت اخيراً للنفوذ الآشوري .

وهذه الإمارات هي :-

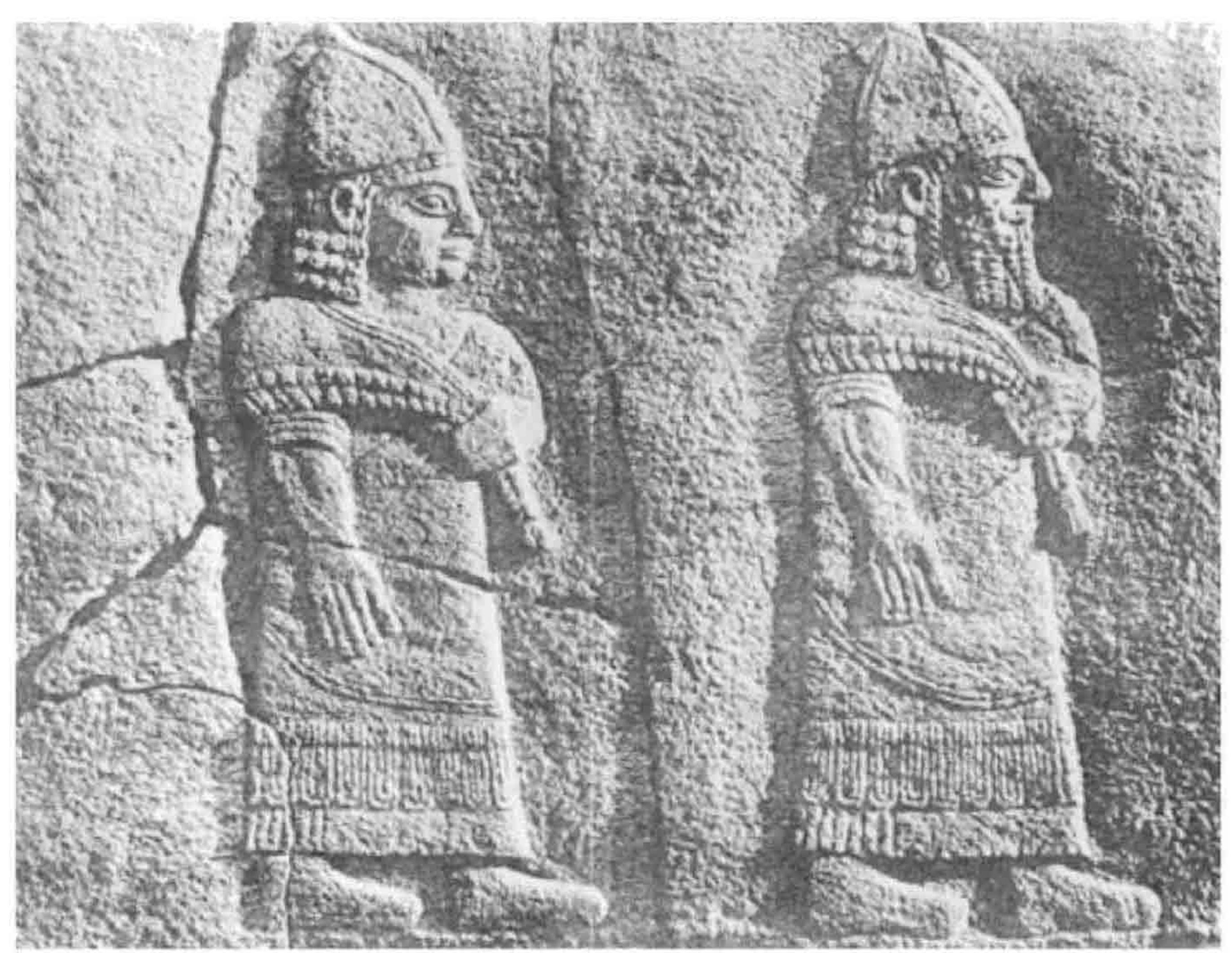
1- بيت خالوفي : وعاصمتها سورو .

2- إمارة سوحي (سوخو) : وعاصمتها عانة الحالية على ضفاف الفرات .

3- إمارة خنداتو : على ضفاف الفرات بين العشارة وبلدة العبيدي .

4- إمارة ترقة : وهي بلدة العشارة الحالية الواقعة بين ماري ومصب الخابور في الفرات .

5- مدينة سويري : قرب مدينة ألبو كمال الحالية .





شكل (1)
ملوك وأشراف آراميون

6- مدينة عربانا : قرب مدينة ألبوكمال الحالية .

7- مدينة عقراباني : على الضفة اليمنى لنهر الفرات بين العشارة وعانة .

8- إمارة قطيني (قطني) : وتقع بين تل عجاجة (اسمه القديم- شادوكاني) وبلدة الشدادة جنوب الحسكه بـ (54) كم .

9- مدينة شوفايا : ولعلها تقع شمال قطيني بقليل .

10- مملكة قبائل أوتياني : وهي مجموعة من القبائل كانت تسكن شرق نهر دجلة بين نهري الزاب الأسفل والعظيم ، ولا نعرف عن تأريخها الاّ القليل .

ب. ممالك الجنوب

1- القبائل الآرامية:-

تأخر قليلاً ظهور الممالك الآرامية الجنوبية ، ولكن القبائل الآرامية كانت تجوب الجنوب العراقي منذ القرن الحادي عشر حتى القرن التاسع ق . م . وسنذكر فيما يلي أهم القبائل الآرامية الجنوبية (مع ملاحظة الحرف الأخير من اسم القبيلة يلفظ مضموماً أو يرفق به حرف الواو) :-

[أوتُ ، زوبُ ، خاريلُ ، لابديدُ ، بوكودُ ، بيكوبُ ، خمران ُ، أوبولُ ، ليأتا ، سوتُ ، أحلامُ .]

2- الإمارات الآرامية:-

- ظهرت بعض الامارات الآرامية منذ القرنين العاشر والتاسع قبل الميلاد ، وهي أقرب الى الممالك مثل :-

1- إمارة جمبول .

2- إمارة يادبارد .

3- إمارة يوقود .

4- إمارة الليت .

5- إمارة خيندار .

وكان أغلب هذه الامارات تقع شرق منطقة بابل .

3 . **الممالك الآرامية** : وهي الممالك الواسعة التي ظهرت منذ منتصف القرن التاسع قبل الميلاد على امتداد نهر الفرات ، وهي كما يلي :-

1- مملكة بيت داحور : (عدين) .

2- مملكة بيت أمرخان :

3- مملكة بيت شيلان :

4- مملكة بيت شعال :

5- مملكة بيت ياكين :

6- مملكة بيت داكور :

7- مملكة بيت لاراك :

8- مملكة بيت أموكان :

أما تتابع تاريخ هذه القبائل والامارات والممالك الآرامية العراقية الجنوبية فسنوّضحه بشكل موجز وحسب تتالي القرون :

القرن الحادي عشر قبل الميلاد:

- توالت الهجرات الآرامية من شمال وادي الرافدين نحو الجنوب بسبب الملاحقة الآشورية لها ، فاتجه الآراميون نحو بابل في عصر الكاشيين ، إذ تمكن احد قادتهم واسمه (حدد - ابال - عديني) الذي يبدو أنه من مملكة عديني في الأصل ، من خلع ملك بابل وتنصيب نفسه ملكاً عليها في عهد الملك الآشوري آشور بيل كالا (1071-1054 ق . م) ، الذي اضطر لاقامة علاقة طيبة مع الملك الجديد وتزوج من ابنته ، وكانت سياسة الملك الآشوري تقوم على اساس وجود ملك بابلي الأصل على بابل من ناحية ، وارضاء الآراميين من ناحية اخرى .

القرن العاشر قبل الميلاد:

- شهد هذا القرن ظهور الامبراطورية الآشورية الأولى (911-746) ق . م ، وقام توكلتي ننورتا الثاني بتوطيد حكمه ، والسيطرة على القبائل الآرامية الشمالية والجنوبية . ورغم ذلك

ففي عام 986 ق . م (عهد الملك البابلي نبوموكين بال) ، استطاع الآراميون من احتلال وادي الفرات ، قرب مدينة (كاربل ماتاتي) وظل تحت سيطرتهم تسع سنوات ، إذ قطعوا الاتصال بين مملكتي (بابل) وبورسّبا .

القرن التاسع قبل الميلاد:

كانت القبائل الآرامية تتدفق بكثرة الى جنوب وادي الرافدين وتنتشر في ارجائه انتشاراً واسعاً هرباً من الضغوط الآشورية المتلاحقة على قبائل وممالك الشمال ، حتى أن المناطق السهلية المحاذية لنهر دجلة والممتدة من دجلة الشمالي حتى دجلة الجنوبي (سوربو) ، والمتاخمة لبلاد عيلام شرقاً وبلاد بابل غرباً باتت تسمى بـ (بلاد آرام) .

وهذه اشارة إلى أن الآراميين كان يمكن أن يلتهموا كل وادي الرافدين وسوريا وشمال جزيرة العرب في تلك الأزمان ، لولا ذلك العداء الآشوري المدمر لهم .

- في عام (823 ق . م) فوجىء الملك الآشوري (شمسي حدد الخامس) عندما حاول غزو بابل ، بأن ملك بابل عضو في حلف كان يضم الكلدان والآرام والنارمي والعيلام .

وكان هذا الملك قد تزوج من امرأة دارت حولها أساطير كثيرة وهي (سمورامات) التي عرفت عند اليونان باسم (سمير أمسيس) ، والتي نرى أن لها علاقة كبيرة بالمثيولوجيا الآرامية وسنناقش ذلك في الأساطير الآرامية .

وعندما مات زوجها خلّف إبنه (أدد نيراري الثالث) على العرش وكان طفلاً ، فقامت أمه (سمير امسيس) بالوصاية عليه ، وحكم من (782-810) ق . م .

القرن الثامن قبل الميلاد:

- إذا كان القرن التاسع قرن انتشار وتكّون القبائل والممالك والامارات الآرامية ، فإن هذا القرن سيشهد المرحلة الأولى من تدميرهم .

ففي نصفه الأول ، لاحق (شلمنصر الرابع (782-772)ق .م .) القبائل الآرامية فاندفعت الى أقاصي الجنوب الرافديني . وكذلك فعل (تغلات بلاصر الثالث) مع هذه القبائل نفسها ، اضافةً الى غزواته على ما تبقى من قبائل (الاحلامو) وراء نهر الزاب .

لكن الدمار الأكبر بدأ مع نهاية هذا القرن والقرن الذي تلاه ، عندما حكمت العائلة السرجونية الآشورية القوية التي دمّرت الآراميين والكلدانيين والبابليين على السواء ، إضافة الى توسع الامبراطورية الآشورية الكبير خلال هذه الفترة .

- ففي عام (710 ق . م) ، شنّ (سرجون الآشوري) هجوماً كاسحاً على (مردوخ بلادان) الملك الآرامي - الكلداني (من بيت باكين) الذي اغتصب عرش بابل عام (722 ق .م) ، ودمّرهم إضافة الى القبائل الآرامية الموجودة على نهر الكرخة (نهر أكنو أو أكلو) حتى وصل الى مشارف بلاد عيلام .

هُزم (مردوخ بلادان) الآرامي وفّر الى إمارة (يادبور) لاجئاً ، وبعد وفاة (سرجون) ظهر مردوخ بلادان) مرةً أُخرى وعاد ملكاً على بابل ، ولم يستمر ذلك سوى تسعة شهور حيث سار اليه (سنحاريب ابن سرجون عام 703 ق . م) وهاجم الحلف الآرامي - العيلامي - الكلداني وسحقه ، وقام بتهجير حوالي (208) ألف آرامي كان اغلبهم من (بوقود وجمبول) الى (آشور) ، وساهم هذا العمل بتدمير الآراميين وتشتيتهم .

القرن السابع قبل الميلاد :.

- كانت القبائل الآرامية المشتتة منذ نهاية القرن الثامن ق . م قد تجمعت في (شوزابو) الكلدانية ، وكان العيلاميون والكلدانيون يتآزرون معهم وقاموا بثورة علنية عام (691 ق . م) ، فشن عليهم (سنحاريب) بعد سنتين من ثورتهم هجوماً كبيراً مع الكلدانيين وانتصر عليهم ناقلاً أسراهم الى بلاده .

- وواصل (ابن مردوخ بلادان) ثورة أبيه شرق بابل ، فشنّ عليه الملك الآشوري (اسرحدون) حملةً هزمته واستسلم أخوه وأعلن خضوعه (لأسرحدون) فوضعه والياً على مملكة البحر .

ثم ثارت مملة (بيت داكور) فتصدى لها اسرحدون وهزمها .

وفي عهد الملك آشور بانيبال (668-626 ق . م) انحازت امارة (جمبول) لملك عيلام ضد (آشور) فدمرها ومزق أمراءها .

وفي منتصف القرن السابع قبل الميلاد حصل تطور خطير في الامبراطورية الآشورية ، حيث قام شقيق الملك (آشور بانيبال) حاكم بابل واسمه (شمش شموكين) عام (652 ق . م) ، بانتفاضة ضد (آشوربانيبال) في محاولةٍ للاطاحة به بعد أن كَون تحالفاً كبيراً مع الآراميين والكلدانيين والاكديين والعيلاميين والكوتيين والعموريين والقبائل العربية ومملكة البحر .

- ورغم أن (آشور بانيبال) حاول القضاء على هذا التحالف ووجه له ضربات قوية إلاّ أنه صمد أمامه حتى وفاة آشور بانيبال ، فقام عند ذلك (نبو بلاصر) الكلداني بقيادة هذا التحالف وتولى عرش مملكة بابل وفصلها عن الامبراطورية . وبدأ بتحالفات جديدة مع الميديين عملت على تقويض الامبراطورية الآشورية . وفي عام (612ق .م) احتل (نبوبلاصر) نينوى وبدأ عصر الامبراطورية الكلدانية التي صهرت أبناء عمومتم الآراميين في بوتقها ، فأصبح الآراميون جزءاً حيوياً من الأمبراطورية الكلدانية . . وبذلك انتهى صراعهم الدموي مع الآشوريين ، وبدأ دورهم السياسي المؤازر للكلدانيين .

- وعندما سقطت بابل الكلدانية (539 ق .م) على يد الفرس كان الآراميون قد فقدوا مع الكلدانيين دورهم السياسي والعسكري ما عدا ثوراتهم ضد الفرس الأخمينيين التي لم تدم طويلاً .

ولكن النهاية السياسية للآراميين لم تكن خاتمة المطاف بل تلاها الدور الحضاري الذي قامت به الثقافة واللغة الآرامية في منطقة الشرق الأدنى بأكملها لأكثر من ألف عام .

- ولا بد لنا من التنويه بأن الكلدانيين الذين فازوا بعرش بابل بمساعدة الآراميين كانت تربطهم بهولاء علاقة نسب وعلاقة تحالفات سياسية طويلة الأمد ، أما أُصولهم البعيدة فلا نعرف عنها شيئاً سوى أنهم موجة سامية متأخرة يرجع ظهورها إلى بداية الألف الأول قبل الميلاد . حيث جاء أول ذكر لهم في حدود القرن التاسع قبل الميلاد ، فقد ظهروا في جنوب مملكة بابل حتى شواطىء الخليج العربي على شكل بيوت عشائرية كبيرة ، ظلت تقاوم النفوذ الآشوري مع بقية الأقوام المظطهدة حتى تمكنت من الاستيلاء على آشور وبابل .

2- الممالك الآرامية في الشام

أ- ممالك الشمال:

- تقع هذه الممالك على خط مستقيم يربط بين (شمأل) عاصمة مملكة (يادي) شمالاً و (دمشق) عاصمة مملكة (آرام دمشق) جنوباً .

وتتكاثف الممالك الآرامية عند نقطة الرأس الشمالية غرب الفرات بين (شمأل وحلب) .

وتتصل فيما بينها ممالك الشمال في العراق القديم وسوريا القديمة اتصالاً وثيقاً تأريخياً وحضارياً ، ويمكننا تتبع ممالك الشمال في سوريا القديمة كما يلي :

1- مملكة يادي:

- تقع مملكة (يادي) في حوض نهر الأسود (قراصوء) وعلى جبال الامانوس أقصى شمال سوريا القديمة . وعاصمتها هي مدينة (شمال) أو (شمأل) التي هي الآن بلدة (زنجرلي) قرب منابع نهر الأسود .

ويبدو أن الموقع كان مدينة صغيرة مهملة قبل وصول الآراميين اليها ، وحينما اتخذها الآراميون عاصمة لهم أعادوا تنظيمها من جديد ، فحصنوها بسور مزدوج تزينه الأبراج والبوابات المزروقة بأحسن اللوحات الحجرية ذات النقوش المتنوعة ، وفي داخل السور شيدوا المعابد والقصور . وأغلب الظن أنهم بّدلوا أسمها القديم الذي نجهله الى شمال أي جهة الشمال كما في العربية ، (أبو عساف 47:1988) . واستمرت مملكة (يادي) ما بين (1000-725 ق . م) وحكمها عدة ملوك هم (جبر ، بّما ، خّيا ، شال ، كلاموء ، قرل ، بناموه الأول ، بره - برصو ، بناموه الثاني ، بر راكب)

- وتقدم لنا الآثار النزر اليسير من سيرة هؤلاء الملوك ، ويبدو أن أكثرهم أهمية هم (كلاموء وبرراكب) .

-فقد اهتم (كلاموء) بالعمران وجعل من دولة (يادي) قويةً ، وتتمتع بعلامات تجارية وسياسية جيدة مع جيرانها ، وقد حاولت الدول التي تقع شماله من (الحيثية والميتانية)



الشكل (2)

نقيشة عثر عليها في مدينة زنجرلي، ويبدو فيها الملك بار ريكوب جالساً على عرشه وأمامه سكريتيره



الشكل (3)
تمثال لملك أو أمير محمول على عدد من الأسود عثر عليه في مدينة زنجرلي (مملكة يادي)



الشكل (4)
تمثال لملك أو أمير عليه نقش خاص بـ (باناموه الأول) عثر عليه في جرجان قرب (مملكة يادي) مدينة زنجرلي الحالية

التوسع على حساب (يادي) لكن كلاموء استعان بالآشوريين لرد توسعهم وبذلك تجنب أذى هؤلاء الآشوريين وهذا هو سبب انتعاش (يادي) في عصره ، واستطاع ان يقيم نظاماً داخلياً . متماسكاً في مجتمعه ، حيث وفق بين البدو والحضر اللذين كانا يشكلان قوتين متضادتين قبل أن يوفق بينهما .

– وفي منتصف القرن الثامن قبل الميلاد لم تنجُ (يادي) من هجمات (الآشوريين) بسبب وقوفها في حلف مشترك مع مملكة (الأراراتو) ضد (الآشوريين) واستطاع والد (بر راكب) أن ينقذ (يادي) من هذه الهجمات . وكان عصر (بر راكب) عصراً مشرقاً مليئاً بالعمران والحياة المرفهة له وللشعب ، واعتنى ببناء القصور القديمة والجديدة كما أنه أدخل عبادة [إله القمر (سين)] وثالوثه (سين ، ننكال ، نسكو) الذي كان يُعبد في حرّان . وكانت عبادة (يادي) مقتصرة على (حدد ، راكب إيل ، بعل صمد وبعل خمون) .

– وانتهى حكم بر راكب حوالي (725 ق . م) ، ونصّب الآشوريون بعده ولاةً آشوريين وفقدت مملكة (يادي) استقلالها النسبي) .

2– مملكة ساروجي (سلينا):

– تقع في سهل (ساروج) شمال وجنوب بلدة (عين العرب) ، ويقع في وسط هذا السهل (تل حجاب) الذي يعتقد أن عاصمة مملكة (ساروجي) وهي (ساروج) قد قامت عليه .

– وقد ظهرت مملكة (ساروجي) على المسرح السياسي الآرامي بعد سقوط مملكة (عديني) التي تقع جنوبها . . ولا يعرف الكثير عن تأريخ هذه المملكة . وهناك ما يشير الى أن أحد ملوكها المهمين اسمه (جاون أو جايه) الذي عاش في النصف الثاني من القرن التاسع قبل الميلاد . وقد سكنت قبائل [بيت اصالي (صلل)] الآرامية هذه المملكة .

3– مملكة كاتكا (كاسكا):

– تقع مملكة كاتكا على امتداد ضفاف الفرات الغربية شرق مملكة (أرباد) ، وتفصل بين المملكتين مدينة (السفيرة) التي تقع على حدودهما ، وظهر فيها الملوك (بار جأياه ، داد إيلو) .

ونرجّح أن تكون هذه المملكة التي تطور اسمها من (كاسكا الحيثي) الى (كاتكا الآرامي) هي نفسها مملكة (كتك) التي ظهر فيها الملك الآرامي القويّ (شمشي إيلو) الملقب بـ (برجايه) ، والذي يبدو أنه قاد تحالفاً آرامياً واسعاً شمل (كتك وعديني وأرفاد) . وكان هو و (متع إيل ابن عتر سمك ملك أرفاد) قائدا الحلف الذي وقف بوجه الآشوريين زمناً ، لكن موت (شمشو إيلو) بمنتصف القرن الثامن قبل الميلاد فرط بهذا الحلف ، فجهّز عند ذاك الملك (آشور نيراري الخامس) حملة قوية على (متع إيل) امتنع فيها الأخير (بعد عقد معاهدة معه) عن حرب الآشوريين ، لكنه تحالف بعد ذلك مع ملك الأوراراتيين وجمع حوله الآراميين ، ولم ينجح ثانية عندما هُزم هذا الحلف من قبل الملك الآشوري نفسه (آشور نيراري الخامس) .

4- مملكة كوموخ:

- وهي مملكة صغيرة تقع الى الشمال من مملكة أرفاد ولا يعرف الكثير عن تأريخها ، وأحد ملوكها هو (كوشتابي) .

5- مملكة بيت أجوشي (ياهاني) أو مملكة (أرفاد):

- كانت عاصمة هذه المملكة الآرامية تسمى [أرفاد (أرباد)] واشتهرت المملكة باسمها وتسمى أيضاً مملكة (بيت جش) .

وقد حكم هذه المملكة ملوك عدة منهم (ياهان ، جوشي ، آرام ، برجوشي ، أدرامو ، عتر سمك ، متع إيل) وكانت بداية ظهور هذه المملكة حوالي (880-740) ق . م ، وقد كان ملوكها كلهم تابعين للنفوذ الآشوري باستثناء (متع أيل) الذي تحالف مع (شمشي إيلو) وكوّنا حلفاً ضد الآشوريين لكن ذلك جلب الويلات لهذه المملكة حتى سقطت على يد (تجلات بلاصر الثالث) الذي حاصر (أرفاد) واسقطها عام (740 ق . م) .

6- مملكة جرجميش:

- تقع إلى غرب الفرات وعاصمتها (جرجميش) ، وقد تعرضت لغزوات آشورية كثيرة ، واحد ملوكها هو (بيزيريس) .



خريطة (3)

المالك الآرامية في بلاد الشام (الشمال، الوسط، الجنوب)

7- مملكة خراتو:

- تقع في منطقة (أرسلان طاش) ولا نعرف عن تأريخها الشيء الكثير .

8- مملكة بتينا:

- وتقع شرق (حلب) وربما كانت بعض أراضي حلب تابعة لقبائلها الآرامية .

9- مملكة أنقي:

- وتقع غرب (حلب) باتجاه السواحل والمدن الكنعانية السورية القديمة .

10- مملكة نوحش (العش):

- وكانت تقع شرق مملكة (حماه) إلى الشمال قليلاً ، وأهم مدنها وربما كانت عاصمتها هي (حرزك) التي هي (ختاريكا) و (خدرك) وربما كانت هي (آمس) المعروفة .

11- مملكة حماه (1000-720) ق. م:

- وهي أقوى مملكة آرامية في الشام بعد مملكة (دمشق) ، وكانت تمتد في أرض واسعة تحدها شمالاً مملكتا (أرفاد وبتينا) ، وجنوباً مملكة (دمشق) ، أما غرباً فكانت مملكة (نوحش) ، وشرقاً وصلت حدودها الى سلسلة جبال سوريا الساحلية الشمالية .

«وقد نزحت اليها جماعات من بلاد الأناضول واستقرت فيها مع المهاجرين اللوفيين من الهندوأوربيين ، وامتزج هؤلاء جميعاً بالسكان الأصليين الكنعانيين وبالآراميين الذين وصلوا المنطقة في وقت مبكر أيضاً ، وأسسوا جميعاً مملكة قوية كان لها شأن كبير في قواعد الأحداث السياسية التي تتابعت على بلاد الشام خلال النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد» ، (أبو عساف 54:1988) .

- وظهر في مملكة (حماه) عدة ملوك هم (توعي ، يورام ، باراتاس ، إرخوليني ، أوراتاميس ، ذاكر ، يوبيدي) .

- ولعل أهم الاحداث قد ظهرت في عهد (إرخوليني) الذي اشترك في تحالف قوي قامت به الممالك الشامية بزعامة [برهدد (إبن هدد الثاني)] وقاوم هذا التحالف جيوش [شلمنصر الثالث (859-824) ق .م] وخصوصاً في معركة (قرقر) التي صمد فيها هذا التحالف ولم ينهزم ، وعندما كرر الملك الآشوري محاولاته بعد (قرقر 853 ق .م) في أربع محاولات حتى (845 ق .م) لم ينجح خلالها أيضاً . فسجّل تحالف الممالك الشامية نصراً عليه .

- لكن (حماه) انسحبت من هذا التحالف بعد أن اغتصب العرش في مملكة دمشق الملك (حزائيل) .

ودخلت مملكة (حماه) في تحالفات أخرى صغيرة مع (حرزك ويادي) وغيرها .

لكن عصر الملك الأخير (يوبيدي) شهد ظهور تحالف جديد قوي قاده (يوبيدي) بنفسه مع ملوك (أرفاد ، دمشق ، صور) ضد الملك الآشوري (تجلات بلاصر الثالث) ، وكان يمكن لهذا التحالف أن ينتصر ويصمد لولا أن صعد إلى العرش الملك الآشوري (سرجون الثاني) الذي هزم هذا التحاف في (قرقر عام 720 ق .م) وحوّل (حماه) إلى ولاية آشورية وسبى أهلها وأسكن مكانهم أقواماً من الآشوريين .

12- مملكة دمشق [(آرام دمشق) (1000-733) ق.م]:

- تعتبر مكلة (دمشق) أقوى وأكبر الممالك الآرامية في بلاد الشام وهي صاحبة تأريخ حافل ، امتازت بمحاولتها لتوحيد الآراميين وتوسيع مملكتهم والوقوف بوجه أطماع مملكة (اسرائيل) والحد من نفوذها هي ومملكة (يهوذا) . والوقوف بوجه الآشوريين ومحاولة توحيد ممالك بلاد الشام .

- وقد نشأت مملكة (دمشق الآرامية) في اعقاب مملكة (دمشق الكنعانية) التي ازدهرت في النصف الثاني من الألف الثاني ، وعندما ضعفت مملكة دمشق الكنعانية انفصلت دمشق عن عاصمة هذه المملكة التي كانت تسمى (كوميدو) أو (كامد اللوز) . وتبعت دمشق أولاً لمملكة (صوبا الآرامية) التي كان يحكمها (هدد عزر) .

وحكم مملكة دمشق الآرامية عدة ملوك هم :

1- رزون بن ايل يدع : الذي قام بحركة الانفصال عن مملكة (صوبا) الآرامية في حدود (1000 ق .م) ، بعدها بدأت مملكة (صوبا) بالتدهور .

2- حزين وربما (حسين) :

3- طب ريمون :

4- بر هدد (ابن حدد) الأول : الذي قام بجمع الآراميين حوله وكسب ودّ مدن الساحل السوري ، ووقف مع ملك يهوذا (آسا) ضد ملك اسرائيل (بعسا) ثم هاجم مملكة اسرائيل من الشمال وسيطر على شمال الأردن .

5- برهدد الثاني : وهو مؤسس الحلف الشامي الكبير ضد (شلمنصر الثالث) ، وكان الحلف يتكون من (حماه ، اسرائيل ، قوية ، مصرى ، أرقانات ، أرواد ، اوستانو ، سيانو ، جندب العربية ، بيت رحوب ، عمّون) . وتمكن الحلف من الصمود أمام الآشوريين .

وهاجم (برهد الثاني) مملكة اسرائيل وملكها (أحاب) وانتصر عليها ، ثم قاتل ملكي اسرائيل ويهوذا في جبال عجلون وهزمهما .

6- حزائيل : اغتصب الملك اذ قام باغتيال برهدد الثاني واعتلى العرش ، ولكنه كان قوياً حيث حارب مملكتي اسرائيل ويهوذا وهزمهما . واستمر بقيادة الحلف الشامي الكبير وأجبر ملك اسرائيل على السير فيه .

قام شلمانصر الثالث بمحاصرة (دمشق) عام (831 ق .م) وهزم الحلف الشامي لكن حزائيل لم يستسلم ، وتفرق أعضاء الحلف . وظل حزائيل ملك (دمشق) حتى مات عام (802 ق .م) .

7- برهدد الثالث (مرئي) : وهو (ابن حزائيل) الذي كبح جماح ملوك اسرائيل ويهوذا . وقامت في عصره اضطرابات داخل ممالك الحلف الشامي المنهار .

8- رحيانو (رقيانو ، رحبين) : الذي خاض حروباً مع (اسرائيل ويهوذا) وكان آخر ملوك مملكة (دمشق) ، ففي زمنه قام (تجلات بلاصر) الثالث بغزو مملكة دمشق وحاصرها

ما بين (733-738) ق.م ، وعندما سقطت مملكة دمشق ظهر أنها مكونة من (16) منطقة أو إمارة . فاعاد الملك الآشوري تقسيمها الى خمس ولايات تابعة لآشور .

ب- ممالك الوسط:

- ذكرت اغلب هذه الممالك في التوراة (العهد القديم) ولم يتأكد وجودها الآثاري . ولذلك تستقى اغلب المعلومات التأريخية عنها من العهد القديم الذي لا يعد كتاباً دقيقاً من الناحية التأريخية والسياسية . وهذه الممالك هي :

1- آرام صوبا:

- يظن أنها كانت تشمل الأراضي الممتدة الى الشمال الغربي من دمشق ، ومن البقاع غرباً وحتى البادية شرقاً ، وكانت تضم دمشق لها وتمتد في أرض سهلية (كانت ترابط فيها عائلات آرامية) تخومها حمص شمالاً وحوران جنوباً والبقاع غرباً والبادية شرقاً . وقد ورثت مملكة دمشق مكانة مملكة صوبا وأرضها فيما بعد . ولعل أشهر ملوكها هو (هد عز) الذي انشقت دمشف في عصره عن مملكة (آرام صوبا) واصبحت مملكة مستقلة .

2- آرام معكة:

- كانت تمتد على سفوح جبل الشيخ الغربية وفي البقاع الجنوبي . وربما كانت تقع في منطقة (مرجعيون) اللبنانية . وكانت أهم مدنها (آبل) التي هي اليوم (آبل السقي) في مرجعيون .

3- آرام جيشور:

- تقع جنوب (معكة) على امتداد سفوح جبل الشيخ الجنوبية حتى نهر اليرموك ، ومن حكامها (عمي هدد) ثم ابنه (تلماي) . وقد تزوج الملك (داود) بنت (تلماي) فأنجبت له (أبشالوم) الذي لجأ الى أخواله عندما قتل أخاه .

كانت تحتفظ بعلاقات ودية مع مملكة اسرائيل العبرية .

4- آرام طوب (آرام طيبة):

- وتقع أقصى التخوم الجنوبية لمملكة دمشق شرق جبال عجلون حتى البادية . وتحدها غرباً مدينة أم قيس (كَدارا) الأردنية وشرقاً مدينة (بصرى) السورية . وربما كانت قرية الطيبة الحالية غرب مدينة (بصرى) مكانها القديم .

5- آرام رحوب (بيت رحوب):

- تقع شرق جبال عجلون على الحدود الشمالية للمملكة العمونية الأردنية القديمة التي كانت عاصمتها عمون (عمان حالياً) .

وهناك من الباحثين من يرى بأن منطقة (رحاب) جنوب أربد الأردنية هي مكان هذه المملكة . وكان نهر الزرقاء يجري في هذه المملكة ، واحدى أهم مدنها هي مدينة (فتور) التي هي (دير علاّ) الحالية ، ويبدو أن الحكيم أو العراف (بلعام بن بعور) ظهر في هذه المدينة وترك لنا رؤيته المشهورة مخطوطة بالخط الآرامي على الجدران الجصّية والتي اصبح الآن بالامكان قراءتها واعتبارها إحدى أهم النصوص الآرامية النادرة ذات المنحى الأسطوري (انظر الغول 1997) .

● ● ●

- وهكذا لاحظنا أن اغلب هذه الممالك ذات التأريخ المجهول والغامض والتي ما زالت ركائزها الحفرية والآثارية ضعيفة ، تقع وسط بلاد الشام في مناطق من بقاع لبنان وجنوب سوريا وشمال الأردن .

ج- ممالك الجنوب:

- ما زالت الأدلة الآثارية على ممالك جنوب الشام الآرامية قليلة ،لأسباب كثيرة ،منها :

أولاً : لأن ظهور الممالك الأردنية القديمة (عمون ، مؤاب ، أدوم) قد غطّى على ذكرها ، لأن العموريين ثم الآراميين كانوا قد استوطنوا شرق الأردن قبل ظهور هذه الممالك بزمن طويل .

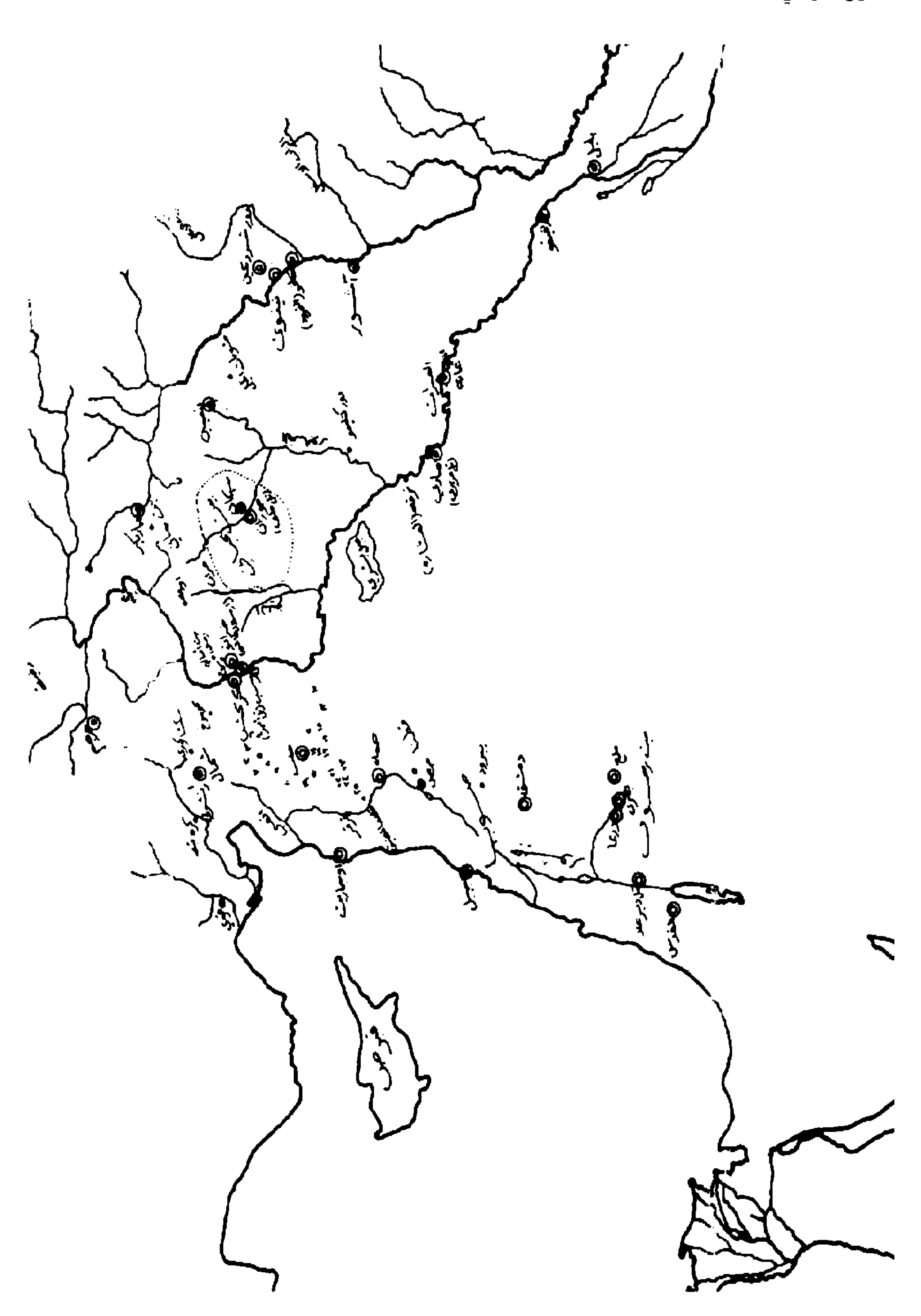
وثانياً : لأن العهد القديم لا يطيب له ولمن كتبه ذكر مدن وممالك آرامية قوية أو قديمة هناك تأكيداً للفكرة الساذجة التي تقول بأن الأسباط الاثني عشر لبنى اسرائيل هم الذين سكنوا هناك . . . وهذا كما هو معروف جزء من أساطير التاريخ لا من حقائقه .

وثالثاً : لأن ظهور الأنباط بعد القرن السادس قبل الميلاد واعتبارهم خليط من الآراميين والعرب لم يعطنا فكرة واضحة عن الأصل الآرامي لمنطقة جنوب الشام .

- ولكننا بشكل عام يمكن ان نلاحظ ظهوراً واضحاً لقبائل وممالك (شوتو العليا) و (شوتو السفلى) وقبائل (الكوشو) أو (الكوشان) ، التي ربما اختلطت بالعناصر الأمورية القديمة الباقية في هذه المناطق ، وظهر هذا الاختلاط واضحاً في تكوين ممالك ثلاثة أخرى في هذا المناطق (شمال وجنوب الأردن) ، وهي (باشان) و (حشبون) و (سعير) التي كان أكثر ميلها نحو أصلها الأموري (انظر ياسين 1994) .

جدول (1) الممالك الآرامية في العراق والشام

العراق القديم (وادي الرافدين)			الشام القديم (سوريا القديمة)		
الموقع العام	المملكة	عاصمتها	الموقع العام	المملكة	عاصمتها
الشمال	1- بيت زماني	أميدي	الشمال	1- يادي	شمأل
	2- سينابو			2- ياروجي (سلينا)	ساروج
	3- تامانيتا (تيمانيا)			3- كاتكا (كاسكا)	كتك؟
	4- نصيبين			4- كوموخ	
	5- خوميرنا			5- أجوشي (ياهاني)	أرفاد
	6- جيدرا (راداماتا)			6- جرجميش	جرجميش
	7- بيت بحياني (آرام النهرين)	جوزان		7- خراتو	
				8- بتينا	
	8- آرام فدان	حوران		9- أنقي	
	9- بيت عديني	تل بارسيب		10- نوحش (العش)	حرزك
	10- إمارات بيت لاقي	دور كتليمو		11- حماه	حماه
	11- أوتياني			12- دمشق	دمشق
الوسط (شرق بابل)	12- إمارة جمبول		الوسط	13 صوبا	
	13- إمارة يادبارد			14- معكه	
	14- إمارة بوقود			15- جيشور	
	15- إمارة الليت			16- طوب (طيبة)	
	16- إمارة خيندار			17- رحوب	
الجنوب	17- بيت داحور (عدين)		الجنوب		
	18- بيت أمرخان			18- شوتو العليا	
	19- بيت شيلان			19- شوتو السفلى	
	20- بيت شعال			20- باشان	
	21- بيت ياكين (ياقين)			21- حشبون	
	22- بيت داكور			22- إرم ذات العماد	
	23- بيت لاراك				
	24- بيت أموكان				



خريطة رقم (3)

خارطة الممالك الآرامية وأهم مدنها

4- عصر اللغة الآرامية (القرن 6 ق.م - القرن 7 م)

- كانت النهاية السلمية لاتحاد الآراميين والكلدانيين ثم انصهارهما أثناء وبعد الامبراطورية البابلية الحديثة في العراق القديم ، والنهاية المأساوية لمملكة دمشق والممالك الآرامية في بلاد الشام على يد الآشوريين .

كانت هذه النهاية بطرفيها السلمي والمأساوي ، مع كل ما حمل من كفاح الآراميين الدامي طيلة ألف سنة ، تعني نهاية سياسية بالمعنى المعروف ، ولكنها لم تكن تعني النهاية الحضارية للآراميين .

فقد تشبع العصر الممتد من سقوط بابل وحتى ظهور الإسلام بالعناصر الثقافية والروحية واللغوية الآرامية ويمكننا اعتبار هذا العصر السلمي للآراميين والذي يمتد ، كما العصر الحربي ، ألف سنة اخرى ، عصر تلاقح عناصر الثقافة الآرامية مع الثقافات الوافدة الى ارض العراق والشام والجزيرة من ثقافات فارسية ويونانية ورومانية . . . وقد نتج عن هذا التلاقح لوناً جديداً من الثقافة ، رغم مآسيه السياسية والعسكرية .

- ولقد اسمينا الألف الأخير من تأريخ الآراميين بعصر اللغة الآرامية لأن الشرق الأدنى القديم (غرب آسيا) ، استخدم هذه اللغة كلغة رسمية للكتابة والتخاطب وكانت بمثابة اللغة الموحدة لأرض تشمل بلاد فارس وآسيا الصغرى والعراق والشام والنصف الاعلى من جزيرة العرب . ورغم ظهور امبراطوريات ودول ليست من الأرض العربية القديمة كالامبراطورية الفارسية ثم المقدونية والهيلنستية والرومانية خلال هذا الألف عام ، إلاّ أن اللغة الآرامية كانت هي التي تجمع بينها ، إضافة الى انها كانت لغة الاقوام الاصليين لهذه المنطقة . ورغم أن اللغة العربية حلتّ محلها بعد ظهور الإسلام لكن اللغة السريانية ما زالت تستخدم قراءةً وكتابةً الى يومنا هذا في العراق والشام . . . وهي وريثة اللغة الآرامية .

وقد حملت اللغة الآرامية معها الثقافة الآرامية بكل وجوهها من ديانة الى فكر الى فنون الى علوم .

- ولا شك أن تأريخ اللغة الآرامية قد تطور كثيراً منذ ظهور الآراميين بسبب احتكاكها مع الأقوام السامية وغير السامية التي جاورتها ، ولا نعرف عن هذه اللغة شيئاً حتى بداية الألف الأول قبل الميلاد ، حين ظهرت النصوص الأولى المكتوبة بحروف آرامية .

- اللغة الآرامية سامية من حيث تكوينها . . وتنتمي جغرافياً وتاريخياً الى اللغات الغربية الشمالية ، أما حرفياً (تركيب الكلمة من مقاطع أو حروف هجائية) فإنها تنتمى الى مجموعة اللغات الحروفية الهجائية .

- كانت المرحلة الأولى من اللغة -الكتابة الآرامية- في النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد وهي مرحلة الممالك الآرامية ، وشهدت اللغة في هذه المرحلة تحول بعض الحروف الى حروف أخرى ، وانقرضت الحروف الاولى ، مثال على ذلك ، أهم هذه الحروف هو (ض) الذي تحول الى (ق) كما في كلمتي (أرض ومرض) ، وهما بلغتهم (ارق ومرق) وقد يعود هذا الى تأثير السكان غير الاصليين الذين عاشوا معهم جنباً الى جنب ، وكان من الصعب عليهم لفظ حرف الضاد (انظر ابو عساف 1988:80) .

- اما الكتابة الآرامية في هذه المرحلة ، فانها كانت تميل الى الخط المسماري في الممالك الآرامية العراقية القديمة والذي يشبه الخط المسماري الآشوري والبابلي ، وبذلك اضطروا لاستخدام المقاطع الهجائية الصعبة .

في حين كانت الكتابة الآرامية في بلاد الشام بالخط الكنعاني الجديد الذي يعتمد على الحروف لا على المقاطع ، وهو ما يسّر الكتابة الآرامية وجعلها سهلة الانتشار .

- اما في النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد ، فقد ساعدت الامبراطورية (الفارسية الاخمينية) على نشر اللغة والكتابة الآرامية (رغم أنها اسقطت آخر كيان سياسي لها وهي الكلدانية) ولكنها وجدت نفسها تستعمل لغة مكونة من (22) حرفاً على نمط الأبجدية الآرامية . وقد وجدت أن هذا يسّهل تعاملها مع سكان بلاد العراق والشام وشمال الجزيرة . وبذلك كان القرنان الفارسيان (رغم كونهما نوعاً من الاحتلال السياسي والعسكري) كانا مقدمة طويلة لترسيخ اللغة والكتابة الآرامية لما تلت من القرون ، لأن مجيء اللغة والكتابة الاغريقية والرومانية للمنطقة بعد ذلك ، لم يتمكن من زحزحة البناء اللغوي العريق والراسخ الذي تشكل عبر عشرات القرون السابقة .

- انتشرت اللغة الآرامية بواسطة الامبراطورية الفارسية الى آسيا الصغرى وافغانستان والهند ، وظلت حيّة في هذه المناطق لفترات طويلة . ورغم أن اللغة العبرية كانت ما زالت تستخدم من قبل اليهود ، الاّ انها اختفت في حدود منتصف القرن الثاني قبل الميلاد (عصر المكابيين) وحلت الآرامية محلها .

- وإذا كان تلمود بابل (وهو شرح التوراة) الذي ظهر في العراق القديم ، قد كتب بالعبرية المخلوطة بالآرامية ، فان تلمود القدس (الترجوم) كتب بالآرامية .

أما كتاب (المشنا) أو (المثنى) فقد ظهر في القرن الثالث الميلادي بلغة عبرية مخلوطة بالآرامية .

- ورغم هذه المقاومة الجزئية للعبرية أمام الآرامية ، الاّ اننا سنشاهد الانتصار الساحق والعظيم للآرامية وهي تحتضن لغة الدين المسيحي السريانية - وتزدهر منذ القرن الثاني الميلادي .

- وقد ظهرت في جنوب العراق لغة آرامية خاصة هي اللغة المندائية التي تكلم بها الصابئة المندائيون وكتبوا بها اسفارهم وكتبهم المقدسة .

- والجدير بالذكر أن تلامذة زرادشت الايراني ، الذين جمعوا أقواله بعد موته في كتاب مقدس هو (أفستا) أو (الابستاق) كان مكتوباً باللغة الآرامية .

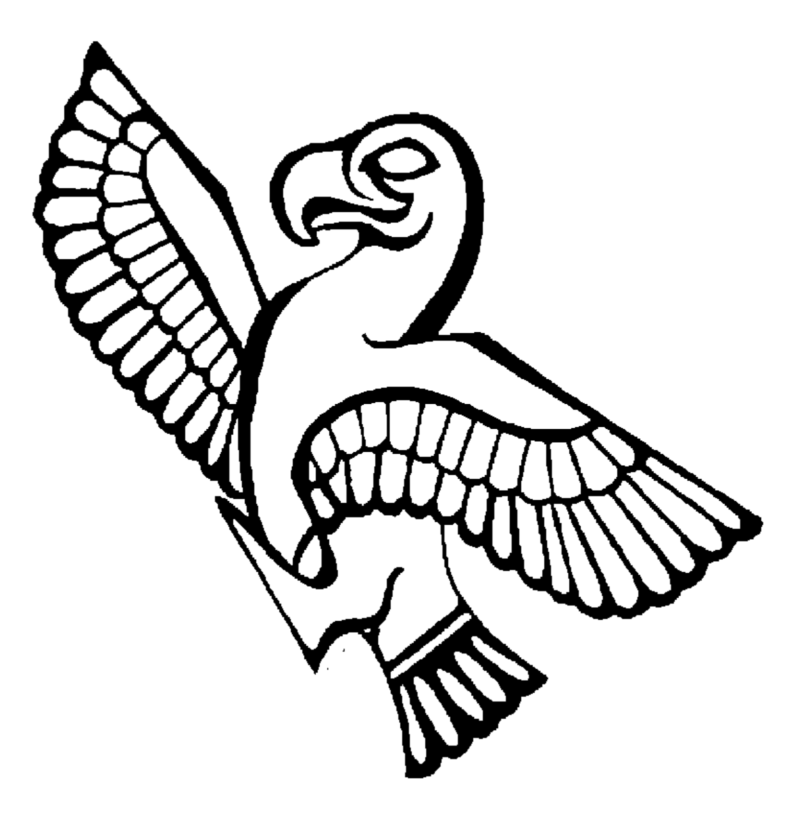
- ويثير فينا هذا المشهد الروحي الواسع لانتشار الآرامية ، واستعمالها كلغة دينية للزرادشتيين والصابئة واليهود والمسيحيين ، سؤالاً هاماً وخطيراً سنعلقه في ذمة التاريخ لتجيب عليه الأجيال القادمة هو : ماسرّ هذه اللغة . . وماسرّ هذا النبض الروحي العميق في داخلها والذي جعلها لغة أهم عقائد المنطقة قبل ظهور الاسلام؟

وهل كانت الآرامية بعيدة عن لغة العرب والإسلام أم كانت هي جذورها؟

الفصل الثاني

المثولوجيا الآرامية

(دراسة في الآلهة والرموز والأساطير الآرامية)





[الثور والطير رمزا الإله (ور - مر)]
ثم الإله (حدد)

«حدد . . سيد السماوات والأرض ، منزل الخيرات ، ومنبت الرعي ، ومسقي الأرض كلها ، ومعطي السلوة وأقداح الشراب لكل الآلهة إخوته . سيد الانهار كلها ، مسعد كل البلدان ، إله رحمن ، الذي صلاته طيبة . ساكن مدينة سيكاني . السيد . الرب» .

من نقش الملك (حدد يسعى)
أحد ملوك بيت بحياني
حوالي(800ق .م .)

- جرياً على منهجنا في تقسيم الدين الى ثلاثة مكونات رئيسة هي (الاسطورة والمعتقد والطقوس) ، فاننا سنتناول في هذا الفصل الركن الأول الذي هو المثيولوجيا الآرامية ، وسندرس فيه كل ما يخص الآلهة الآرامية وشجرتها وتطورها عبر الزمن والأساطير الآرامية (حيثما عثرنا على ما يشير لها) .

- ولا بد من التنويه أولاً بأن النصوص الآرامية الدينية غير ميسرة وقليلة العدد ، ولذلك يجد الباحث في المثيولوجيا الآرامية ، صعوبة كبيرة في تتبع آلهتها وقصص هذه الآلهة ، ويجدها مختلطة بالتراثين (الآشوري البابلي والكنعاني) . . . . ولذلك توجب علينا السير بدقة في طريق محفوف بالصعوبات ، وفي منطقة يشوبها ضباب كثيف ويعتري أصولها غموض شديد .

1- الآلهة الآرامية

- كانت المقدمة التأريخية التي شرحناها في الفصل الأول ضرورية لفهم وتفسير الكثير من الظواهر الروحية المتعلقة بالدين الآرامي .

- إن البحث في الآلهة الآرامية يستوجب دقةً كبيرةً لتلافي الخلط ، وتجنب التعميميات التي تعج بها الكتب التي تتحدث عن معتقدات بلاد الشام ، فالآلهة الآرامية قديمة قدم الآراميين أنفسهم ، ولا يجوز لنا تعميم التطورات اللاحقة التي طرأت عليها وعلى بدايات المعتقد الآرامي .

- لقد شاعت بين مؤرخي الأديان والذين يكتبون في حقل الأديان والمثيولوجيات القديمة عموماً نزعة خلط الآلهة الآرامية ، بل والمعتقد الآرامي كله دون عناية ودقة وتمحيص ، كما استسهلوا دمج وتغيير أسماء الآلهة الآرامية بالآلهة الكنعانية والبابلية .

- ورغم أن النصوص التي تتحدث عن الآلهة الآرامية قليلة ، لكننا سنحاول جهد امكاننا فرز الأمور كما يليق بها ، آخذين بنظر الاعتبار مراحل التطور والاختلاط التي مرّ بها المعتقد الآرامي والآلهة الآرامية .

- إن الخطأ الكبير الذي يرافق هذه البحوث هو أنها تبدأ بالحديث عن المعتقد والآلهة الآرامية من نهاياتها الهيلنستية والرومانية وكأنها هي الثوابت . وهي طريقة انتهجها الكُتاب والمؤرخون القدامى في تلك العصور مثل (فيلون الجبيلي) و (لوقيانوس السمسياطي) وغيرهم . وهو ما يجب أن يتريث أمامه الباحث العلمي الحديث ويستخدم تلك الكتابات للمقارنة والتنقيب أكثر مما يستخدمها للإنطلاق وتتبع النمو .

شجرة الآلهة الآرامية

- تقف صعوبات كثيرة أمام تنظيم شجرة أنساب دقيقة للآلهة الآرامية بسبب قلة النصوص ، وعدم معرفتنا الدقيقة بأنساب هذه الآلهة وكيفية تتابعها وتوالدها ، وبسبب غياب الأساطير الثيوغونية الآرامية .

ومع ذلك فقد حاولنا (بحذر شديد) تنظيم مثل هذه الشجرة ولا نستطيع ان نسميها شجرة أنساب بالمعنى الدقيق لعدم تأكدنا من علاقات النسب فيها ، بل هي شجرة بانثيون

(مجمع) للآلهة الآرامية تتابع النمو والتطور التأريخي الذي مرّ به الآراميون والأقوام التي خالطوها حرباً وسلماً ، وسنشير في حالة اكتساب الآراميين لآلهة غريبة عنهم ودخولها في منظومتهم الى كيفية وأصل حصول هذا الاكتساب .

- سنقوم بتقسيم شجرة الآلهة الآرامية الى سبعة أجيال حسب تطورها التأريخي ، وسنتناول هذه الآلهة جيلاً بعد آخر بالشرح والتحليل ، مشيرين الى الأساطير المرتبطة بها ، وعلاقتها بآلهة الأديان الاخرى القريبة منها والمؤثرة أو المتأثرة بها .

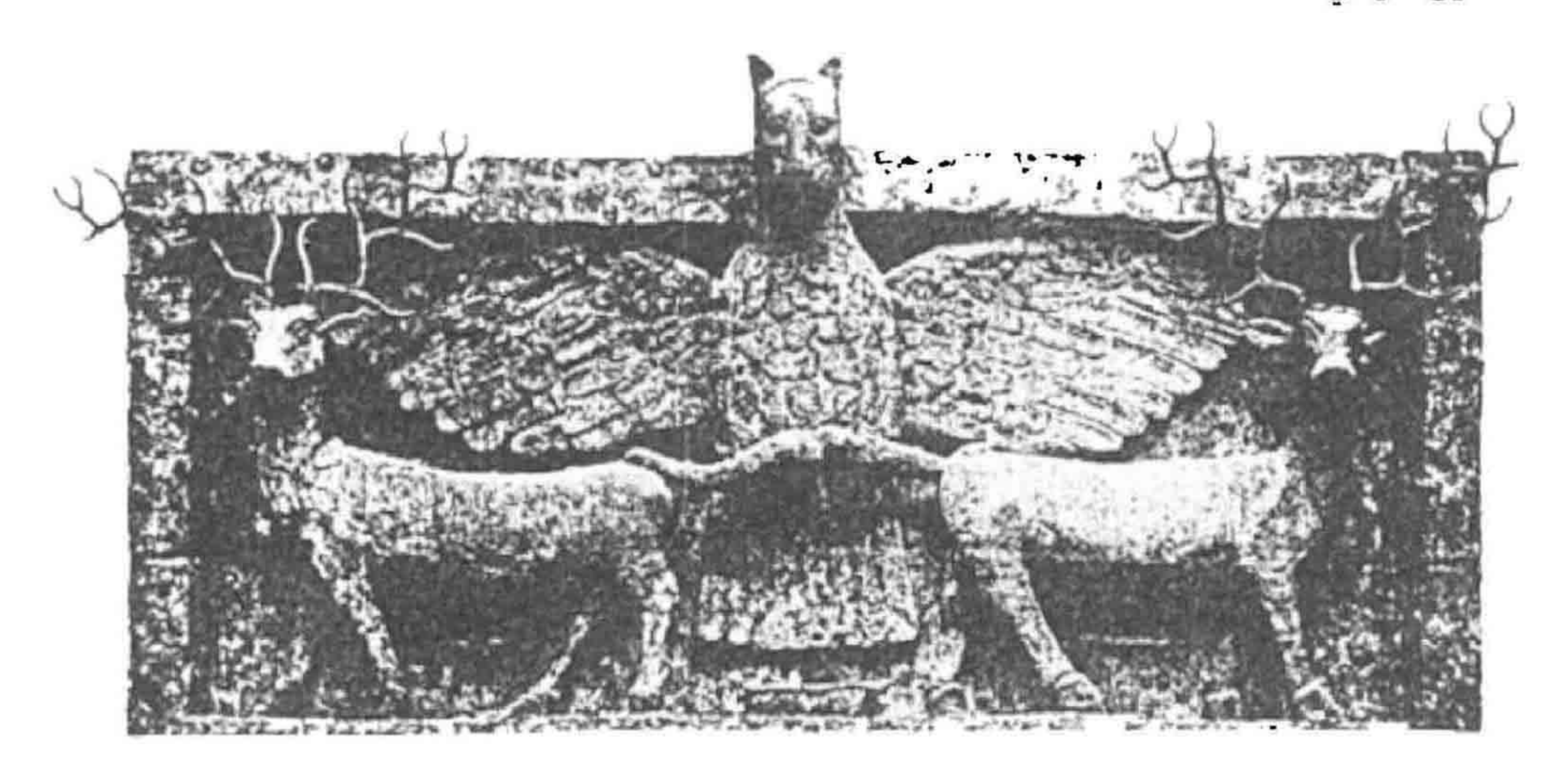
1- الآلهة القديمة (الهيولية):

- بعد بحث مطوّل وتأمل عميق في شجرة الآلهة الآرامية التي وضعناها في هذا الكتاب (انظر جدول 2) ، توصلنا الى أن هناك جذوراً قديمة للآلهة الآرامية . وسنضع مقترحنا في تصور تلك الجذور القديمة هنا آملين أن تزودنا الآثار بما يعزز هذا التصور .

- نرى أن الآلهة القديمة الأولى للآراميين تبدأ بالإلهة الآرامية الأم (أم) ، والتي يعني اسمها بالسومرية (الريح أو الهواء) . وبالطبع فاننا لم نجد ما يذكر بهذه الإلهة الأم القديمة عند الآراميين ، ولكننا وجدنا بعض آثارها عند السومريين فهي إلهة الريح القاسية التي يُطلق عليها (أم دوجد) إلهة الريح القاسية التي تظهر دائما على شكل طائر ضخم ، وتعطينا قطعة أثرية عثر عليها في تل العبيد تعود إلى الألف الرابع قبل الميلاد .

فكرة عن هذه الإلهة ، فهي إلهة برأس لبوة وبجسد نسر أو رخمة (انثى النسر) ، وتضع مخالبها على (إيلين) . ولا شك أن هذا يدل على السرعة والحركة وهكذا تكون رموزها هنا كلها تشير الى الريح والهواء ، أما اللبوة فتشير الى أنوثتها المصحوبةً بالقوة ، إضافة الى ان اللبوة والأسد أصبحا يشيران الى الألوهة المؤنثة التي ارتبطت لاحقاً بعشتار .

- ويرى (اذزارد) أن (أمدوكد) تشير الى شكل من أشكال إله الطقس في الأصل «ويطالعنا على المنحوتات منذ عصرً (جمدة نصر) محلقة فوق زرائب الحيوانات الأهلية أو ضاربة إياها بمخالبها الحادة ، وهنا وتجسد (أمدوكد) قوى الشر التي تهدد حياة الحيوانات الأنيسة ، وتركّب من اسماذها أسماء أشخاص في عصر (فارا)» (اذزارد 51:87) .



الشكل (1)

الإلهة (أم دوجد) إلهة الريح القاسية (والتي نرى أنها الإلهة الآرامية الأم) وهي تمتطي أيلين.

ونرى أن (أم) هي الإلهة الآرامية القديمة الأولى وأن لها اسطورة خليقة قد تشابه اسطورة (تيامت) الب (اينوما إيليش) لكنّ بطل هذه الاسطورة هو الإله (حد) أو (أدد) وهو الإله الارامي الذكر الذي قضى على الإلهة الأم .

لقد تّم تصفية الإلهات الأم في كل أساطير الامم القديمة التي عاشت في مناطق وادي الرافدين وسوريا ، وقد قضى (مردوخ) على (تيامت) ، وقد اثبتنا في كتابنا - الآلهة الكنعانية - أن الإله (بعل) قضى على الإلهة الكنعانية الام (يم) وكذلك حلّ الإله (إنليل) السومري محل الإلهة السومرية الام (نّمو) (انظر الماجدي 1999) .

- وربما كانت الصورة التي عُثر عليها منحوتةً على إحدى الجدران الآشورية ، والتي تمثل الإله (أد) الذي يمسك بصاعقتين مزدوجتين وهو يهاجم إلهة مجنحة تمثل جانباً من مشهد الصراع بين (أدد) و (أم) . ولذلك نختلف مع الذين رأوا بأنها صراع بين (مردوخ) و (تيامت) لأن الاجنحة دلالة الريح وهي ميزة لكل من (أدد) اله البرق والصواعق و (أم) الإلهة الآرامية الأم الاولى .

- وهكذا يمكننا تصور قصة خليقة آرامية يهاجم فيها (حد أو أدد) الإلهة الأم (أم) ثم يشطرها الى نصفين هما (أ) و (م) اللذان يرتبط بهما عادة حرف الراء الذي يدل على

الأرض وهكذا تتكون آلهة الافق (أر - مر) ثم (مر- أر) ثم (مر - ور) الذي ينشطر نهائياً الى الإله (مر) إله السماء حيث اطلق الأراميون لاحقاً اسم (بعل شماين) أي سيد السماء والإلهة (ور) التي هي إلهة الأرض ، ووجد اسمها بصيغة مؤنثة هي (أرقوم) التي تقترب من كلمة أرض العربية .



شكل (2)

الإله (أدد) يهاجم الإلهة الآرامية الأم (أم)

- وفي مرحلة لاحقة سيأخذ الإله حدد مكان (مر) وسيتحول بشكل نهائي الى الإله الذكوري الأكبر الأب ، إله الفضاء والسماء والعواصف والامطار . وستصبح مركزية (حدد) أكبر من أي إله سامي آخر عند قومه ويكاد يصل الى التوحيد حيث تنطفىء الآلهة الأخرى أمامه إلا زوجته المرافقة (عتر) .

- وهكذا تأخذ (عتر) مكان أمها (ور) وتبقى فيها صفة الطيران التي ترمز لها الحمامة أو الطائر أو الأجنحة .

- ويبدو لنا أن التوحيد الارامي المتمثل بـ (حد) ، قد اتخذ شكلاً متطرفاً فعمد الآراميون الى إلغاء أو إخفاء أو محو كل الآهلة الأخرى التي كانوا يتعبدونها ، ولم تبق الاّ آثار ذاوية مبهمة تدل عليها . ولأهمية هذه النقطة سنناقش مفصلاً طبيعة الإله (حدد) والتوحيد الذي ترسخ من خلاله أكثر من غيره من آلهة الكنعانيين مثل (إيل) أو البابليين مثل (مردوخ) أو السومريين مثل (إنليل) .

2- إله الآراميين الأوائل (حدد):

- بعد تمحيص دقيق وتتبع طويل للحياة الدينية الآرامية وخصوصاً في مراحلها الأولى ، توصلنا الى وضع فرضية جديدة تختلف عن ما هو مألوف ، في معالجة مثل هذا الموضوع وسنقدمها هنا .

- نرى أن الآراميين الأوائل القدامى الذين ظهروا منذ منتصف الألف الثالث قبل الميلاد ، استقروا على عبادة إله واحد ولم يكونوا يعرفون سواه ، وهو الإله (حدد) . وهذا يعني أن الآراميين هم اصحاب نزعة التوحيد الأوائل . . . اذ لم يكن التوحيد عندهم أحد المعتقدات إضافة الى التفريد والتعدد (كما هو الحال عند السومريين والأكديين والبابليين والآشوريين في العراق القديم) أو (العموديين والكنعانيين في بلاد الشام القديم) ، بل كان هو العقيدة الأساسية بعد ان نُسيت أو أهملت قصة الخليقة الاسطورية التي كانت (أم) مركزها . ولكن هذا التوحيد لم يبق طوال تاريخ الآراميين صامداً نقياً دون أن تشوبه عقائد التعدد والتفريد وخصوصاً بعد أن احتكّ الآراميون بالأقوام المجاورة لهم كالآشوريين والحوريين والحيثيين والبابليين والكنعانيين .

ورغم ذلك فقد بقي الإله (حدد) هو الإله الأعظم للآراميين ، بعد أن كان الإله الأوحد ، ولم يتنح عن مركزيته وسط دوائر الآلهة الجديدة المحيطة به ، ولم يصرعه إله أعداء أو أصدقاء بل ظل قوياً واخترق اكثر من ألفين ونصف الألف من السنوات ، حتى بدأ يذوي عندما صار تجسيده شاملاً في الديانة المسيحية وذاب (حدد) في الآب . . وحلّ الثالوث المسيحي القديم مكان الثالوث الآرامي تماماً .

- ولنبدأ من البداية . . فما هو أصل هذا الإله؟ وما طبيعته؟ وكيف كان يعبد في الأزمان الأولى للآراميين؟

- يوحي اسم الإله (حدد) في الآرامية بالمقابل العربي له (أحد ، واحد ، وحد) وهذا صحيح الى حدٍّ بعيد ، فكلمة (حد) الآرامية تعني الواحد الأحد وهذا أول ما دعانا لاعتبار الإله (حدد) هو الإله الواحد الأحد للآراميين في أزمانهم الغابرة .

- لكننا عندما نعود الى اللغة السومرية والمثيولوجيا السومرية فاننا سنجد أن الإله (إشكور) هو إله الطقس (العواصف والبروق والرياح) عند السومريين ، وكان بمثابة إبناً للإلهة (إنانا) وكانت زوجته (شالا) أو (شلش) إلهة النار ، التي يمكن ان تكون من أصل حوري .

وكان الإله (إشكور) السومري يسمى بالأكدية (أدد) ويُعتبر أيضاً إبناً للإله (آن) إله السماء .

- وكان (أدد) يوصف بأنه (يرعد في السحب) ، وعندما يقوم فان الريح تعصف . وفي اسطورة الطوفان البابلية يظهر (أدد) بصورة الإله الراعد في المقدمة ويعاونه إلهان مساعدان هما (شولاّت وخانيش) الإلهان التوأمان اللذان يحملان العروش الإلهية ، قبل الشروع بالمطر والطوفان :

«وإذا بغمامةٍ دكناء تصعد الافق
وداخلها لم يكفّ أدد عن الرعد ،
في المقدمة ، كان الإلهان شولاّت وخانيش يسيران
يتقدم حاملا العروش ، في الجبال والسهول
ونزع نركَال عارضات (السدود الإلهية)
وتقدم نينورتا الذي يهدم سدود السماء
ورفع الآلهة الانوناكي المشاعل
وجعلوا الأرض تلتهب بوهج أنوارها .
إجتاز صمت أدد الرهيب عبر السماء
وأحال الى الظلمات كل ما كان نيّراً
وتحطمت أركان الأرض مثل جرة
هبت العاصفة يوماً كاملاً ،
وعصفت بجنون (وأثارت الفيضان) ، ، (لابات 255:1988) .

- هذه هي صورة (أدد) الأكدية فهو إله راعد عاصف مدمر تّولى أمر تنفيذ الطوفان وهلاك البشرية . وواضح أنه إله سماوي .

وكان رمز الإله (إشكر) السومري هو الصاعقة التي تشبه الشوكة الثلاثية المزدوجة وذات البروق الستة التي تشبه اغصاناً أو أصابع متموجة وقد كان هذا الرمز للإله (إشكر) منذ النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد ، وأصبح رمز (أدد) ثم رمز (حدد) .



الشكل (3)
الإله (حدد) في تل بارسيب

- ويمكننا أن نفسر الرقم السري أو الرمزي للإله (أدد) بالرقم (6) من هذه الأصابع البرقية للصاعقة ، ونلاحظ أن الرقم (6) هو اصغر رقم رمزي للآلهة السومرية والأكدية كما أنه يعود بذاكرتنا العددية الى الرقم (60) وهو رمز أعظم الآلهة واكبرها وهو الإله (آن) إله السماء . ولذلك نقول أن هناك علاقة بين إله السماء (آن) والإله (أدد) ، فاذا كان قد وصف بأنه إبنه فلربما كان أيضاً بديله القادم أو شكله المتجدد ومن هذه النقطة يمكن النظر لواحدية الإله (أدد) وفيما بعد عند الآراميين (حدد) .

- وقد كانت الأساطير السومرية تصف الإله (إشكر) الذي هو (أدد) بأنه (القفل الفضي لقلب السماء) وربما يعني هذا مسؤوليته عن غزارة الأمطار أو أنه مركز السماء وأسرارها .

- ونتأمل أكثر في معلومة أخرى تقول أن رقم (أد) الرمزي أو الإلهي هو (10) وهذا ما ينفعنا لاستنتاج آخر هو أن هذا الإله يحمل في رقميه (6) و (10) النظامان الرياضيان السومري الستيني ، والبابلي (الاكدي) العشري ، فهو يمثل كمال النظام الرياضي القديم . وهذا يشير الى كماله الإلهي أيضاً . وربما كانت كلمة (عدد) ذات علاقة باسم (أدد) و (حدد) ورغم أن الرقم (10) هو رقم الإله (ننورتا) (إله العاصفة) ولكن الشائع أن (نورتا) أخذ رقم أبيه (إنليل) (50) ، ولذلك نرجح أن الرقم (10) هو الإله (أدد) في حالة العاصفة ، وأنه الرقم (6) في حالة البرق أو النور الاعظم . وهكذا يجمع (أدد) في اعماقه فكرتي الريح والبرق (الهواء والضوء) ، وهي فكرة دالة على (الظلام والنور) التي سنجد صداها في سلالته الآرامية .

- وتطالعنا معلومة أخرى في اللغتين السومرية والاكدية ، فقد كان يرمز عموماً الى إله الطقس بالاشارة المسمارية (دنجر - إم) التي تعني الريح أو (إله الريح) ، وتظهر الإشارة المسمارية هذه في قوائم أسماء الآلهة من مدينة (فارا) ، ويشرح نص سومري أحدث هذه الإشارة بالاسم (و . إشكور) ، ويعرف باسمه السامي (أدد - أدّا - أدوّ) في العصر الاكدي القديم ، ويقابله في اللغات السامية الأخرى (حدد) بالاوغارتي والآرامي .(انظر اذزارد 1987-44) .

وتفتح هذه المعلومة مصراع بابين :

الأول : إن للإله (أدد) في اصوله القديمة علاقة بإله الريح (إم) وربما كان نظيراً له ، والإله (إم) هو في حقيقته طائر الصاعقة الإله (إمدوكَد) ، الذي يوصف أحياناً كإلهة أم ترعى صغارها (راجع مغامرات لوكَال بندا - انظر الماجدي 1998 أ : 205) ، وكان طائر الصاعقة (زو) هو رمز الإله (ننكَرسو) (أخ ننورتا) وسلاحه ، ويرسم على شكل أسد بجناحي طائر أو لبوة بجناحي طائر . وتعطينا كل هذه المدلولات إشارة الى الجانب الأمومي العاصف في شخصية (أدد) .

الثاني : إن كلمة (أدّو) و (أدّ) السامية تعني الإله الحامي في السومرية (أودو) و (اودوج) وتصور كعفاريت شريرة ، ولكنها تستخدم للحماية ودرء الأذى .

أما (أد) فهو عفريت سومري ذكري يقابله في الاكديه (شيدو) وهو شخصية حيادية يغلب عليها طابع الخير ثم أصبحت حامية للانسان في العصر الذي تلا العصر البابلي القديم (المرجع السابق : 117) .

- وهذا يعني بالاجمال أن كلمة (أدد) التي هي مصدر كلمة (حدد) كانت تعني إلهاً سماوياً إبناً لـ (آن) أو بديلاً عنه ، كما أنه شمل كل ما تعنيه كلمة إله الريح في صيغته الذكرية أو الانوثية والإله الحامي ، وجوهر النظام العشري والستيني .

- إن هذه الصفات كما نعتقد هي التي رشحت هذا الإله لأن يكون إلهاً مطلقاً واحداً رأى فيه الآراميون الأوائل الإله الواحد الأحد الذي أصبح في لغتهم القديمة (حدد) .

- ونحن نرى أن كلمة (هدد) جاءت متأخرة بعض الشيء لتمييز لفظ الإله ، فقد كانت (حدد) تكتب بالابجدية الآرامية ويمكن أن تلفظ (حدد) أو (خدد) لأن علامة الحرفيين (ح ، خ) واحدة ، ولذلك أخذت شكلاً وسطاً بين الاسم الاكدي القديم (أدد) والاسم الآرامي القديم (حدد) وهنا دخل حرف الهاء في البداية . كما أن هناك شبهاً لحرف الهاء مع حرف الحاء في الكتابة ، ولنتأمل في طريقة كتابة اسم هذا الإله أبجدياً باشكاله الثلاثة (بالحروف الآرامية) .

أدد 44 ⋞

حدد 44 ⌸

هدد 44 ⌸

– وما دمنا في الأصل الرافديني (العراقي القديم) للإله الآرامي (حدد) فقد ورد أن الاسم الشعبي لهذا الإله في العراق القديم هو (وِرْ) أو (مِرْ) .

ويرد هذا الاسم في قائمة الاسماء الإلهية الآرامية لاحقاً بالخط المسماري بصيغة (إ – لو – مي – ير) أو الاله مير و (ور) أيضاً .

وعندما نبحث في القواميس العربية نجد أن :

– ويبدو أن (ور) و (مر) اسماء أو ألقاب شعبية للإله (حدد) وقد ظهرت قديماً في العصور الاكدية ، ثم أصبحت اسماء شعبية للإله عند الآراميين في العراق القديم والشام القديمة معاً .

– واذا كان السومريون قد نظّموا الري عندهم وصارت الأمطار ثانويةً في حياتهم الزراعية ، فان ذلك انعكس على دور (أدد) واصبح إلهاً ثانوياً . لكنّ الاكديين والآراميين والآشوريين وجدوا فيه إلهاً عظيماً وأساسياً ، لأنه يحمل قوى الطبيعة الخيّرة والشريرة ، فإنه إن أمطر كان خيراً وان عصف ودّمر وخرّب أو حبس الماء في السماء كان شريراً غاضباً توجب الخوف منه .

لقد عُبد الإله (أدد) في العراق القديم قرب مدينة (أور) ، وفي (موروم) التي لم يعرف مكانها بعد ، والتي يدل اسمها على أنها مدينة الاله (مر – ور) ، أما في بابل وفي آشور فقد عبد الإله (أدد) كإله سماوي عظيم وكان يشارك (آن) في معبد واحد . وهذا يشير الى مكانته وإلى علاقته الخاصة بالإله (آن) والتي أشرنا إليها .

– وبطبيعة الحال يصعب علينا الحديث عن معابد آرامية تعود إلى الألف الثالث أو الثاني قبل الميلاد في العراق أو سوريا . . ولذلك نرجّح أن أوائل الآراميين عبدوا هذا الإله في العراء ، وربما كانت له حجارة كبيرة أو أعمدة كبيرة دالة عليه ، رمزاً لوحدانيته وعدم وجود آلهة معه ، ولكننا لا نستطيع أن نجزم بهذا .

وكذلك لا يمكننا الحديث في هذه المرحلة عن أساطير آرامية خاصة بالإله (حدد) . لأن الكتابة الآرامية ظهرت في وقت متأخر عنها وليس فيها ما يشير الى مثل هذه الأساطير ، بسبب ضياع ودمار اغلبها .

- بقي أن نبحث في العلاقة بين اسم الإله (حدد) واسم الآراميين (آرام) أو (إرم) .

- إن كلمة (إرم) تعني السمو والعلو ، وكذلك كلمة (روم) تعني رفع أو علّى . . وبذلك تعبر كلمة (آرام) عن السمو والارتفاع والعلوّ وأصلها الصوتي يتكون من (رم ، رام ، ارآم ، إرم ، روم) . ومن هنا يمكننا القول أن الإله (مر) كان يعبر عن (رم) وكذلك (ور) . وهو الاسم الشعبي للإله (حدد) .

فهل نستطيع أن نخرج باستنتاج جديد فنقول أن الآراميين كانوا يعبدون أولاً الإله الذي تسّموا باسمه (ارم)؟ ولكن هذا الاسم بمرور السنين تحوّل الى (أر) و (ور) و (مر) ، ولأن صفات هذا الإله كانت مطابقة لصفات الإله (أدد) (العلو ، العاصفة) والذي كان ذا جهاز لاهوتي مكتمل عند السومريين والأكديين (وهم اكثر تحضراً من الآراميين آنذاك) من حيث رموزه وشكله ووظائفه .

لذلك طابق الآراميون بين إلههم القديم (ور) أو (مر) و (حدد) واحتفظت الذاكرة الشعبية للناس بالاسم القديم الدال على أصل الآراميين أيضاً .

- ونجد في اسم أقدم موطن للأراميين في عهد نرام سين وثيقة تتحدث عن مدينتي (سميرام) و (آرامي) .

- وإذا كنا قد عرفنا معنى آرامي ، فما الذي يمكن ان تعنيه مدينة (سميرام) التي نرى أنها الموطن الأول للآراميين ومنها هاجروا وتوزعوا في بلاد الرافدين والشام (ولا نرى أنهم هاجروا من جزيرة العرب الى بلاد الرافدين والشام) .

وقد قلنا سابقاً أن هذه المدينة هي أصل مدينة سامراء الحالية التي ظهر فيها أجداد السومريين قبل نزوحهم إلى جنوب العراق .

- وبناءً على ذلك يمكننا تحليل إسم (سميرام) من خلال اللغة الآرامية نفسها فهو يعني أحد احتمالين :

الأول : شم + رام : اي اسم رام ويعني اسم مكان مرتفع وربما كان جبلاً أو تلاً ، وربما كان يعني السماء لارتفاعها .

الثاني : شوم + رام : أي رفع رام وهو رافع المكان ، أو رفع المكان .

وربما كانت شم ، أو شوم تعني السماء وبذلك يكون السماء المرتفعة .

- وفي كل الاحوال تدل السماء المرتفعة على الإله العالي الواحد (رام) الذي تحول الى (مر) أو (ور) أو بالعكس .

- وربما استطاع هذا الاستنتاج أن يدلنا على الأصل المشترك للعموريين والآراميين ، فقد عبد العموريون الإله (مارتو) ، والذي يمكن أن يكون له صلة بالاله (مر) أو (مار) الآرامي ، وربما كانا إلهاً واحداً ، وحين ظهر العموريون أولاً غرب الفرات على تخوم المدن السومرية ، ثم تحضروا وكوّنوا مدناً ما بين النهرين ، بقي الآراميون الذين تربطهم صلة جذور وتأخروا في الظهور الى زمن لاحق .

- هذه الاستنتاجات نضعها عن هذه المرحلة القديمة ، ربما تساهم في فك شفرة اللغز الآرامي الأول وهو : من هم هؤلاء القوم؟؟

وربما ألقت اللغة المصرية القديمة ضوءاً على هذه الاسماء! ففي اللغة المصرية تظهر لنا كلمة (م ر) مرتبطة بإلهة تحت اسم (مر سقرت) أو (مرت سقرت) ، التي تصور عادة على شكل أفعى برأس إمرأة أو أحياناً على شكل عقرب برأس أنثى . وهي إلهة (جبّانات الموتى) ومعنى اسمها (مُحّبة الصمت) .

ويرتبط (مر) أو (مرت) في المصرية القديمة بجذور يفيد : الحب ، المحبة . ويرى الدكتور - علي فهمي خشيم - أن كلمة (مر) هذه هي مقلوب لما في العربية (رم) الأكدية الأصل : رامو Ramu =حب/محبة . ومن هذا الجذر الثنائي (رم) جاء الجذران الثلاثيان (رام) و (روم) ومنها : رام ، يروم = رغب . أحب ، اشتهى . و : الرأم = العطف والمحبة ومنها : أم رؤوم = محبة (انظر خشيم 504:1990) قد تأتي كلمة (مريت) بمعنى (ربة الفيضان) .

أما كلمة (ور) فتأتي في المثيولوجيا المصرية لتعبر عن طائر الخطّاف المقدس ، والذي عُبد كحيوان مقدس في منطقة طيبة ، وكانت إيزيس اتخذت شكل الخطاف لترفرف حول السارية التي تحمل نعش أوزيريس .

وتشير الكلمة في القاموس الهيروغليفي الى معنى (عظيم) أو (كبير) ، وتشير هذه الكلمة في القاموس العربي الى المعنى نفسه ، مثل (الواري -الضخم ، وري- مكتنز . . .إلخ) . أما الأكدية فتخبرنا أن (آرو) تعني حاكم أو يحكم ، ومنها اشتقت كلمات اخرى مثل (مارو) و (أرتو) وتعنيان الحكم والسيادة والعظمة ، ومن كلمة (آرو) اشتقت كلمة (إير) وهي كنية للإله السومري (إنليل) وتعني (العظيم) كما تعني (الحاكم) (انظر المرجع السابق : 545) .

- وعندما دمج المصريون القدماء الكلمتين مع بعضهما ، نتج عنهما (مر . ور . - Mer Wr) التي تعني مثيوجيا العجل المعبود الذي عرفه الاغريق باسم (منيفسMenevis) ، وهو أحد العجول الكثيرة المقدسة في مصر ، وكان يُعبد في (عين شمس) ويمثل بقرص الشمس وأفعى (اليواريوس) بين قرنيه ، وكان يُحسب باعتباره جزءاً من عبادة الشمس تجسيداً للإله (رع) . أما المعنى الحرفي لكلمة (مر . ور) فتعني السيد العظيم (المرجع السابق : 505) . وتقودنا هذه الجولة في معاني كلمتي (مر) و (ور) الى أنهما تدلان على العظمة والسمو والمحبّة . . . . الخ ، وتشير جذورهما الرمزية الى الثور والطير ، وهو بالضبط ما تلّمح له صراحة المثيولوجيا الآرامية حيث أن (مر . ور) الإله القديم الذي سبق أو قابل الإله (حدد) يشير الى الثور والطير معاً .

وإذا كانت (ور) تشير الى الانوثة فان (مر) يشير الى الذكورة حيث يجتمع في هذا الإله صفات الذكورة والانوثة وذلك لشموليته .

• • •

- ولإكمال صورة هذا المشهد نقول أن الإله (مر) بقي محتفظاً باسمه في شمال وادي الرافدين حتى القرون الميلادية الأولى عندما ظهر -بطريقة عجيبة- تحت اسم (مرن) إله مدينة الحضر (عربايا) الأول وظهر معه ثالوثه المكون منه ومن ابنه (برمن) وزوجته (مرتن) . وتبدو (الحضر) وكأنها احدى آخر المدن الآرامية التي احتضنت التراث الآرامي ، وكان خط الكتابة المستعمل فيها هو الخط الآرامي .

آلهة الآراميين في المرحلة القبلية المستقرة (الزوج الإلهي)

– رأينا على المستوى التاريخي ، كيف أن صراعاً طاحناً بدأ مع ظهور القبائل والممالك الآرامية المستقرة الأولى . ورغم العداء الكبير بين الآشوريين والآراميين ، الاّ ان ذلك لا يعني عدم ظهور احتكاك سلمي وتأثيرات ثقافية متبادلة بينهما . رغم ان كفة الآشوريين الراجحة ثقافياً وسياسياً ، كانت هي صاحبة التأثير الاقوى .

فعلى مستوى العقيدة نرى أن هناك الكثير من الممارسات والطقوس والعقائد الدينية الآشورية ، التي تسربت الى المعتقد الآرامي البسيط الذي كانت منظومته الإلهية لا تحتوي سوى إله واحد هو (حدد) ، إله الطقس المسيطر على الامطار والبرق والرعد والرياح .

وربما لفت انتباه الآراميين أن إله اعدائهم الآشوريين (آشور) كانت بعض صفاته تشبه صفات (حدد) خصوصاً أن آشور حلّ محل إله الهواء السومري (إنليل) .

ولكنهم رأوا بأن الآشوريين يعبدون مع (آشور) زوجته وهي (عشتار) الآشورية (آشوريتو) من مدينة آشور أو مدينة نينوى .

ولأن لقب (عشتار) الآشوري أصبح هو الاسم المرتبط (بآشور) فانهم ربطوا (عشتار) الأصلية (وهي إلهة سامية عامة) بالإله (حدد) ولكن بتصويت آرامي هو (عتر) . فاصبح الإله(حدد) الإله الاعظم إله السماء بشكل خاص وزوجته (عتر) إلهة الأرض ، وهكذا سيطرا على الكون كله الذي كان مكوناً من السماء والأرض .

– ومن الطريف أن يطالعنا في اللغة الآشورية القديمة الاسم المؤنث (ورتوم) كزوجة لـ(ور) على نمط (آن وانتوم) ، ونحن نعتقد أن اسم (إيتور – مر) الذي يرد ذكره مع (دجن) في نصوص – ماري – من العصر البابلي القديم له علاقة ما بـ (ور – مر) ، (اذزارد ١٩٨٧ :٤٤) وهذا يعني ان الإله (حدد) في صيغته الأولى (ور) كانت له زوجة (في هذا العصر) هي (ورتوم) ذكرتها المصادر الآشورية .

اصبح الأمر بهذا الشكل :	ور ، مر	زوجته	ورتوم
	أدد	زوجته	شالا ، شلش ، ام جرو
	حدد	زوجته	عتر

– وزيادةً في التفصيل رأينا كيف أن الإله (ايتور – ور) له علاقة بـ (ور – مر) ، الذي يؤكد شرح إحدى قوائم أسماء الآلهة أنه من مسميات إله الطقس (أدد) ، حيث يذكر

الشرح أن (أدد) هو (إلوور) و (إلومر) ، وهذا يعني (الإله ور) و (الإله مر) (انظر المرجع السابق : 45) .

إن المعلومات السابقة تبين لنا أن تطورات الأسماء كانت تخضع للتحولات الجديدة التي تمر بها الآلهة ، ولذلك نرى أن زوجة الإله (أدد) الاكدي لا تصلح لأن تكون زوجة للإله (حدد) الآرامي . ولذلك نقرر ما يلي :

- إن الإله الآرامي القديم (ور) أصبح له زوجة هي (ورتوم) ذكرتها النصوص الآشورية القديمة ولم تذكرها النصوص الآرامية .

وان الإله الآرامي اللاحق (حدد) أصبحت (عتر) له زوجة كما ذُكرت في النصوص الآرامية ، واصبحت تدخل في أسماء بعض الآراميين مثل اسم الملك عتر سمك الذي يعني (عشتار العالي) .

- ونستطيع هنا أن نلتقط مجموعة من الصفات والألقاب التي تسمّى بها الإله (حدد) والتي ذكرت اغلبها في نص منقوش على تمثال الملك (هدد يسعي) من مملكة بيت بحياني (آرام النهرين) (انظر أبو عساف 90:1988) :-

1- سيد السماوات والأرض .
2- منزِّل الخيرات .
3- منبت الرعي .
4- مسقي الأرض .
5- مانح السلوة وأقداح الشراب .
6- سيد الأنهار .
7- مسعد كل البلدان .
8- إله رحمن .
9-السيد .
10- الرب .
11- الجبار .
12- الخالد .
13- سيد الخابور .

- ظهرت صور الإله (حدد) مشابهة للأصل السومري القديم (إشكر) والصورة الاكدية (أدد) . فكانت اغلبها تمثل الإله في صورة إنسان عظيم أو هيئة ملكية ، حيث يعتلي ثوراً متحفزاً للركض (والثور أحد رموز (حدد)) ، ويضع رجله اليمنى على قرني الثور وتظهر عضلات ساقه مفتولة قوية عارية إلى الركبة ، ورجله اليسرى على الجزء الأخير من ظهر الثور وهي مغطاة بثوب طويل . ويمسك بيديه الإثنتين علامة الصاعقة المكونة من ستة أذرع برقية متموجة يفصل بين كل ثلاثة منها حاجز واضح . ويظهر القوس على كتفه الأيسر ، ويعتلي رأسه غطاء يشبه الطربوش .



شكل (4)
الإله (حدد) الآرامي وهو يحمل الصاعقتين

- وقد صُور الإله (حدد) عند الآراميين في صورة اخرى مشابهة تقريباً رغم وجود بعض الاختلافات ، حيث يظهر في منقوشة في تل بارسيب (تل أحمر) في مملكة (عديني) شمال وادي الرافدين ، وهو واقف على ثور مكتنز يقف على شكل زخرفي يشبه الضفيرة ، ويربط أنف الثور بحبل أو بسلسلةٍ ترتفع الى اعلى لتمسك بها اليد اليسرى للإله (حدد) والتي تمسك أيضاً برمز الصاعقة .

يقف الإله (حدد) بطريقة عادية على الثور واضعاً رجله اليسرى على رأس (قرون) الثور والخلفية على وركه ، ويتمنطق بسيف ، ويلّوح بالفأس في يده اليمنى ، ويرتدي ثوباً قصيراً

ذا أكمام قصيرة يشده نطاق الى الخصر . ويعتمر على رأسه خوذةً أو قلنسوة بأربعة قرون كبيرة كل اثنين منها في صف ونهاية القلنسوة مدورة . ويرفرف طائر بجناحيه فوق رأسه .



في هذه المنقوشة تظهر رموز وعناصر الإله (حدد) بأكملها (الثور ، الفأس ، الصاعقة ، الخوذة المقرنة ، السيف ، الطائر) .

وأحياناً يظهر الإله (حدد) واقفاً على جبل وليس على ثور .

شكل (5)

الإله (حدد) الآرامي يحمل صاعقةً وفأساً

- ومن الأخطاء الكبرى التي شاعت عند الباحثين هو خلط الإله (حدد) بالإله (بعل) وجعلهما شخصية واحدة ، وهذا مناف للحقيقة . فالمراحل الأولى للإله (حدد) لا تقول بهذا . ولا حتى المراحل اللاحقة ، عند احتكاك الآراميين بالآشوريين والبابليين . ونرى أن هذا حصل في مراحل احتكاك الآراميين بالكنعانيين (والذي سنشرحه مفصلاً) ، ولذلك نحذر من الخلط بين أشكال (حدد) المميزة وأشكال (بعل) المميزة أيضاً ، رغم وجود بعض الصفات المشتركة .

- وهناك أيضاً من يعمد الى خلط تماثيل بعض الملوك والامراء مع شخصية الإله (حدد) ، كما هو الحال في صنم يعود لأحد ملوك (شمال) عُثر عليه في مدينة زنجرلي محمولاً على عدد من الأسود ، أو تمثال آخر عليه نقش للملك (باناموا الأول) عُثر عليه في مدينة جرجان (قرب زنجرلي) . وهي تماثيل ملوك عادية ولا علاقة لها بالإله (حدد) الاّ إذا كان ما يشير الى أنها نحتت برعاية (حدد) أو وضعت في معابده . . الخ .

• • •

- أما الإلهة (عتر) فلا نحبذ تناولها هنا لاننا لا نعرف عنها شيئاً في مرحلة الأقوام والممالك الآرامية القديمة ، سوى ذكرها العابر . ووجودها كمقطع في بعض اسماء الآراميين . ورغم أنها بلا شك تطابق الصفات الحربية للإلهة (عشتار) التي عبدت كزوجة (لآشور) عند الآشوريين ، الاّ اننا نعتقد أيضاً باكتسابها عناصر خصوبة وكونية وجعلها إلهة أم لكي تناظر الإله الأب (حدد) .

ولكننا مع ذلك نذكرها فقط دون الخوض في التفاصيل .

- ونشير أيضاً الى اسم (مرتوم) كزوجة للإله القديم (مر) التي نعرف عنها أيضاً تفاصيل محددة .

- وبرغم أن المنحوتة التي عُثر عليها في (عين دارا) يمكن ان تعطينا فكرة عن (عتر) الآرامية القديمة ، حيث تظهر عشتار الآرامية (عتر) على لوحة بازلتية وهي تملك ثلاثة صفات : الأولى هي صفة المحاربة حيث تمسك بيدها اليمنى رمحاً وباليسرى صولجاناً قصيراً تسندها إلى كتفها . والثانية هي صفة السمكة التي تظهر كعباءة سميكة تشبه عباءات كهنة إله الماء (إنكي) أو (إيا) في وادي الرافدين . والثالثة هي صفة الطيران التي تظهر كجناح على كتفها الأيمن . وتجمع هذه الصفات الثلاثة صورة مبكرة للإلهة(عتر) كإلهة سمكية وكسَيدة للحمام ،كإلهة محاربة .

أما صفاتها الأنثوية فتظهر في المثلث الأنثوي البارز في المنحوتة . ولعل هذه الصورة واحدة من أندر صور الإلهة (عتر) القديمة أيام الممالك الآرامية . وربما كانت جذراً للإلهة

الآرامية الهيلنستية التي ستخلفها فيما بعد وهي (اترغاتس) حيث تظهر فيها صفة السمك والحمام بوضوح كما سنرى .



شكل (6)

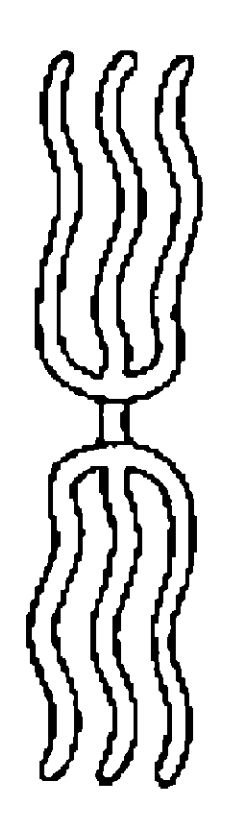
الإلهة (عتر) الآرامية في لوحة بازلتية منقوشة لـ (عشتار) الآرامية في معبد - عين دارا-

إله الطقس في منطقة الشرق الأدنى:

- من الأمور الأساسية في مبحثنا هذا عدم الخلط واتباع الدقة والتمحيص في فرز الامور الخاصة بالمثيولجيات أو المعتقدات المتجاورة . ولذلك عمدنا هنا الى توضيح الصفات المشتركة والمختلفة بين الإله (حدد) باعتباره الإله القومي للآراميين وإله الطقس في الوقت نفسه ، وبين آلهة تشبه عند الاقوام المجاورة للاماكن والمدن التي سكن فيها الآراميون ، من أجل توضيح نقاط الاختلاف والالتقاء وعدم خلط الأوراق . وسيعمل هذا على تسليط ضوء أعمق على شخصية الإله (حدد) .

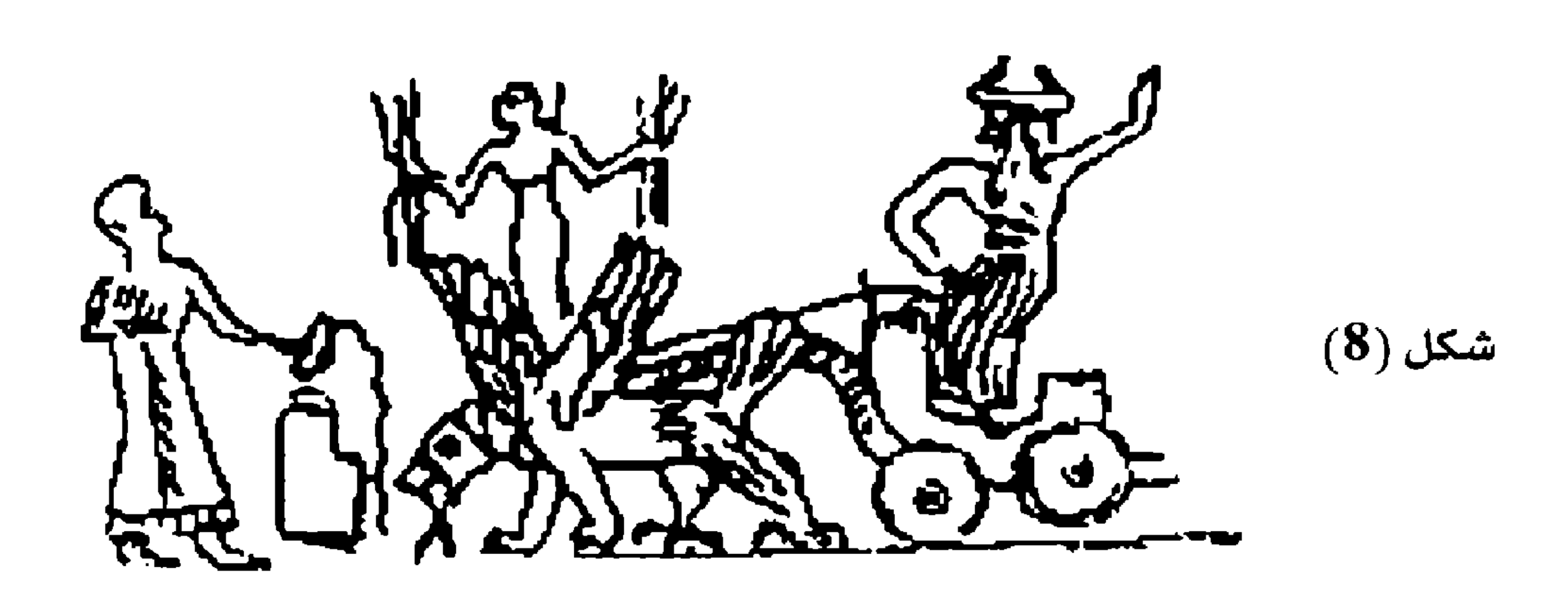
1- **السومريون** : عرفنا أن إله الطقس المقابل (حدد) عند السومريين هو الإله (إشكر) ، الذي ربما كان الجذر القديم لكل آلهة الطقس في المنطقة ، لأن الصفات التي يظهر فيها عند السومريين ستبقى هي الأساسية عند الأقوام الأخرى .

- وقد عثر على نقش في نوزي (قرب كركوك) يظهر فيها إله اسمه (إشكر - أدّو) أي أنه يحمل الاسمين معاً .
- والرمز الأساس له هو الصاعقة الثلاثية المزدوجة .
- أما آلهة الطقس الآخرون عند السومريين (إنليل ، ننورتا ، ننكَرسو ، أمدوجد ، ننخار ، شارا) ، فلا مجال للخوض في تفاصيلهم وتوضيح علاقتهم بالإله (حدد) ، (انظر الماجدي 1998حـ :85-134) .



شكل (7)
رمز الإله (أدد) (إشكر) النصف الثاني من الألف الثالث ق.م

2- **الأكديون** : احتل الإله (أدد) أهمية في حياة الأكديين ، رغم أنه لم يكن الإله القومي لهم (كان إلههم القومي هو (شمش)) . وكان يظهر في اساطيرهم وقصصهم ، أو في صورهم ومنحوتاتهم ، وكان يظهر واقفاً على ثور أو تنين مجّنح وهو يمسك برمز الصاعقة وقرنين ، ويرفع يديه ، وتظهر معه إلهة مشابهة له تمسك بالصاعقة بيديها ولعلها (شالا ، شلش ،) إلهة النار التي كانت ترافقه .



شكل (8)

3- **الأشوريون** : ظهر الإله (أدد) مرتبطاً بالإله (آن) في العبادة الآشورية وخصص لهما معبد واحد (ولعله كان بمثابة إبنه) . كذلك ظهر اسم الإله (ور) و (مر) في الكتابات الآشورية ، وهما الإلهان المعبران عن الشخصية الأولى للإله (حدد) .

- ويظهر الإله (أدد) في أكمل صورة له عند الآشوريين وهو يقاتل تنيناً مخيفاً ويلاحقه بالصاعقتين [وقد ظن كثيراً انه الإله (مردوخ) يقاتل (تيامت)] . رغم أنه هنا يمتلك أربعة أجنحة وهذه صفة آشورية جديدة للإله (أدد) اعتاد الآشوريون أن يظهروا بها بعض آلهتهم ، وربما كان التنين المجنح الذي يطارده (أدد) هو ذاته الثور الذي سيُسّهل قيادته ويقف عليه بسبب قرنيه الظاهرين وشكله الموحي للثور ، وتبقى هذه الصور واحدة من أجمل صور الإله (أدد) في التأريخ . . . وتبقى قصتها لغزاً محيّراً ، لانها تطرح أسئلة كونية كبيرة : هل كان (أدد) إله خليقة عن الآشوريين والآراميين؟ وكيف كان يصور آنذاك؟ وهل لهذه الصورة علاقة بهذا الأمر؟ ثم ما هي قصة الخليقة هذه؟ . . . هل تم استبدال (آشور) الذي سبقه مردوخ البابلي الذي سبق إنليل السومري بالإله (أدد) كإله خالق وشامل؟

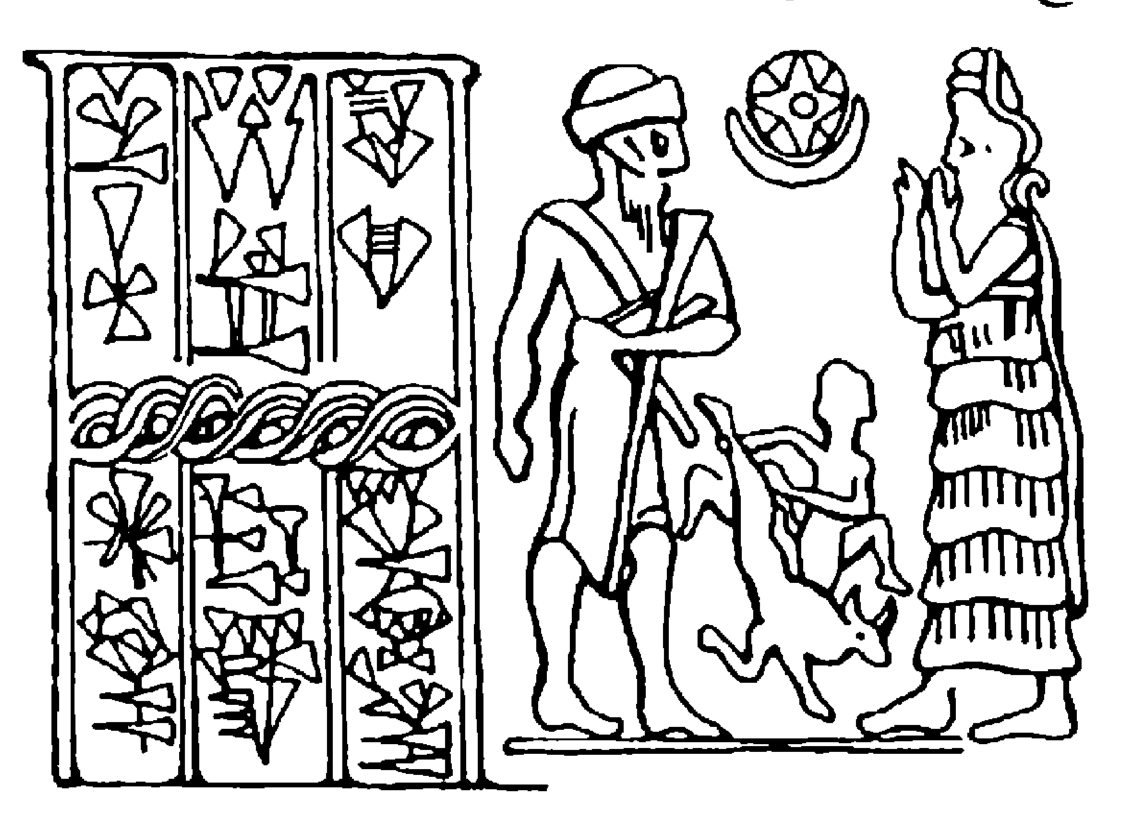
4- البابليون :

- كان الإله (أدد) البابلي إلهاً للزوابع والعواصف والظواهر الجوية المفزعة وسيد الأمطار ، وأمل الزرع والغلة الوفيرة . وكانت زوجته الإلهة (شالاشي) . وكان عند البابليين بمثابة ابن الإله (إنليل) . وقد اختاره الإله إنليل لمواجهة (زو) إله الريح الكاسحة الذي حاول سرقة ألواح القدر من (إنليل) ولكنه لم يستطع .
- ويظهر أيضاً كإبن للإله (آنو) إله السماء . وكانت رموزه الصاعقة والثور واحياناً الأسد والتنين . وكان مسؤولاً عن اغراق الحقول وتخريب المحاصيل . ويظهر دوره واضحاً في إحداث الطوفان . أي انه لم يأخذ تلك الشعبية التي أخذها في شمال العراق عند الآشوريين والآراميين حيث كان عندهم إلهاً للمطر والخصب .
- وكان الناس يستنجدون به عندما يحل القحط والجفاف فيبنون له المعابد وينذرون له النذور توسلاً به ليبعث المطر أو ينثّ الندى .

وقد صنع البابليون عدة رموز مختلفة للإله (أدد) ، ففي العصر البابلي القديم كان رمزه الصاعقة الثنائية ذات الذراعين المتكسرين .

وفي القرن الثاني عشر قبل الميلاد صار رمزه الصاعقة الثنائية الملتوية المثبتة على ظهر ثور أو عجل صغير .

أما في القرن التاسع قبل الميلاد فقد صار رمزه (المشتق من السابق) يشبه ذراعي الرحم اللذين يخترقهما مجرى مفتوح ، والمثبت على مصطبة ذات طبقتين .



شكل (9)
الإله (حدد)
البابلي أمامه
كاهن وتقدمات

5- **العموريون** : وهم الاقوام السامية البدوية التي سكنت غرب الفرات متآخمة للمدن السومرية ، والتي دخلت المدن السومرية بعدئذ وأسست فيها سلالة لارسة ، ثم ساهمت في ظهور سلالة بابل الأولى . . وكانت في مرحلتها الصحراوية ذات نظام لاهوتي عقائدي معين .

- وكان إلههم القومي هو الإله (مارتو) حسب اللفظ السومري ، ويقابله في الأكدية (عمورو) ، وهو إله طقس يتمتع بصفات الخراب والدمار . وهناك الإله (إترو مر) الذي يعتقد أنه إله الطقس الفعلي الذي يشبه (حدد) في جميع الأوجه ، وينظر له في بعض الأحيان على أنه ابن الإله (دجن) ، الذي ينظر له هو الآخر كإله طقس قديم .

أما زوجات هؤلاء الآلهة الطقسيين العموريين الثلاثة فهن كما يلي : مارتو زوجته بلت صيري (إلهة البادية) ، وأشراتو (عشراتو) إنزومر زوجته مرتوم ،دجن زوجته شالا (وهي زوجة الإله أدد السومرية) .

- ولا يوجد إله باسم (أدد) أو (حدد) عند العموريين ، ولذلك نرجّح أن الاتصال القبلي القديم بين الآراميين والعموريين ، كان قد نقل في بداية الأمر الإله (إنزومر) الذي لفظ عند الآراميين بلفظتي (ور) أو (مر) ، قبل ان يتعرف الآراميون على الإله (أدد) الذي حلّ محل (مر) واصبح بالتصويت الآرامي (حدد) ثم (هدد) .

6- **الكنعانيون** : كان إله الطقس الكنعاني هو الإله (بعل) ، الذي غالباً ما كانت شخصيته تخلط مع الإله (حدد) وتكون بديلة عنه . وحقيقة الأمر أن هذا الدمج بين الإلهين حصل متأخراً في الممالك السورية المتآخمة للمدن الكنعانية .

- وكان (بعل) إله العاصفة والمطر والصاعقة والرعد ، ويشهر في يده اليمنى عادةً صلوجاناً ، ويمسك بيسراه الرمح المخضّر النهاية الذي تنتهي نهايته بأغصان أو برمز الصاعقة ، وتغطي رأسه خوذة مدببة ومزينة فوق جبهته بالقرنين (شعار الالوهية) . وهيئته هذه تختلف عن شكل الإله (حدد) الآرامي حتى في تقاسيم وطراز وجهه حيث نرى جديلتين من شعر رأسه تتدليان على صدغتي أذنيه ، وتغطي ذقنه لحية كثيفة طويلة تصل الى صدره ، ومن علاماته المميزة أيضاً السيف الذي يتمنطق به والذي يمتد رأسه المدبب الى أن يصل إلى رأس شخص واقف أمامه بخشوع (ويمكن أن يكون هذا الشخص كاهناً أو عدواً) ، بمعنى أن سيف (بعل) مسلط على الانسان ، والرمح المورق ليس رمز الصاعقة الذي شاع في صور

(بعل) الكنعانية ، كما انه لا يقف على ثور بل يقف على سلسة من التلال المرسومة تحت الحاجز الذي يقف عليه .



شكل (10)

إله الطقس الكنعاني (بعل)

7- **العبريون** :كان (يهوا) هو الإله القومي للعبريين وهو إله الطقس المسؤول عن الأمطار والعواصف والرياح والصواعق ، وهناك ما يشير الى علاقته بالثور وبالأسد ، وكان إلهاً محارباً واسمه يشير اليه ، فهو إله الهواء الذي يتحكم بالطقس ولا شك أن هناك منقوشات كانت تصورّه . الاّ ان العبريين بعد ان انتقلوا الى المرحلة اليهودية جعلوا منه إلهاً واحداً أحداً فأزالوا كل ما يشير الى ماضيه .

8- **الحثيّون** : كان إله الطقس الحثي هو الإله (تيشوب) الذي كان يوصف بإله الصاعقة ، والذي نقل فيما بعد الى جزيرة كريت ودعي بـ (زفس) أو (زوس) . وكان رمزه الأول الفأسين [وهو الرمز القديم للإله السومري (إنليل)] . أما رمزه الثاني فهو نسر برأسين .

- أما شكل الإله تيشوب الحثي فلا يختلف عن الشكل الرافديني المعروف وكان يرسم على شكل انسان يمسك بيده اليسرى حزمة الصاعقة أو الماء بينما يمسك باليمنى فأس القتال أو المنجل ، وكان تيشوب هو الإله القومي للحثيين



شكل (11)

لوحة حجرية عثر عليها في تل «بارسب» ويظهر فيها الإله «تيشوب» واقفاً على حيوانه الخاص. أوائل الألف الأول ق.م - «متحف حلب».

9- **الأورارتيون** : وهم الاقوام الذين سكنوا بلاد (أورارتو) أو (نائيري) حول بحيرة فان ، وكانوا يسمون (الخالديون) نسبة الى الإله القومي لهم (خالد) . أما إله الطقس عندهم فهو الإله تيشوب (تيشيب) ، وهو نفس الإله الحثيّ ويحمل مواصفاته نفسها .

10- **الحوريون** : وهم أقوام سكنوا شمال العراق وشمال سوريا وكونوا بعد ذلك المملكة الحورية الميتانية ، وتربطهم علاقات بالحثيين والأورارتيين ، وإله الطقس عندهم هو الإله (تشباك) ، الذي انتقل الى مجمع الآلهة الأكدية عن طريق العيلاميين أو مباشرة من مدينة نوزي (قرب كركوك) . فقد ذكرته النصوص إلهاً لمدينة (إشنونا) في ديالى وحل محل الإله (نينازو) في العصر البابلي القديم ، ومن ألقابه الأكدية (سيد الجيوش) . ورغم ذلك فهو ليس إله حرب بل ان صفاته تتشابه مع صفات إله الطقس (انظر اذزارد 82:1987) .

وتظهر صورته حاملاً بيسراه الصاعقة المثلثة المزدوجة وبيمينه الفأس وهو يقف على ثور واقف على زخرفة . وتظهر القرون الأربعة على خوذته ، بينما يظهر قرص الشمس المجنح أعلاه ، ويشبه هذا المشهد تماماً صورة (حدد) في تل بارسيب مملكة عديني شمال وادي الرافدين .

3. آلهة الممالك الآرامية وأثر البابليين عليها
(آلهة النور والظلام)

- نعرف أننا نجازف بإطلاق تسمية (آلهة النور والظلام) على هذه المرحلة التي نشأت فيها الممالك الآرامية في بلاد وادي الرافدين شماله ووسطه وجنوبه ، وفي بلاد الشام شماله ووسطه وجنوبه . ولكننا بعد دراسة واحصاء -الآلهة الآرامية- التي ظهرت في النقوش والنصوص في النصف الأول من الألف الاول قبل الميلاد وجدنا إنها تنقسم في النهاية الى نوعين من الآلهة ، آلهة علويون لهم علاقة بالنور والكواكب المضيئة وآلهة سفليون لهم علاقة بالظلام والامراض والمياه الآسنة .

ونحن لا نجازف حين نقول أن هذه الآلهة ظهرت من تزواج الإلهين (حدد وعتر) ، أو من حدد لوحده . . لاننا لا نمتلك نصوصاً واضحة عن أصولها ، ولاننا لا نملك قصة خليقة آرامية توضح لنا ذلك .

ولكننا نقول كما يقول الآراميون أنفسهم ، ان هناك (آلهة الرحبا) أي آلهة الكون ، ونصنفهم نحن الى علويين وسفليين ، ونضع على رأسهم الإله (حدد) رئيساً لمجمعهم الإلهي ، لأن الإله (حدد) لم يتنح أو يُستبدل من قبل الآراميين بأي إله ممن سنذكرهم ،

ولذلك فاننا نقول أن البانثيون الإلهي لجميع الممالك الآرامية ، عبارة عن هرم يقف (حدد) على رأسه . ثم يأتي بعده الآلهة العلويون(وهم آلهة نور) ، ويأتي في قاعدة الهرم الآلهة السفليون -الآرضيون- وهم في الغالب (آلهة ظلام) .

- وسنرى أن اغلب آلهة البانثيون الآرامي هذا جاءت من آلهة بابلية (ذات اصول اكدية أو نهايات آشورية) . وان هذه الآلهة فقدت الكثير من صفاتها التي كانت عليها في البانثيون البابلي ، واكتسبت صفات أو ملامح آرامية بحسب ما فطر عليه الآراميون ، وما اضفوهُ عليها بالتالي من هذه الصفات .

أ. آلهة العالم الأعلى (آلهة النور) :

- تمتاز مجموعة آلهة العالم الأعلى بأنها الآلهة التي تتحكم بالسماء وتسيطر بقوتها على الأرض وآلهة الأرض ، ولكن هذه الآلهة غير منسجمة في مجموعها ، ويمكننا أن نقسمها الى ثلاث مجموعات متجانسة نسبياً وهي :

1- **مجموعة الآلهة العلوية (مجموعة إيل)** : واغلب الظن أن هذه المجموعة ذات مصدر كنعاني ، فقد ظهر الإله إيل (إل) في البانثيون الآرامي بعد أن اتصلت الممالك الآرامية الموجودة في الشام بشكل خاص مع الكنعانيين الساكنين في مدن سواحل وداخل سورية القديمة .

- ويقع على رأس هذه المجموعة الإله (إيل) الذي يقع على قمة هرم البانثيون الكنعاني «حيث ان الرأي السائد ، يزعم أن فهم معنى الاسم فهماً صحيحاً يساعد على فهم أصول المعتقدات السامية منذ نشـوئها . وأكثر التغيرات قبولاً هو أن اسم (أيل) مشـتق من الجذر (أول) ، ولا يخفى على الضالعين في اللغة أن كلمة (أول) تعني أشياء كثيرة من بينها (الرئاسة والسيادة والسلطة) أي أن الأول في كل شيء يتمييز عما يليه في الرفعة والسمّو ، ثم طرئت على الجذر الأجـوف تغيـيرات وتحولات أدت به الى الشكل الـذي هـو عليه الآن» (اذزارد 1987:176-177) .

- إن ظهور الإله الكنعاني (إيل) في البانثيون الآرامي ، كان يمكن أن ينافس مكانة (حدد) ، ولكنه كان يظهر دائماً بعد الإله (حدد) وهكذا ظلت المسافة بين (حدد) (الأحد) وإيل (الأول) لا تسمح بتوحدهما ، لأن بقاء أحدهما وذوبان الآخر فيه يعني بقاء قوم ذلك الإله وذوبان قوم الإله الآخر فيهم .

– ولكن (إيل) لم يتمتع بصفاته وقوته التي كان عليها وهو في البانثيون الكنعاني عندما دخل البانثيون الآرامي . بل أصبح مجرد إله كبير وظل ولاء الآراميين الأكبر لإلههم القومي (حدد) .

ورغم ذلك فقد ظهر اسم الإله إيل (إل) في أسماء الآراميين دلالة تعظيمهم له .

كذلك لم تدخل زوجة (إيل) (أشيرة أو عشيرة أو أثيرة) في البانثيون الآرامي لأن اسمها وصفاتها تشابه صفات (عتر) زوجة (حدد) .

– وإذا كنّا نستطيع الحديث بالتفصيل عن صفات (إيل) المعروفة في المثيولوجيا الكنعانية . . . فاننا لا نستطيع ذكر أساطير إيل الكنعانية على أنها جزء من الأساطير الآرامية . . إذ ربما جرى تحوير قصص ودور (إيل) في المثيولوجيا الآرامية التي نشكوا من شحة نصوصها قياساً الى النصوص الكنعانية .

– لا شك أن (إيل) كان يجّسد قوى الخصب السماوية ، ولكنه من المؤكد كان يعتبر شيخاً طاعناً في السن ، أي أنه كان في العهد الذي تبنى الآراميون فيه عبادته ، قد تحوّل الى إله قصي وبعيد بفعل صعود إبنه الإله (بعل) ، الذي دخل هو الآخر في البانثيون الآرامي .

– ولذلك نعتقد أن ادخال الإله (إيل) في العبادة الآرامية كان اعتبارياً وبمعنى أدق كان رمزياً ، فقد كان يُنظر اليه كإله عتيق ، شيخ يجلس في أقاصي السماء ولا علاقه له بمقادير الأمور التي كان يتولى توجيهها الإله (حدد) ، الذي سيُطابق مع الإله بعل الكنعاني .

وسنحصل على الاسم المركب (بعل حدد) وهو الاسم الذي فاق جميع الآلهة شهرة وسطوة .

– شهد النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد ، صعوداً عظيماً لمكانة الإله الابن (بعل) على حساب الإله الأب (إيل) في الديانة الكنعانية . ولذلك جاءت مطابقة (حدد) مع (بعل) في هذا الزمن (النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد) متفقة مع الوقائع الدينية في المنطقة .

- واذا كان الإله إيل قد حصل على ألقاب (أبو الآلهة) (والملك أبو السنين) و (الأب المتعالي) . فإن (بعل) ومن ثم (بعل حدد) حصل على القاب أخرى أقرب الى الإنسان والحياة مثل (راكب الغمام) و (البطل) و (العليّ) .

- أما الإله الثالث في هذه المجموعة فهو الإله (ركب إيل) أو (ريكوب إيل) ، الذي يبدو معناه الحرفي وكأنه يشير الى (عربة الإله إيل) . والذي شغل المقام الأول في مجمع الآلهة الآرامية في مملكة (يادي) وعاصمتها (سمأل) . حيث يظهر كإله للعائلة المالكة ، كما يرد في هذا النص الذي وجد على نصب تذكاري في القصر الملكي في (سمأل) :-

«إذا ما أقدم أحد على

تحطيم هذا النصب فإنه بعمله هذا ، يكون قد أساء الى كل من :

بعل سيميد إله (جبار)

وبعل خامان إله (باماخ)

ومن ركب إيل إله الأسرة المالكة» (دوبون سومر 75:1988)

و (جبار) و(باماخ) هما ملكان من (سمأل) .

وكان الإله (ركب إيل) يختلط بإله آخر هو (رب البيت)

الذي كان إلهاً محلياً مؤسساً في (سمأل) .

- وكان يرد أحياناً مع هذه المجموعة الإله (عليون) أو (اليون) ، الذي كان مرادفاً للإله (إيل) . وهو في الأصل إله محلي رفع الى مرتبة الإله الأول قبل (إيل) ويبدو أنه شكل من أشكال (إيل) أو (بعل) . وكذلك الإله (عليان) الذي يرد في بعض النصوص وهو شكل من أشكال أو أبناء (بعل) المختص بالينابيع (انظر الماجدي 1999) .

- ولقد لاحظنا أن هذه المجموعة الإلهية رغم كونها تسكن العالم الأعلى الا أنها لم تكن آلهة نور بالمعنى المباشر للكلمة ، ولكنها كانت آلهة طقس وذات علاقة مباشرة بالخصب والأرض . ولكنها لا يمكن أن تنتسب الى آلهة الظلام أو آلهة العالم الأسفل .

2- **مجموعة آلهة الكواكب والنجوم** : أغلب هذه الآلهة ذات مصدر بابلي آشوري ، ويبدو التأثير البابلي عليها أكثر وضوحاً لتجنب الآراميين السقوط في عبادات اعدائهم الدائميين من الآشوريين ، ولذلك نلمح وجود (مردوخ) (وصربانيت) وغيرهما من الآلهة البابلية . ويمكننا من حيث المبدأ ذكر هذه الآلهة كما يلي :

- **الإله شمش** : وهو إله الشمس المنحدر من أصول أكدية ، ثم تبناه البابليون ثم العموريون في عصر حمورابي كإله للعدالة أيضاً . وتصف النصوص الآرامية هذا الإله بأنه (إله الخلود) ، وكان يرمز لهذا الإله بالقرص المجّنح وهو تقليد آشوري من ناحية الإله (آشور) ، وتقليد مصري من ناحية الإله (حور) .

وقد تعاضمت عبادة الإله (شمش) في منطقة الشرق الأدنى ولكنها لم تتفوق عند الآراميين على عبادة الإله (حدد) .

- **إله الجبل** : كان إله الجبل إلهاً قديماً ، وقد عبد بشكل خاص في مدينة (حمص) . وكان إله الجبل يمثل بإله مقرن يرفع يديه الى الأعلى ، ويبدو دالاً على العالم الأسفل من خلال الجبال التي تظهر على تنورته ولكنه يبدو أيضاً إلهاً للنار من خلال ألسنة اللهب التي تحيط بتنورته .

وقد رمز لهذا الإله بنوع من (الحجر الأسود) في العهود الرومانية في مدينة حمص . وربما لموقع مدينة حمص بين بعلبك وحماه اللتان طغى عليهما عبادة الإله الشمس «فقد امتزجت عبادته مع عبادة إله الشمس ، تماماً كما حصل في بعلبك ، جرياً على مذهب التوفيق بين المذهبين وسمي بعدئذ (إله الشمس والجبل) ، والى هذا الإله انتمى الامبراطور (إيلاجبل) السوري



شكل (12)

إله الجبل

الأصل معتبراً نفسه كاتم سرّه وخادمه . وبعد أن كرّس عبادته له ، أطلق على نفسه اسم هيليوجبل» (دوبون - سومر 185:1988) .

- ونوّد ان نذكر هنا أن صفات إله الجبل هذا تذّكرنا تماماً بالإله السومري القديم (اليجبيل) ، وهو إله العالم السفلي الذي أنجبته الإلهة (ننليل) من الإله (إنليل) في اسطورة نزولهما الى العالم الأسفل وكان يمثل النار أيضاً .

- **الإله سن** : وهو الإله (سين) إله القمر ، وقد اشتهرت عبادته في مكانين بشكل خاص ، هما (حّران) عاصمة آرام فدان ومدينة (النيرب) الواقعة الى الجنوب الشرقي من حلب ، ويرجع تاريخها الى القرن السابع قبل الميلاد .

- وفي مدينة حران كان الإله القمر يسمّى بـ (سين) أو (سن) تأثراً بالتراث البابلي الآشوري العريق لهذا الإله الذي كادت عبادته في العصر السومري الحديث ان تكون شاملة وطاغية .

ولم تخفت عبادة (سين) عند الاكديين والبابليين والآشوريين بل أصبح هذا الإله من أعظم الآلهة عندهم . وقد كانت له مكانة خاصة عند الآراميين . وكان يذكر دائماً ضمن ثالوثه المعروف والمكون منه ومن زوجته (نيكال) وإبنه (نسكو) إله الضوء والنار . وكانت حّران قبل الآراميين وبعدهم عريقةً في عبادة إله القمر . وظلّت كذلك حتى القرن الأول من الدولة العباسية الاسلامية .

- أما في (النيرب) فيسمى إله القمر الآرامي بـ (ساهار) ، وهذا تأثير كنعاني لأنه الإله (شهر) أو (سهر) وهو إله كنعاني كان يشير الى (نجم الصباح) ، وهو إله الخير الذي هو ابن (إيل) من (عشيرة) .

- وفي كلمة (شهر) ما يدل على اتخاذ هذا الإله مصدراً للتقويم وحساب الزمن ، رغم أن الإله (يرخ) أو (يرح) يظهر عند الكنعانيين ليشير صراحة الى الإله القمر الذي هو مصدر التقويم والتاريخ .

- وقد عثر في النيرب على مسلّتين الأولى لكاهن (سن زير ابني) وهو كاهن الإله (ساهار) في النيرب ، والثانية لكاهن آخر في النيرب هو (أجبار) كاهن (ساهار) ، ويوّضح

النصّ الثاني وظيفة الإله ساهار في إطالة العمر والسعادة والشهرة ورعايته لروح الميت ، وكيف أنه يريه ماذا يفعل أهله بعد موته . وقد جاء في النص :

«إنها صورة أجبار كاهن الرب ساهار في النيرب . نظراً للعدالة ، التي حققتها في حياتي ، كافأني ساهار بأن وهبني شهرةً واسعة ومدّ في عمري . وفي اليوم الذي متّ فيه ، توقف فمي عن النطق ، غير أني كنتُ أرى بعينيّ كيف بكاني الجميع وناحوا عليّ كثيراً بما فيهم الأطفال ، الذين انحدروا من صلبي حتى الدرجة الرابعة ، ومع ذلك لم يضعوا معي في القبر أي أشياء لازمة مثل النقود والبرونز والطعام ، عدا ثوبي الذي ألبسوني إياه قبل وفاتي ، حتى لا يفسد مرقدي الأخير . وليعلم الجميع ، إن كل من يسيء اليّ ولسمعتي فإن الآلهة : ساهار ونيكال ونوسكو له بالمرصـــــاد وسيميتونه شرّ ميتة مع ذريته» (دوبون – سومر 190:1988).

كان هذا الثالوث الإلهي معنياً بنور الليل ، بينما كان الإله (شمش) والإله (يوم) معنيان بضوء النهار .

-الإله مردك : وهو الإله البابلي المعروف (مردوخ) ، الذي كان بمثابة ملك الآلهة وسيدها في البانثيون البابلي ، وهو الإله القومي للبابليين ، وهو إله خالق ، وإله كوكب المشتري وقد ظهر عند الآراميين كإله كوكبي باسم (مردك) وفقد صفاته الأخرى ، وحافظ على عائلته التي كانت في البانثيون البابلي [زوجته (صربانيت) وإبنه (نبو) إله الحكمة] فقد ظهرت في البانثيون الآرامي عائلته المكونة من زوجته باسم (زرفته) أو (زرفنه) ، وهو تصحيف آرامي للاسم البابلي (صربانيت) الذي يعني اسمها (اللامعة أو الفضة الامعة أو المضيئة) وهي مختصة بشؤون الحمل والولادة :

أما إبنه فقد ظهر باسم (نبا) أو (نبو) ، وهو إله الحكمة والمعرفة والكتابة وحامي الأدباء ، ويشير الى كوكب عطارد .

وقد بلغت أقصى قدسية للإله (نبو) عند الكلدانيين (وهم أبناء عمومة مع الآراميين) ، فقد كانوا يسّمون به اسماءهم مثل (نبوبلاصر ، نبو خذنصر . . . الخ) . رغم أن الآشوريين

أعطوه هذه المكانة نفسها من قبلهم . . . وقد حاول الكلدانيون في العصر البابلي الحديث وضعه ملكاً على جميع الآلهة ، لكنهم لم يستطيعوا من تحقيق ذلك أمام سطوة الإله (مردوخ) .

وكانت زوجة (نبا) الآرامي هي (تشمت) ، وهو اسم زوجة (نبو) البابلي (تشمتو) نفسها التي يمكن ان تكون إلهة الكتابة والشرائع واشتهرت كذلك بآلهة مردك وزرفته ونبا .

- الآلهة سيت : وهي مجموعة من النجوم السبعة التي تعرف بـ (ثريّا) وهي (نجوم الثريا المعروفة) ، وتسمى أيضاً عند الآراميين بـ (سبيتي) .

ويبدو أن الآلهة السبعة (سبيتو) كانت على نوعين في تراثها الأكدي القديم ، الأول علوي وهي آلهة سماوية طيبة تمثلها نجوم الثريا السبعة ، والثاني سفلي وهي آلهة أرضية شريرة وهم مساعدوا إله الامراض (إرّا) .

وفي المثيولوجيا الآرامية تمثل (سبت) كواكب الثريا السبع وتعني كلمة (سبت) سبعة . وهي آلهة مضيئة خيّرة .

3- مجموعة آلهة النار والنور : وهي الآلهة التالية :

نر : إله النور .

يوم : إله النهار .

ملقرت : إله النار الذي يعتقد أن أصله عموري (فهو إبن الإله عمورو) ، وقد دخل في البانثيون الكنعاني ثم تسرب الى البانثيون الآرامي . وكان معبوداً بصفة خاصة في مملكة آرام دمشق حيث وجد له معبد هناك .

ب - آلهة الأرض والعالم الأسفل (آلهة الظلام):

- تنقسم هذه الآلهة في حقيقتها الى ثلاث مجموعات هي :

1- **مجموعة آلهة الأرض (آلهة أدمة)** :- وهي آلهة الأرض التي وردت في النصوص الآرامية مثل (أر) و (أرق) والإله (أرض) في حقيقته هو (أرق) ولكن تبدلاً لاحقاً حصل في حرف (ض) وتحول الى حرف (ق) . وهي آلهة خصب .

2- **مجموعة آلهة العالم الأسفل** :- وهي آلهة الموت والأمراض والجحيم ويظهر على رأسها الإله (نرجل) وهو إله الامراض وتذكره النصوص الآرامية على أنه إله (وباء شباط) .

- ويعتقد أنه زوج الإلهة لص (لاصو) أو لات (لاتو) ، وهي الإلهة (اللات) التي ستظهر في بانثيون الآلهة العربية القديمة ، ويعتقد أنها (إيلات) أو (عشيرة) زوجة الإله (إيل) ولكنها ظهرت هنا إلهة سفلية .

- ويظهر أيضاً الاله (ليل) إله الظلام والليل ، وكذلك الاله ، (رشف) الذي يظهر في النصوص الآرامية بصيغة (رشف خطر) ، وهو الطاعن بالرمح أو الرامي بالصولجان أو المقلاع . يماثل هذا الإله الإله (نرجال) ، ومعنى اسمه في الأصل (الوباء) أو (النار) ويظهر كاسم مكان في العهد السلوقي على شكل (أرسوف) ، ويظهر في العهد القديم بصيغة النار والمشاعل والشرارات والجوع والوباء على نفس المستوى . (**انظر العهد القديم : المزامير 3:76 ، سفر أيوب 7:5 ، سفر التثنية 24:32**) .

- واستمرت عبادته في الممالك الآرامية السورية حتى القرن الثامن قبل الميلاد ، وهو أحد الآلهة الذين ناصروا الملك (بانامو) كما تذكر ذلك منحوتة زنجرلي وتسميه الكتابات الفينيقية بعدة أسماء (رشف الطيور ، رشف التيوس ، رشف الصاعقة ، رشف القوس) (انظر **اذازارد 214:1988**) .

- وهكذا يحاول الإله (رشف) أن يكون مكافئاً سفلياً للإله (حدد) من خلال الصفحات التي بلأ يمتلكها .

يظهر في الآرامية باسم (رشف أرق) أي رشف الأرض .

3- **آلهة الماء والرطوبة** :- نعتقد أن الاصول العمقية لهذه الآلهة هي الهيولى المائية القديمة ، ونحنُ لا نعرف عنها شيئاً سوى أسمائها وبعض وظائفها ، وهي كالآتي :

أ- معنين : إله عنت الماء وشدته وقوته .

ب- صو : إله الطوفان والهيجان .

ج- أنهت (انحت) : وهي إلهة شرقية إيرانية هندية تعنى بالرطوبة والظلام وأصلها (أناهيت) . . وكانت بمثابة قرينة إله الخير (أهورامزدا) . أما هنا فليس لها وظيفة واضحة .

4- **آلهة غامضة** : وهي آلهة لا نعرف عنها شيئاً سوى أسمائها أما وظائفها فمجهولة :

أ- كداه .

ب- نكر .

ج- ملس (ملش) .

4- الآلهة المزامنة للكنعانية (الآلهة البعول) :

- احتكت الممالك والمدن الآرامية الموجودة في سوريا القديمة ، بشكل خاص ، بالتراث الديني الكنعاني ، واكتسبت منه الكثير من الآلهة والطقوس والعقائد .

ويعتبر المعتقد الآرامي هو الامتداد الطبيعي للمعتقد الكنعاني بالرغم من أن المدن الفينيقية كانت أيام الممالك الآرامية هي الوارثة الحقيقية للعبادة الكنعانية الأم .

ولذلك كان انصهار المعتقدين الكنعاني والآرامي في بعضهما خلال الألف الأول قبل الميلاد ظاهرة مميزة وواضحة .

- كان زحف الآلهة الكنعانية قد بدأ منذ ظهور الإله (ريل) في البانثيون الآرامي . ولكنّ صعود الإله الكنعاني (بعل) في الديانة الكنعانية ، وظهوره بصفة الإله البطل والقومي والوارث لصفات (إيل) الذي اصبح عجوزاً خائر القوى وبعيداً عن الاحداث الإلهية والكونية الكبرى . . . جاء هذا الصعود متزامناً مع الانتعاش الحضاري والسياسي للممالك الآرامية السورية . ولذلك فرض الإله (بعل) نفسه بقوة على المعتقد الآرامي .

وكان الإله الاعظم للآراميين (حدد) مازال في مركزيته وقوته ، ولذلك لم يكن هناك من حلّ سوى اندماج الإله (بعل) الكنعاني مع الإله (حد) الآرامي في هيئة إله واحد هو (بعل حدد) خصوصاً أن كليهما يمثل إله طقس ، وان هناك الكثير مما هو مشترك بينهما من رموز وطقوس وصور وأساطير .

- ولكننا من أجل توضيح الجذور الحقيقية لهذه العلاقة بين (بعل) و (حدد) واندماجهما معاً ، لابد أن نقول أن الأصل الأول لكليهما لم يكن آرامياً أو كنعانياً بالمعنى الكامل بل رافدياً . حيث تكمن جذور (حدد) في (أدّو) و (أدد) السومري والأكدي . وجذور (بعل) في (بل) أو (مردوخ) البابلي . وكان (أدد) الأكدي مختلفاً عن (بل) البابلي . وهكذا نرى أن كلاً منهما نما في البداية مختلفاً عن الآخر ، حيث ظهر (حدد) كإله قومي للآراميين ، وأكد صفاته الطقسية في الوقت نفسه . أما الإله (بل) فقد ظهر إلهاً قومياً للكنعانيين كـ (بعل) وتركزت صفاته الطقسية ، إذ تراجعت صفاته الخالقة والكونية في البداية ولكنه عاد واكتسبها بعد فترة من الزمن ، عندما تراجع أمامه الإله (إيل) .

- ولذلك نرى أن إتحاد الإله (هدد) مع (بعل) لم يكن قديماً بل جاء بعد اقتراب الممالك الآرامية من المدن الكنعانية ، ومهدت لذلك صفاتهما الطقسية المشتركة . واستمر هذالاتحاد حتى مطلع القرون الميلادية الإولى حتى ترسخ في الفترتين الهيلينستية والرومانية كما سنرى ذلك .

- ورغم أن الحياة السياسية للآراميين اختفت في منتصف القرن السادس قبل الميلاد . . . لكن ظهور اللغة الآرامية كوريثة للغات السامية القديمة حولت الأساطير الكنعانية والكلدانية وغيرها الى اللغة الآرامية وصارت وكأنها آرامية المبنى والمعنى .

- ولكننا ، مع ذلك ، ومن أجل الدقة ، لن نتناول أساطير (بعل) التي وردت في التراث واللغة الكنعانية على أنها أساطير آرامية تمثل (بعل حدد) .

- إذن هذه المرحلة تبلورت شخصية (حدد) في شكل (بعل حدد) ، الجدير بالدراسة والتحليل هنا على أساس اتصال التراثين الآرامي والكنعاني .

في البداية نقول أن معنى جذريّ الإسمين في اللغة العربية (التي هي وريثة الآرامية واللغات السامية كلها) مختلف تماماً .

فـ (بعل) تعني في العربية والسامية والآرامية السيد أو المالك أو الزوج ، و(حدد) تعني في الآرامية من حد الواحد أو الأحد ، وفي العربية من حد وهو الفصل بين شيئين أو جعل الشيء حاداً أي قاطعاً أو مدبباً . أما (هدد) فمن هدّ الذي يعني كسّر ودّمر والهاد هو صوت البحر وصوت الرعد والهدد هو الصوت الغليظ .

- واذا كان (بعل) هو الزواج والتملك واتحاد الأشياء ، فان (حدد) أو (هدد) هو فصل الأشياء وقطعها وابعادها عن بعضها وصوت تكسرها وهديرها .

- وهكذا اجتمعت في شخصية الإله (بعل حدد) اللين والقوة ، الوصل والفصل ، الحياة والموت . وهذا يعني تحّولاً باتجاه الشمول والكلية حيث اجتماع المتناقضات الكبرى .

ومما يؤكد ذلك أن النصوص الأوغاريتية (الكنعانية) تلقب الإله (بعل) بلقب (ألين) ، وهو مجرد لقب للإله ولا يعني اسماً لإله آخر ، وربما كان مشتقاً من جذر الكلمة (ل . أ . ي) التي تؤدي معنى العظمة والقوة ، وبشكل مواز للكلمة يظهر اللقب (أ . ل . ي . ق . ر . د . م) في النصوص مرتين ويعني أقوى الأبطال (انظر اذزارد 183:1987) .

ويلقب (بعل) ايضاً بالأمير (ذ . ب . ل) وأمير الأرض وسيدها . وهذا يعني أن اللين والذبول من صفات (بعل) .

ولكن صفات أخرى مثل (علي) و (أ . ل . ي) ترتبط به ، ونقرأ في كتاب المزامير التوارتي ظهور كلمة (بعل عليون) ، وتظهر بعض المزامير أن كلمة (ج . م . ر) مساوّية لكلمة علي ، ولا ترد هذه الكلمة العبرية في مواضع أخرى من الكتاب المقدس ، غير أن الاسم (جمر هدد) معروف جيداً في نصوص أوغاريت على أنه لقب من ألقاب الإله (بعل) . ولذا يعتقد أن (جمر هدد) و (جمر علي) إسمان مختلفان لمسمى واحد هو الإله (بعل) (انظر المرجع السابق : 184) .

- وهكذا بدأت صفات الإله (بعل) تقترب من صفات الإله (حدد) ، خصوصاً بعد حلول الإله (بعل) مكان أبيه الإله (إيل) ، وظهوره بصفة المخلِّص الدوري من الإله (موت) إله القحط والجفاف . وارتبطت صفاتهما واسماؤهما ورموزهما ، فاصبح الثور الذي كان رمز إله الطقس الرافديني هو حيوان (بعل) و (حدد) و (بعل حدد) ، والثور له صفة إخصابية عالية كما انه يحمل معنى القوة بجسده وقرنيه وقوة خواره الهادر .

- وإذا كان الإله (بعل) قد وجد له بيتاً على جبل صفن أو على جبل الأقرع شمال أوغاريت «50 كم» ، فإن (حدد) كان مكانه في السماء ، الاّ انه أصبح بعد ذلك يحتل أماكن أرضية في دمشق (بعل ريمون) أو الجبل (بعل صمد) . إن اساطير (بعل) التي أصبحت بعد ذلك تنسب لـ (بعل حدد) معروفة وهي :-

1- اسطورة انتصار بعل على الإله (يم) .

2- اسطورة بناء قصر بعل .

3- اسطورة صراع بعل وموت (العود الابدي لبعل) .

- ولا نريد هنا أن نتوسع في شرح وتحليل هذه الأساطير التي عملنا على شرحها وتحليلها بشكل مفصل في كتابنا (الدين الكنعاني) ، ولكننا نودّ أن نشير الى أن هذه الأساطير الكنعانية للإله (حدد) هي أساطير مكتسبة بفعل اتحاد (حدد) مع (بعل) وليست أساطير (حدد) الآرامي القديم .

- كذلك لابد أن نشير إلى أن هذه الأساطير ، هي التي غطت أوطغت أو حذفت تلك الأساطير الآرامية القديمة للإله (حدد) ، ولذلك نتجنب ذكرها هنا . وقد نبدوا هنا مخالفين آراء الكثير من الباحثين والكتّاب الذين بحثوا في هذا الموضوع ، فنحنُ نرى هذا الموضوع من غير الزاوية التي يرون ، وننقد وجهة نظرهم من منطلق خلط الأوراق وعدم الدقة ومزج التراث القديم بطريقة مشوهة منطلقين من دوافع غير علمية وايديولوجية غير ذلك .

- ما تبقى لنا الآن هو دراسة الاشكال الآرامية للإله (بعل حدد) التي ظهرت في المدن والممالك الآرامية السورية بشكل خاص ، وهي كما يلي (انظر شجرة الآلهة الآرامية في بداية هذا الفصل) :-

1- **بعل خمن** : وهو إله يادي (شمال) ويمكن أن يعني الإله الغاضب ، وقد يكون اسمه (بعل حمون) حيث ان (خمن) تعني الغضب .

2- **بعل حامان** : وهو إله قد يتطابق مع الإله السابق حتى في اللفظ ، ولكنه يعني إله النار أو الإله الحامي ، وقد اتخذه الملك الآرامي في شمال (باماخ) واسمه الإله

(حمان) وقد يكون إله الأمانوس وهي جبال تقع في مدينة (زنجرلي) على سفوحها ، ويذكر الإله (بعل حمون) في المثلوجيا القرطاجية البونية كإله عظيم وقوي .

3- بعل صمد (بعل سميد) : وهو الإله الذي اختاره في مملكة سمأل الملك (كيلامو) ، وانه إله جبار ، وقد يكون معناه (سيد العبيد) أو شيخ الجبل .

4- بعل شمين : ويعني بعل السماء (بعل شميم) ، وهو إله كنعاني فينيقي ، ونرى أنه كان في أصوله الكنعانية القديمة أو البعيدة إلهاً قديماً عريقاً هو (شم) محيط السماء الذي انبثق عن المحيط السماوي الأرضي (ثمثم أو شمتم) ، والذي تحول الى الإله (شاميم) أو (شميم) إله السماء ، والإلهة (اديم) إلهة الأرض . ومن تزاوجهما ظهر الإله (إيل) (انظر الماجدي 1999) .

وقد استعيد ولصق بالإله (بعل) عند صعود الإله (بعل) البطولي بعد الإله (إيل) ، واصبح الإله (بعل) إله السماوات من خلال (بعل شمين) واستعار البانثيون الآرامي هذا الإله أيضاً .

- ولذلك اختلط اسم هذا الإله في بعض الأنصاب ومنها نصب ذكير (زاكير) الذي يقارنه بـ (الور) ، وهو الاسم القديم للإله (حدد) .

وبسبب سلب هذه العراقة وشحنها بالصفة الجديدة للإله (بعل حدد) ، بقي اسم هذا الإله حتى العصر السلوقي حيث انتشرت عبادته ، وعثر في كتابات تذكره في حوران وتدمر في معبد يعود تاريخهُ الى سنة (131م) ، وقد عثر فيه على مشاهد منحوتة للإله نفسه أيضاً ، وفي دورا (كتابة نذرية من العام 32م) وفي كل مناطق الشمال الرافديني . ويذكر اسحاق الانطاكي (من القرن الخامس الميلادي) أن عبادة (بعل شميم) كانت منتشرة في (إديسا) ويعني الاسم (سيد السماء) ، وكان فيلون الجبيلي يضع اسمه الى جانب زيوس على رأس قائمة الآلهة (انظر اذزارد 203:1987) .

- وهكذا نرى أن هذا الإله الكنعاني العريق اكتسب صفات فينيقية آرامية واستمر في صورة سريانية وهيلينستية واضحة .

5- **بعل ريمون** : وهو شكل آخر من اشكال (بعل حدد) الذي عبد في دمشق إبان مملكة آرام دمشق العريقة . وكان يدعى أيضاً (طاب ريمون) أي (ريمون الطيب) . وتعني

كلمة ريمون (العاصفة أو الرعد) ولها علاقة بالفعل رمى ، وقد تكون هذه الكلمة هي الجذر الآرامي لكلمة (رحمان) ، فالرحمان هو الغاضب الجبار القوي وهي عكس معنى كلمة (رحيم) ، أي المشفق اللين العطوف . وقد يكون جمعهما في اسم واحد دالاً على القوة والعطف وهي من صفات (بعل حدد) . وكل هذا له علاقة بالفعل الآرامي (رحم) الذي يعني شفق ، والاسم العربي (رحم) الذي هو عضو الانثى الذي تتم فيه الخليقة ومنه الولادة ، ويعني أيضاً الصلة . والرحم قدر ما هو صلة ، فهو فصل ايضاً عند الولادة ، وفي هذا ما يشير أيضاً الى الاتصال والانفصال ، والقوة واللين معاً .

– وفي دمشق بني لهذا الإله معبد كبير ، أعيد تشييده في العهد الروماني ، وبني على انقاضه الجامع الكبير (الاموي) في دمشق ، وكان أيضاً مكاناً لعبادة زوجة هذا الإله (عتر) . وكان اسم المعبد (بيت رمون) . وفي داخله هيكل عجيب الطراز صارت له شهرة واسعة .

ويروى عن (احاز) ملك (يهودا) ، انه عندما كان تابعاً للملك الآشوري (تغلات بلاصر الثالث) ، زار دمشق واقتبس طراز هذا الهيكل وهندسة بنائه ، وحين عاد إلى القدس (اوشليم) بنى هيكلاً مشابها له تماماً في معبد القدس المشهور ، مكان الهيكل القديم (انظر دوبون – سومر 186:1988) .



شكل (13)

(بعل حدد) في صورة العجل أو الثور

6- هناك آلهة بعول أخرى ذكرت في النصوص الآرامية ، كان أغلبها يشير الى (بعل حدد) . لكنّ بعضها لا يشير الى ذلك مطلقاً مثل بعل بيت (بعل بت) ، الذي كان يشير الى (راكب إيل) وهو سيد البيت ، وقد رأينا أنه حوذي الإله (إيل) .

وكذلك (بعل حرّان) الذي كان يشير إلى الإله (ساهار) أو (سين) في حران وهو إله القمر ، ولا يشير الى (بعل حدد) مطلقاً .

5- الآلهة الآرامية في المرحلة الهيلنستية:

- دخلت مدن الممالك الآرامية الغاربة والمزاحة بعد القرن السادس قبل الميلاد ، تحت الهيمنة الفارسية الإخمينية ، ولم تستطع المعتقد الزرادشتية التأثير في نسيج المعتقدات السامية التي فقدت غطاءها السياسي ، ومنها الآرامية . . وهكذا ظلّ الناس في هذه المناطق (ما بين النهرين وسوريا) على معتقداتهم القديمة .

لكن التحول الواضح قد حصل مع ظهور العصر الهيلنستي في الشرق حوالي (323 ق .م) ، بعد وفاة الاسكندر المقدوني . وكانت المعتقدات الآرامية تقع ضمن نطاق الهيلنستية السلوقية في أغلب أماكنها ، (باستثناء جوف سوريا الذي وقع ضمن نطاق الهيلنستية البطلمية حتى منتصف القرن الثاني قبل الميلاد تقريباً) .

ونستطيع القول هنا أن المعتقد الآرامي استقبل شحنتين جديدتين دبت شراراتها في نسيجه ، الأولى شرقية فارسية عبر عنها الدين الزرادشتي ، الذي كان قد استقر على فكرة وجود عالمي النور والظلمة أو الخير والشر ، والصراع الدائم بين إله الخير والنور (أهورا مزدا) مع إله الشر والظلمة (أهريمان) . والثانية غربية يونانية جاءت معها بالبانثيون الاغريقي المعروف للآلهة التي يقع (زوس) على رأسها ، وبالفلسفة التي مهّد لها افلاطون بنزعته المثالية وايمانه بالإله المطلق المفارق للعالم .

- وهكذا ظهر مناخ جديد أطلق عليه (الهيلنستي) ، الذي كان في حقيقته مناخاً عالمياً ، لانه هضم الشرق والغرب معاً على أرض واحدة .

وكان المعتقد الآرامي في هذا المناخ يستقبل المتغيرات الروحية الجديدة ويتفاعل معها .

- وقد مهد هذا المناخ الهيلنستي (الروحي والثقافي) الارض لظهورالتوحيد ، وهو ما فُطر عليه المعتقد الآرامي منذ بدايته ، فهو لم يغير إلهه الواحد الاحد (حدد) ، رغم ظهور آلهة أخرى معه الاّ أن (حدد) كان هو المركز الذي تدور حوله هذه الآلهة ، وحتى عندما ظهرت منافسة قوية من قبل ا لإله (بعل) ، فانه عمل على الاتحاد به فانصهر الإلهان في إله واحد هو (بعل حدد) الذي هو حدد نفسه .

- واذا كان المعتقد الاغريقي في البداية قد استعرض بغطرسةٍ بانثيون آلهته الفاره والكبير أمام الشرق ، فإن أرض الشام بشكل خاص استطاعت امتصاص هذه الآلهة وإذابتها في نسيجها الراسخ ، (الذي ظهرت منه ذات يوم كل آلهة الإغريق) وبذلك لم ينفع تلك السنن الجديدة التي عمل عليها الإغريق طيلة تاريخ معتقداتهم ، بعد أن كان مصادرها الأولى المعتقدات الكنعانية على وجه التحديد .

وبذلك فشل التحدي الديني وأصبحت مقابلة (زوس) بـ (حدد) مسألة لا تضيف شيئاً جديداً بل تُذكر بأصل (زوس) مع بقية الآلهة . ولسنا هنا في مهمة استعراض الآلهة اليونانية وما طرأ عليها من تغيرات في الفترة الهيلنستية . لكن المفاجأة أتت من الفلسفة الهيلنستية التي كانت جذورها اغريقية خالصة تنبع من افلاطون . . . فقد حرثت هذه الفلسفة الأرض نحو التوحيد الذي ظهر في المسيحية لاحقاً مسربلاً بايقاع الثالوث القديم في الشرق .

- إن النقطة المركزية هنا ، هي ما آلت إليه شخصية الإله الآرامي الواحد (حدد) في هذا العصر الهيلنستي ، ولعلّ أهم مدينة يمكن أن تخبرنا عن هذا الأمر هي مدينة (منبج) ، التي أسماها الإغريق (هيرابوليس) ، والتي تقع شمال مدينة حلب على مسافة عشرين كيلومتراً الى الغرب من نهر الفرات ، وإلى الاسفل قليلاً من مدينة (كركميش) ، وقد أفاض المؤرخ الهيلنستي (لوسيان السمسياطي) في كتابه (الإلهة السورية) شرح الاحوال الدينية في هذه المدينة حيث يعود تاريخ كتابه هذا الى القرن الثاني الميلادي .

ونلاحظ أن صفات كبير الآلهة الاغريقية (زوس) قد أُضيفت على الإله (حدد) ، الذي يمكن ان نطلق عليه في هذه الفترة (زوس حدد) .

فهو كبير الآلهة ويمتاز بثالوثه الشهير (حدد ، عترغاتس ، سيميوس) .

حدد :

لم تكن صفات الإله (زوس) غريبةً على الإله (حدد) ، بل هي مطابقة له تقريباً ، فقد كان (زوس) ابن (كرونوس) ، ويقابلهما تماماً في المثولوجيا الكنعانية (بعل ابن إيل) ، ولا يساورنا أيّ شك أن مصدرهما كان كنعانياً في أصوله .

- ولذلك فإن (زوس) عندما جاء ليطابق (حدد) ، كان (بعل) قبله قد مهّد الطريق اكثر في شخصية (بعل حدد) ، وهكذا لم تختلف شخصية (زوس حدد) الهيلنستية عن شخصية (بعل حدد) الفينيقية التي هي امتداد للشخصية الآرامية الاصل (حدد) .

أتارجاتيس :

- إذا كانت رفيقة الإله القديم (حدد) في زمن الآشوريين قد ظهرت على هامشه في شخصية عشتارية هي (عتر) ، فإن هذه الشخصية ذابت وذوت خلال ما يقرب الألف سنة ولم تأخذ دوراً مهماً مع استثناءات قليلة كما حصل في مدينة حلب حيث ظهرت شخصية بعلاتي (بخلاتي) رفيقة (بعل حدد) وهي مؤثرات فينيفية واضحة . لكنّ شخصية (عتر) القديمة بعثت في العصر الهيلنستي في إلهة جديدة سميت بالتصويت اليوناني (أتركَاتيس) ، وفي التصويت السرياني (عطر غاطس) ، وسميت في العصر الروماني بالإلهة السورية .

وكان اسمها السرياني مركباً من إلهتين عراقيتين قديمتين ، الأولى ، أكدية وهي (عشتار) ، والثانية سومرية هي (إنانا ، عنانا) وهي أصل عناة الكنعانية . وقد نحت الاسم لغوياً بطريقة غريبة ، نرجح أن مرجعه يعود أيضاً الى فكرة (عتر) و (غات) أي عشتار القوية . وقد أعيد نحت اسم (أتاركَاتيس) اليوناني بصيغة أخرى هو (دركتو) الذي أصبح دالاً عليها ايضاً .

- وكانت هذه الإلهة تتمتع بشعبية كبيرة في بلاد الشام ، وخاصة في دمشق وعسقلان ومنيج ودوليخ ودورا وبامبيكة وتدمر وغيرها .

وكان لها عدد كبير من الرموز منها السنبلة والسمكة وعلامة البناء والعجلة والأسد غيرها .

فقد كانت السنبلة رمز الزراعة والخصب والمحصول الوافر ، اما السمكة فقد كانت رمز المياه والتكاثر والملاحة البحرية ، وكانت العجلة رمز السفر ودفة السفينة .

وكان الزوديال (دائرة البروج) دلالة على الخظ وقدرة الإلهة على التحكم بالأقدار والمصائر ، إذ كانت تظهر أحياناً وهي تحمله على رأسها . . وقد تطابقت هذه الصفة مع الإلهة الأغريقية (تايكي) إلهة الخظ .

أما الأسد فإنه رمزاً عشتارياً يذكر بالانتصار الذكوري على الثور الذي هو رمز الأنثى وهو رمز القوة والبطش .

ورافق الإلهة (اترجاتس) قرن الرخاء المعروف الذي كان يُملأ عادة بالفواكه وهو من رموز تايكي ايضاً .

سيميوس :

- كان سيميوس هو ثالث اقنوم (حدد) اليهيلنستي . ففي مدينة هيرابوليس [كانت تتم عبادة الإله الشاب (سيميوس) الى جانب عبادة (حدد) و (أتارجاتيس) ، بحيث يكتمل الثالوث الإلهي ، والإله (سيميوس) هو امتداد للإله (اسكلبوس) الوارد في نقش لـ (دولوس) وقريب الشبه بالإله الفينيقي (أشمون)] (دوبون - سومر 176:1988) .

- عندما كان ينظر الى الثالوث الآرامي الهيلنستي على أنه ثالوث كوكبي (كما في مدينة بعلبك) ، كان الإله (حدد) يمثل الشمس و (اترغاتيس) تمثل كوكب الزهرة ، أما (سيميوس) فيمثل عطارد .

- ويشير لنا تراث ذلك الزمان ، على أن شخصية الإله (سيميوس) كانت مزدوجةً الجنس ، ويُشار لها بشكل ذكوري على أنها (سيميون) أو (سيمون) الذي كان هو إله البحر بحق (وليس سيميوس) .

وكان الاحتفال به يجري مرتين سنوياً على شكل موكب (سميون) ، حيث تجلب فيه مياه من البحر ، وتسكب في شق تحت المعبد ، «ويعتقد أن المقصود (من هذا الطقس ، هو إحياء ذكرى الطوفان في النفوس لكي لا تمحوه الأيام ، كما يفسر بأنه عملية استسقاء لتنزل الأمطار بواسطة السحر والشعوذة ، أو أن الغاية منه أن تتم المصالحة بين الآلهة الأرضية

المتخاصمة فيما بينها ، وقد يرمز موكب الاحتفال المتجه الى بحيرة الاسماك المقدسة ، الى طقوس الاغتسال المقدس» (اذزارد 161:1987) .

- وكانت احتفالات هذا الإله ، والربيعية منها بشكل خاص ، تمتاز باشعال النيران ورفع المشاعل بحضور عدد كبير من الحجاج والمحتفلين الذين يقومون باحراق الاشجار المزدانة بانواع الاضاحي والهدايا ، وكان الانفعال الاحتفالي لكهّان الـ (جالا) يصل حد الهوس فيخصون أنفسهم ويرتدون ثياب النساء وحُليهن ، وهذا يعني الانتقال من الذكورة الى الانوثة ، وهو ما تفصح عنه طبيعة هذا الإله المزدوجة الجنس كما قلنا .

- أما الوجه الانثوي للإله (سميوس) فكان يتجسد في الإلهة (سميرنا) ، والتي كانت تسمى أيضاً بـ (شميرام) ، وتعني إلهة الحمام أو أم الحمام أو محبوبة الحمام ، وكانت الحمامة رمزاً لها . وقد وصفت هذه الإلهة بالقوة والشبق ، فهي تحمل وجهاً ذكورياً داخلها .

- وهكذا نشطت الذكورة والانوثة بنسب في هذين الوجهين ، وهذا يعني كمال شخصية (سيميوس) ، وهو ما يذكرنا برمز الانيما (الأنثى داخل الرجل) والأنيموس (الذكر داخل المرأة) .

وقد اختلطت شخصية هذه الإلهة بعدد كبير من الشخصيات النسوية الواقعية منها :

1-سمير أميس :- وهي ملكة آشورية اسمها الحقيقي الآشوري هو (سمورامات) زوجة الملك الآشوري (شمسي أدد الخامس ،823-810) ق .م ، وتذكرها الآثار بتواضع شديد ، فقد كانت وصيّة على ولدها القاصر (أدد نيراري الثالث) . ولكنها في الروايات اليونانية لسترابون واسطفان البيزنطي وصفرون الدمشقي ظهرت كبطلة نصف إلهية ، ونسبت لها معجزات كبيرة . فقد أضهرتها الاسطورة إبنة (دركتو) في مدينة عسقلون وهي مدينة كبيرة عامرة فيها بحيرة سمك واسعة تملكها الإلهة (دركيتو) التي لها رأس امرأة وجسم سمكة (أي انها تشبه حوريات البحر) ، وذات يوم غضبت الإله(عشتار) على (دركيتو) وهامت به وقطعت عليه الطريق وعرضت عليه هواها ، ولكنه اشتكى اليها مرض أمه فشافتها فاستسلم لها واستدرجته الى كوخ فضاجعها . وعاشت معه حتى ضجرت منه فشكت اليه مرةً من ألم شديد في ظهرها وطلبت منه دواءً يشفيها ، وهو جلد سمك الانكليس الذي يمتص الألم ، فاذا بها شدته على ظهرها وسار هو لصيد السمكة و (دركيتو) تعرف أنه سيموت هناك فمات .

ورحلت هي إلى بابل فولدت في البرية طفلةً جميلةً ، ثم رجعت الى البحيرة وألقت بنفسها فيها فتحولت الى سمكة ، وعبدها الناس في عسقلون وعبدوا السمكة . أما الطفلة التي ولدت في برّية بابل فقد رعتها الحمامات وأطعمنها وأحاطنها بأجنحتهن من الجهات الأربعة وحافظن عليها دافئةً ، وجلبن لها بمنقارهن الحليب ، حيث كانت تخلو المنطقة من الرعاة والصيادين ، ولما صار عمرها سنة واحدة جلبت طيور الحمام لها الجبن والأغذية ، وكانت الحمامات سبعاً ، كل حمامةٍ بعثها إله من آلهة السماوات ، وكان الصيادون يتعجبون عندما يرون قطع الجبن منقرة عند حوافها ، فقرروا تفتيش المنطقة ، ووجدوا الطفلة ذات الجمال المدهش ، أخذوها الى سيماس مسؤول القطعان الملكية الذي كان عقيماً فاهتم بها كأنها إبنته وسماها (سمير أميس) التي هي سمورامات أي (محبوبة الحمام) .

- وكبرت الطفلة حتى أصبحت أجمل فتيات بابل ، وذات يوم أرسل الملك الآشوري (شمس أدد الخامس) أحد ضباطه واسمه (أونيس) الى بابل فرأى (سمير أميس) وهام بها ، وطلب من (سيماس) أن يزوجها له فتزوجها ورجع بها الى آشور ، وأنجبت منه ولدين هما هياباتيس وهيداسبيس ، وأحبها زوجها حباً عظيماً حتى أصبح اسيراً لها . وثارت مدينة باكترا (باكتيريا) على ملك النينوس (شمشي أدد الخامس) فأرسل اليها القائد (أونيس) فحاصرها ولكنه لم يستطع فتحها فطال زمن فراقه عن (سمير أميس) زوجته ، فأرسل اليها وكانت ذات مواهب كبيرة وتهيأت للسفر ولبست زياً يصلح للرجال والمرأة ، ولما وصلت الى باكترا ورأت زوجها وضعت خطةً لفتح المدينة ونجحت باحتلال مدينة باكترا ، فلما سمع (النينوس شمشي أدد) بذلك تقدم لها بالهدايا العظيمة وافتتن بجمالها وحاول إقناع زوجها لاعطائها أياه مقابل تزويجه إبنته سوزانه ، فرفض زوجها وهدده الملك بقلع عينيه لكن زوجها (أونيس) أصابه مسّ من الجنون ، فوضع حبلاً على رقبته وشنق نفسه ، فتزوج الملك (سمير أميس) وولدت له ولداً وأسمته (أدد نيراري الثالث) ولمّا صار عمر الطفل خمس سنوات تمنت على زوجها أمنية ، وهي أن يجلسها على العرش يوماً واحداً ويمنحها الأوامر المطلقة ، ففعل ذلك ولما جلست على العرش أمرت بقتل زوجها الملك ، فاصبحت هي الملكة المطلقة لبلاد آشور ودفنت زوجها في ساحة المعبد وشيدت فوق قبره بناية عالية . وقررت (سمير أميس) القيام بأعمال عظيمة فأعادت بناء بابل وبنت فيها قصوراً كبيرة وأبراجاً ومعابد وشيّدت مدناً جديدة على امتداد دجلة والفرات ، ثم توجهت نحو بلاد ميديا العظيمة حتى وصلت الى جبال باكستاوس ونحتت عليها تمثالاً لها ومعها

مائة رجل مسلح ، ثم اتجهت الى مدينة شاون في ميديا وشيدت بستاناًبين صخورها وبنت لها قصراً هناك ، وكانت تختار كل جندي جميل من جنودها وتتخذه خليلاً لليلة واحدة ، ثم تقتله مخافة أن يفشي بسرّها . ثم ذهبت الى همدان وأقامت بستاناً وقصراً هناك ، ثم ذهبت الى بلاد فارس وعادت بعدها الى آشور ، ثم تطلعت الى بلاد النيل وليبيا والحبشة وذهبت الى هناك ، ثم عادت الى آشور وتطلعت بعدئذ الى الهند وجيشت جيشاً كبيراً لذلك ، ووضعت الخطط لاحتلال الهند ورابطت فيها طويلاً وكادت تحتلها لولا تفشي أسرار خططها . فعادت الى آشور بعد أن خسرت ثلثي جيشها ، وكان ولدها (أدد نيراري الثالث) قد كبر وأحبّ أن يتولى ملوكية البلاد ، فرفضت أمه ذلك ، فقام بمؤامرة عليها مع أحد الخصيان ولم تعاقبه (سميس أميس) بل أمرت حكامها بطاعته والامتثال لأوامره ، واختفت هي في الحال إذ تحولت الى حمامة وطارت في الجو بصحبة بعض الطيور التي حطت على منزلها (انظر الأحمد 1987) .

- هذه هي اسطورة (سمير أميس) التي يفترض تحليلها لمعرفة عناصرها وبنيتها ، ونحن نرى أن الملكة الآشورية (سمورامات) زوجة الملك الآشوري (شمشي أدد الخامس) التي ذكرتها الآثار الآشورية على أنها كانت وصيّة على ولدها (أدد نيراري الثالث) لمدة خمس سنوات ، لا تربطها بهذه الاسطورة الاّ التسمية المشتركة ، والتي ربما ساهم نحتها في التقريب بين اشكالها المختلفة (سمورامات ، سميرنا ، سمير أميس ، شميرام . . . الخ) .

- ونرى أن الاسطورة خليط عجيب من ثلاثة عناصر أساسية هي :-

1- المتن الاسطوري الحقيقي والمرتبط بالالهة (سميرنا) وهي إلهة الحمام وبشكل أدق إلهة الطيور ، وقد أخذت أحد الرموز المرتبطة بالإله (حدد) وجسّدت في بداية حياتها السمكة التي هي إحدى رموز الإلهة (أترغاتيس) ، وهكذا جمعت السمكة والطير في آن واحد ، (رمزان ذكري وانثوي) . وهي اسطورة تذكر (بعشتار) التي تبعث بحبيبها الى الموت كما فعلت (دريكتو) هذا مع النساج ، وفعلت ابنتها (سمير أميس) هذا مع زوجها أيضاً .

- أما أسماء (سميرنا) و (نينوس) و (نينا) فهي أسماء تذكرّنا بالأصل السومري العميق لـ(عتر) و (عشتار) وهي (إنانا) و (نانشة) وغيرها .

2- المتن التأريخي المرتبط قسراً بالملكة الآشورية (سمورامات) من ناحية الاسم فقط ، دون أن يكون لهذه الملكة أي شيء من الاسطورة أو المغامرات الاخرى .

3- المتن التأريخي المرتبط بالاسكندر المقدوني ، حيث تذكرّنا فتوحات الملكة (سمير أميس) التي عرضتها الاسطورة بفتوحات الاسكندر المقدوني ، وهو ما حاولنا كشفه وتتبعه والعثور على حقيقته .

- لقد أسقط واضعوا النص الاسطوري لسميرنا (وهم من الاغريق أو الهيلنستين) ، تاريخ وفتوحات الاسكندر على هذه الإلهة ، ثم قاموا بدمجها مع شخصية (سمورامات) وشخصية (الاسكندر) . لقد مثلت هذه الإلهة في صياغتها الجديدة الجانب الانثوي من شخصية (الاسكندر المقدوني) .

- وهكذا فاننا نرى في مرآة (سمير أميس) شظايا من تأريخ (الاسكندر) ، من فتوحات ومغامرات وقتل للضباط المقدونيين والفرس . بل أن اسطيفان البيزنطي يذكر أن (سمير أميس) فتحت مصر ، وزارت الإله (آمون) لكي تستوضحه نبوءة عن نهاية حياتها ، فأنبأها (آمون) بأنها ستختفي مثل حمامة ، وتفوز من أكثر الشعوب الآسيوية بتقدير لا يمحى ، (عبد الحكيم 56:1978) .

- وهذا يذكرنا بزيارة (الاسكندر المقدوني) لمعبد الإله (آمون) في سيوه ، وكيف أنه دخل الى غرفة قدس الأقداس ودار بين (الاسكندر) و (آمون) حديث لم يفصح عنه ، وقد عدّ الاسكندر ابناً للإله في سيوه بعد ان توّج كفرعون إله في منف .

والأكثر من ذلك أن لقب (سمير أميس) الخفي هو (سيما) ولقب أخيها سيميون (إله البحر) هو (سوما) . . وكأن هناك اتحاداً بين اللقبين ، لكن أحدهما ذكري والآخر أنثوي ، ولذلك كان الناس في الاسكندرية يطلقون على القبر الذي احتوى على رفات (الاسكندر) (بعد أن نقله بطليموس الاول من بابل الى الاسكندرية) هذا القبر كان يطلق عليه اسمين غريبين حيّرا المؤرخين هما (سوما) و (سيما) .

وهكذا توصلنا لحل لغز هذين الاسمين عن طريق اسطورة (سمير أميس) التي نرى أن متنها التأريخي الأخير خاص بـ (الاسكندر المقدوني) ، وربما احتاج الأمر الى مباحث

عميقة أكثر ، ولكننا نضع هذه الاشارة هنا كنوع من التفسير الجديد للأسطورة ولحياة وقبر الاسكندر المقدوني .

- ولعله أصبح بامكاننا تفسير الاعمال الاخرى التي قامت بها سمير أميس ، مثل الجنائن المعلقة والقباب الاثنتا عشر قرب نهري بيروت وابراهيم في لبنان ، والسور الذي احاطت به مدينة دمشق .

فهذه الامور كلها اسقاطات من التاريخ البابلي والسوري على شخصية (الاسكندر) في صورة (سمير أميس) ، وتقع في باب المثولوجيا التأريخية أكثر من كونها أساطير صرفة أو تأريخاً حقيقياً .

2- **بلقيس** :- وهي ملكةسبأ ابنة (الهدهاد بن شرحبيل) أحد الملوك اليمنيين القحطانيين من عرب الجنوب ، وكان الهدهد هو رمز أو طائر بقليس ، وهو طائر أو رمز (سليمان) ايضاً وحين التقى الهدهدان اخبر هدهد (بلقيس) صاحبه هدهد(سليمان) عن الملكة (بلقيس) وجمالها ومملكتها ، فإذا ابلغ الثاني (سليمان) الخبر . وبعد ان التقى (سليمان ببلقيس) رأى سليمان جمال جسدها رغم ما يغطيه من الشعر ،لأنها العفريتة (ليليث) التي ما زالت تجوب القفار منذ زمن آدم ، فهي حواء الأولى الباطنية ،فازال سليمان شعرها بالعجينة وهذب جسدها وتزوجها وانجب منها ولداً خلف ملكه على اليمن . وتروي الاسطورة كيف ان سليمان توحد مع الشيطان بعد ذلك (انظر عبد الحكيم 1982:124-127) .

- وهذه الحكاية يمكن ان يكون تطابقها مع الإلهة (سميرنا) من خلال الطير (الهدهد) الذي نرى أنه (هدد ، حدد) الإله الأب (لسميرنا) ، والذي تحول اسمه واصبح الهدهد الطير الدال عليه وعلى ابنته (بلقيس) التي يمكن ان تكون (بعلة قيس) أي إلهة أو ملكة قبيلة قيس . . . . الخ . ولكننا نعتقد أن المدهش في الأمر هو لقاؤها (بسليمان) ، وهذا إحدى التجليات اللغوية للاسطورة الام (سميرنا وسيميون) ، حيث نرى ان تقارب اسم (سليمان) مع (سيميون) هو أساس هذا اللقاء ، وأن الشعر الذي على جسد (بلقيس) هو الجزء الذكري الذي وصفناه في الاسطورة الام . . . . وهكذا فإن هناك متسعاً من البحث عن لقاء حكاية (سليمان) و (بلقيس) من خلال اسطورة الإلهة سميرنا (سمير أميس) .

3- **ميرنا** :- وهي ملكة الأمازونات الليبيات ، التي ذكرها وذكر سيرة حياتها ومغامراتها ديودوروس الصقلي في الكتاب الثالث من مؤلفه (المكتبة التاريخية) وهو مؤرخ عاصر

يوليوس قيصر وأغسطس ، فهو يذكر في الفقرات من (52-55) أحداث النساء الأمازونات وملكتهن (ميرنا) . وهي احداث نقلها عن المؤرخ ديونوسيوس مؤلف (بحارة الآرغو) وهو هيلنستي عاش في الاسكندرية اواسط القرن الثاني ق . م .

- تعني كلمة (أمازون) المرأة المقطوعة الثدي ، والأمازونات مجتمع تسود فيه زعامة النساء على الرجال ، وكانت الأنثى عندما تولد تحفف اثداؤها بالكي كي لا ينموان عندما تصل سن البلوغ ، فقد كانت الامازونات يعتقدن أن الأثداء تشكل عائقاً كبيراً اثناء القتال حين تبرز من الجسم .

والأمازونات ظهرن أولاً في ليبيا وقمن بأعمال باهرة بزعامة ملكتهن (ميرنا) . . . ويقول (ديودوروس الصقلي) انهن اختفين تماماً منذ اجيال عديدة قبل حرب طروادة (في القرن الثاني عشر قبل الميلاد) .

أما الامازونات الاغريقيات فقد ظهرن لاحقاً بجوار نهر(ثرمودون) في اقليم (البونتوس) ، وهي منطقة بحر مرمرة . وكان لهن شهرة كبيرة .

- ونذكر فيما يلي ملخصاً لحكاية الأمازونات الليبيات التي ذكرها (ديودوروس الصقلي) (انظر ديودوروس 1967:189-205) :

(كان موطن الأمازونات في مكان اسمه (هسبيرا) (الذي يمكن ان تكون بنغازي الحالية) ، فلما أصبحن سلالة قوية اخضعن الجزر والمدن والقبائل الليبية المجاورة لهن وأنشأن مدينة عظيمة هي (خرونيسوس) ، ومن هذه المدينة انطلقن الى العالم فاخضعن تحت قيادة ملكتهن (ميرنا) شعوباً جديدة خارج ليبيا مثل الاطلنطيين ، وكن يستخدمن الخيول ، وجلود الافاعي كوسائل دفاع . وبعد اخضاع الاطلنطيين قامت حرب بينهن وبين الغرغونات ، وهن نساء ذات شدة رجولية أيضاً يقمن على تخوم اطلنطا . وانتصرن الاموزونات عليهن واسرن ثلاثة آلاف غرغونة .

وحين أهملن الامازونات حراسة أسراهن ، وثبن الاسيرات وقتلن عدداً كبيراً من الامازونات ، فقامت (ميرنا) بإبادتهن وعمل جناز كبير ، ودفنت الامازونات القتيلات في ثلاث تلال تسمى (روابي الامازونات) ، واشتدت قوة الغورغانات لكن هرقل ابادهن تماماً .

- أما (ميرنا) فقد جيشت جيشها من الامزونات واحتلت القسم الاكبر من ليبيا ، واجتازتها الى مصر ، فعقدت معاهدة صداقة مع (حورس بن ايزيس) ملك مصر ، ثم

اخضعت سوريا ، وشعوب آسيا الصغرى من القليقيين والفريجيين ، وانشأت مدناً باسمها وأسماء مساعداتها . وامسكت بها عاصفة والقتها الى احدى الجزر الخالية ، فجعلت من هذه الجزيرة حرماً مقدساً للإلهة الأم .

فعادت الامازونات الى ليبيا اذ قام احد الملوك التراقيين بغزو الجزيرة وحدثت معركة رهيبة مع الامازونات وقتلت (ميرنا) والقسم الاكبر من جيشها . ثم انسحبت بقية الامازونات الى ليبيا .

- والحقيقة أن هذه الحكاية تصور (ميرنا) التي تحمل بحكم كونها امازونة صفات الانوثة والذكورة ، وهو ما تتصف به (سميرنا) وعلاقتها مع (سيميون) ، وتصور هذه الغزوات الوجه الذكوري الذي ظهر ايضاً في حكاية (سمير أميس) . ويمكننا ان نلمح في حكايتها طابع الحروب الاسكندرية (في حوض المتوسط) ولكن بشكل معاكس (من ليبيا الى آسيا الصغرى) ، ويمكننا ان نفسر الكثير وجوه هذه الحكاية مثل تفسيرنا لحماية (سمير أميس) .

الأنباط وحدد الهيلنستي :

- وجد الإله (حدد) وزوجته (اترغاتيس) مكاناً عظيماً لهما وسط بانثيون الآلهة النبطية ، وقد جاء هذا بفعل الاحتكاك السلمي والحربي بين الاغريق والانباط ، ولذلك تسربت من هذه الآلهة الى الانباط واقعةً على اثر آلهة نبطية قديمة تحمل صفات مشابهة الى حدٍ ما .

- فقد تحّول الإله النبطي العريق (ذو الشرى) الى (ذي الشرى ديونيزويوس) و (ذي الشرى زيوس) ، واخذ (بعل حدد) الشامي الآرامي صورة (حدد زيوس) .

- اما اللات النبطية فقد حلت محلها (اترغاتس) التي اكتسبت رموزاً وصفاتاً جديدة كثيرة منها قرن الرخاء ، والقمح ، الرمان ، الأسد ، السمكة الدولفين (شفيعة المسافرين في البحار) ، دائرة البروج (الزودياك) ، العجلة ، النسر . . . . . . الخ .

- الغريب اننا لا نلمح (حدد) النبطي بشكله التقليدي مع الصاعقة ، بل اعطوه الانباط الهيلنستيون في تماثيل مجسمة شكل الانسان الكثيف الشعر واللحية والشارب .

- اما الإلهة (أترغاتس) فإنها تظهر في صورها الباذخة كمنحوتات خصيبة ، ففي خربة التنور تظهر بتمثال نصفي كإلهة للحبوب والفاكهة والخضار . ويظهر رأس (اترغاتس) وهو

يحمل هذه المرة نسراً مخفوظ الجناحين حتى ان مكان النسر قد شغل حيزاً من الحجر وبدا كأنه تاج توج رأس الإلهة ، ونزل شعرها على كتفيها وصدرها وظهرت ملامح وجهها تدل على الفرح .

والشكل الآخر الذي تظهر به كإلهة للدلافين ، حيث تظهر سمكتان على أعلى رأسها وقد تقابلتا في وضع التقبيل . وتحمل ملامحها صفات شرقية ويونانية (هيلنستية) واضحة .

ولا نعرف ، فيما بحثنا عنه ، ابناء (حدد) و (اترغاتس) عند الانباط .



شكل (14)

(أترغاتس) النبطية الآرامية

6- الآلهة الآرامية في المرحلة الرومانية:

- استمر إيقاع التقاليد الدينية الرومانية على ما كانت عليه في العصر الهيلنستي ولكن تحت أسماء أخرى مرادفة ، فعندما احتل الرومان بلاد الشام ، استبدلوا أسماء الآلهة اليونانية بأسماء رومانية ، وهكذا اصبح (جوبيتر) مكان (روس) .

- أما (اترغاتيس) فقد احتفظت بهذه التسمية وأصبح لها الشأن الاعظم عند الرومان وبنوا لها معابد في دلوس ، وكان الامبراطور (نيرون) من المعجبين بها . واكتسبت كل صفات الاخصاب للإلهة الأم .

- وكانت مدينة دوليخ (دوليخوس) أهم اماكن عبادة (جوبيتر دوليخوس) و (الإلهة اترغاتس) .

- كان (بعل دوليخ) إلهاً حورياً - حيثياً للعاصفة والخصب رغم جذوره الآرامية الواضحة والمختلطة بنكهة كنعانية . . . . وكان يظهر بعدة اشكال منها الشكل العسكري الذي يظهره مثل قائد حربي يقف على ظهر ثور حاملاً صاعقة وفأساً مزدوجة . . أما شكله الآخر الذي يظهر به في تمثال برونزي يقف بين ثورين ويعتمر غطاءً غريباً ويتسم بملامح انثوية (شكل 15) .

ويختفي اسم (حدد) في صورة (بعل بقاع) وهو إله بعلبك الروماني الذي لا يختلف عن شكله العام عن (بعل دوليخ) أو (جوبيتر حدد) في (دوليخوس) .



شكل (15)

(جوبيتر حدد) تمثال مصنوع من البرونز، يقف بين ثورين يمشيان)

7- المرحلة السريانية المسيحية (الثالوث المقّدس):

- كانت الفلسفة الهيلنستية قد هيأت الأرض كاملة لبعث فكرة (الثالوث المقدس) ، رغم ان معتقدات الشرق الأدنى كانت اغلبها قد انتهت الى صيغة الثالوث في العصر الهيلنستي ، . فقد كان ثالوث مصر الديني هو (أوزيريس ، إيزيس ، حورس) ، وكان الثالوث الآرامي السرياني هو (حدد ، اترغاتس ، سيميوس) ، وكان الثالوث الفينيقي هو (ادونيس ، عشتروت ، الطفل) .

- وهكذا ظهر الثالوث المسيحي المقدس (الأقنوم) في بيئة دينية وفكرية مناسبة ، وبدت الديانة المسيحية وكأنها امتداد للمعتقدات المحلية القديمة ، وليس لليهودية ، مع نزعة شاملة للتوحيد .

- إن لغة الديانة المسيحية الأولى هي اللغة السريانية ، التي كانت مشبعة بإرث الاعتقاد الديني الآرامي الذي صب شحنته في الديانة المسيحية بشكل مباشر وغير مباشر . . وبقيت اللغة السريانية هي اللغة الاساسية للمسيحية حتى ترجمت الأناجيل الى اللاتينية ، ومع ذلك بقيت الفرق المسيحية الشرقية والأرثوذوكسية تستعمل السريانية ، وظلت هذه اللغة تشع بآدابها الروحية والشعرية والفكرية على مدى القرون الميلادية حتى القرن السابع الميلادي ، حين ظهرت العربية كلغة شاملة للمنطقة .

- وحملت مريم صفات الأم الرحيمة العذراء الخصيبة ، وحمل السيد المسيح صفات المحبة والسلام والماء ، بينما ظل رمز الطائر الآرامي في هذا الثالوث على شكل الروح القدس الذي يشبه بالطائر بين الآب والابن .

- ومن المؤكد ان المسيحية احدثت تغيراً جذرياً في اللاهوت والطقوس ، ولكن ايقاع البيئة القديمة التي نشأت فيها ، ظلت تنبض في شكل الثالوث القديم/الجديد .

2- الكائنات الخرافية الآرامية

- يحفل التراث الآرامي بانواع كثيرة من الكائنات الخرافية ، فقد تركت لنا الآثار المنقوشة والمنحوتة كماً كبيراً من هذه الكائنات ، التي لا نملك مع الاسف فكرة واضحة عن اسمائها وخرافاتها وقصصها . ولذلك سنقتصر هنا على تحليل هذه المادة الآثارية واستنتاج ما يمكن استنتاجه منها .

- ويمكننا إجمالاً تقسيم هذه الكائنات الى أربعة أنواع أساسية هي :

أ – العفاريت التي هي كائنات حيوانية مهولة بجسد حيواني مركب أو حيواني بشري ليس لها أجنحة وهي تعيش في الاماكن المهجورة .

ب- الجن وهي الكائنات المجنحة سواء كانت حيوانية أم مركبة وتعيش في السماء .

ج- الملائكة وهي كائنات برية الجسم ولكنها مجنحة .

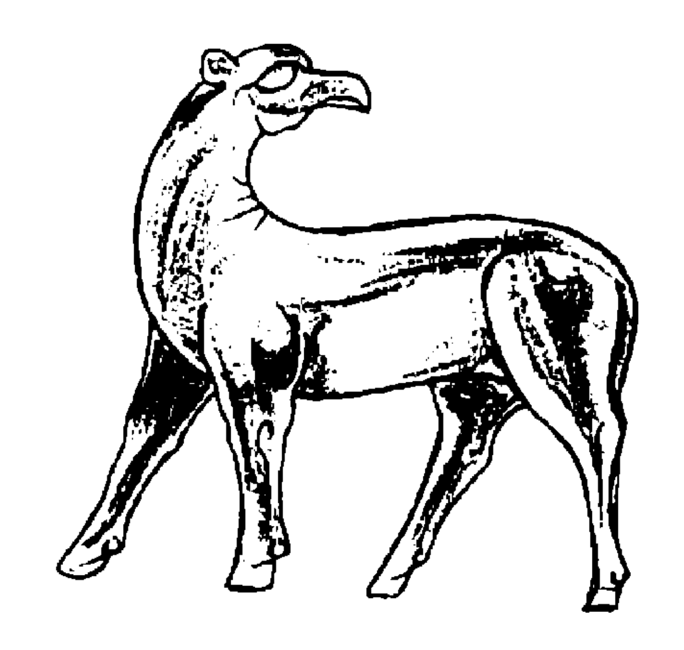
د- والشياطين وهي الكائنات الشريرة سواء كانت حيوانية أم مركبة بأجنحة أو بدون اجنحة .

أ- العفاريت:

- لا نعرف ماذا كان يطلق الآراميون على هذه الكائنات الارضية ، ولا نعرف الاسماء الدقيقة لكل عفريت . ولكننا سنصفها وفق التقسيم الآتي :

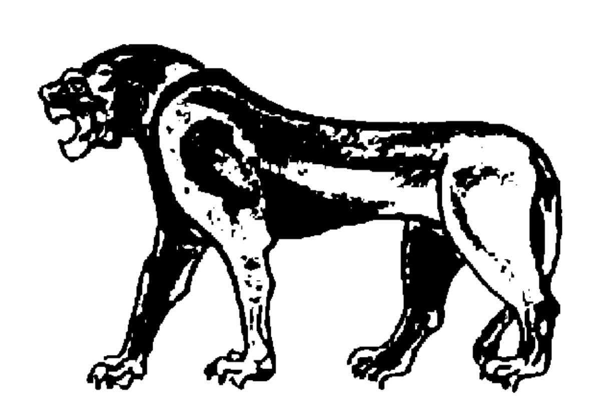
1- **العفاريت الحيوانية** :- وهي الحيوانات المقدسة أو المهولة التي اعتاد الآراميون على التعامل معها من خلال دينهم أو أساطيرهم أو خرافاتهم ، ويمكننا ان نضع الثور على رأسها ، لكن الثور هو رمز وليس عفريت ، فهو رمز الإله (حدد) ، أما الأسد فهو رمز الإلهة (عتر) .

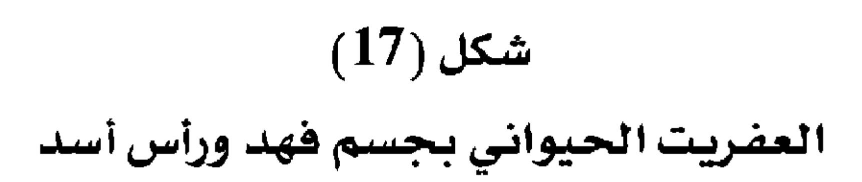
لكننا نلمح بعض الحيوانات العادية في منقوشاتهم ، وهي ليست عفاريت بالمعنى الدقيق . ولذلك نضع الفهد في هذا الحقل ، وخصوصاً ذلك الفهد الذي يمتلك رأساً يشبه رأس الطير بمنقار واضح ، والفهد الذي له رأس أسد .



شكل (16)

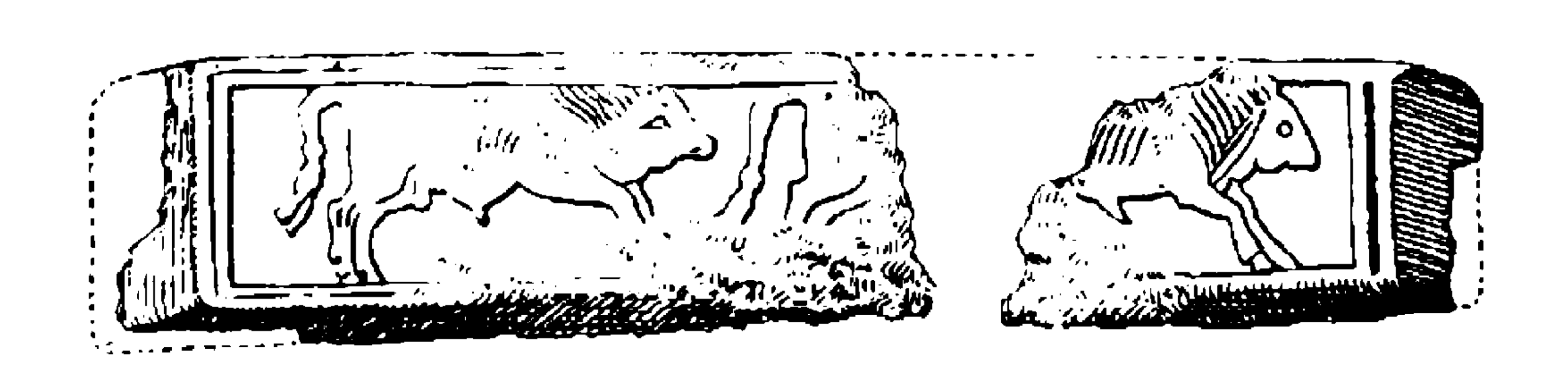
العفريت الحيواني بجسم فهد ورأس طير





شكل (17)

العفريت الحيواني بجسم فهد ورأس أسد



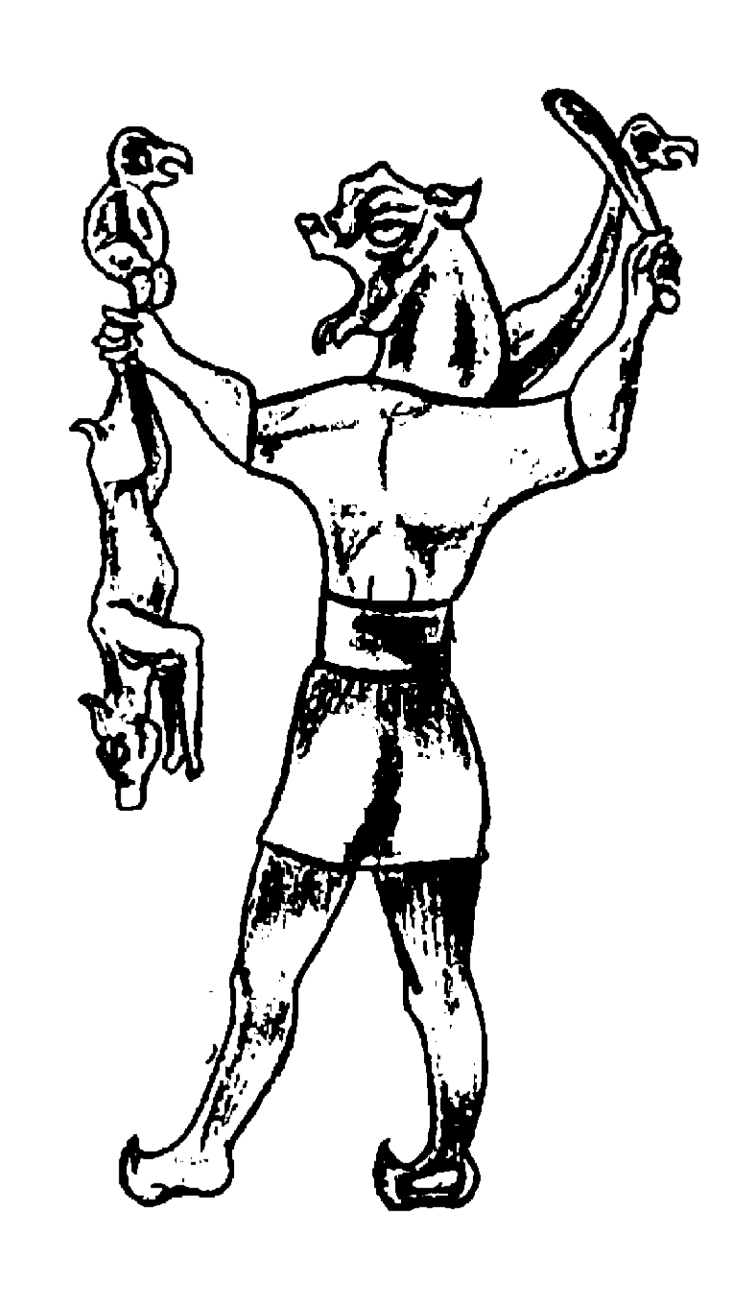
شكل (18)

أبقار تشبه الخنازير

ولا نجرؤ على القول أن هذه العفاريت الحيوانية كانت طواطم آرامية ، بل هي كائنات مهولة وردت في الرسومات والنقوشات وكانت في نسيج القصص الخرافي الآرامي .

2- **عفاريت برأس حيواني وجسد بشري** :- وعثرنا على نوعين منها ، أحدهما برأس اسد يمسك صيداً (ربما كان ارنباً) والطير الآرامي الغامض الشكل على كتفه بينما يقف الطير الآخر على كفه التي تمسك بالفريسة .

أما النوع الآخر فهو برأس فهد وجسم انسان يتبختر بسيف ويمسك هراوة وصيداً والطير الآرامي على كتفه وعلى ذراعه .





شكل (19)

عفريت برأس حيواني (أسد) وجسد بشري

عفريت برأس حيواني (فهد) وجسد بشري

3- **عفاريت برأس بشري وجسد حيواني** :- هذا النوع من العفاريت يتجسد بشكل واضح تماماً في المنقوشة الآرامية التي عثر عليها في تل حلف متأثرة بالفن الميتاني والحيثي ، وهي عبارة عن قرص الشمس المجنح وهو رمز الإله شمس (إله الشمس) ، يحمله عفريتان يمسكان بجناحيه بذراعين مرفوعين ، وبقاعدته التي يتولى منها عمودان مفصصان بذراعين آخرين ، ويظهر العفريتان بتاجين مقرنين أي تاجين إلهيين ، وبوجهين طويلين غريبين بينما يمثل جسدهما الحيواني ثوراً . وفي وسطهما يظهر شخص (ربما كان ملكاً) يرفع ذراعيهما من منطقة المفصل ويساعدهما على مهمتهما في رفع قرص الشمس المجنح .

ويذكرنا هذا النقش بختم الملك (تدخاليا) المنقوش عليه صورة إله حيثي باسم حوري .



شكل (20)

عفريتان يرفعان قرص الشمس المجنح وبينهما شخص قد يكون ملكاً

(نقيشة وجدت في تل حلف)



شكل (21)
ختم الملك الحيثي (تدخاليا)
(متحف الدولة ببرلين)

- وتذكرنا هذه المنقوشة بالاساطير الاكدية والآشورية التي تصور إله الشمس وهو يخرج مرتفعاً من وراء جبل ومعه مساعدان . أو بقرص الشمس الآشوري ، ورمز الإلهه آشور .

ب- الجن:

- وهي الكائنات المجنحة بمختلف انواعها الحيوانية والانسانية والمركبة ، وقد ظهرت بشكل واضح وكبير في الفن الآرامي ، وامتلكت بعضها خصوصية آرامية . وقد ظهرت هذه الكائنات المجنحة مبكرة في المثوجيا السومرية ، ولا نشك مطلقاً أن طائر الصاعقة الذي هو الإله (إم دوجد) أي إله الريح كان مصدراً اساسياً لظهور فكرة الجن عند الاقوام الاخرى ، وقد سمي فيما بعد الطائر (زو) وكان برأس أسد وجناحي طير . ونرجح ان كلمة (جن) هي الاخرى من أصل رافديني وتدل على الريح فقد كان البابليون يسمون هبوب الريح الجنوبية (أولو جن) والشرقية (كورجن) والغربية (مارجن) ، والشمالية (سجن) . وهذا يعني ان الريح لها اجنحة كما تصف ذلك اسطورة آدابا الذي كسر جناح الريح الجنوبية .

- وقد ظهرت الكائنات المجنحة (الجن) بغزارة في التراث الآشوري ولعل أشهرها كائن (اللماسو) وهو الثور المجنح الذي كان يوضع على بوابات المدن الآشورية ليحميها .

- ولا شك أن الأراميين تأثروا بهذه الكائنات واتخذوا من بعضها ما يساعدهم في طرد الشر أو المرض أو الأذى .

ويمكننا ان نقسم هذه الكائنات الآرامية الى الأنواع التالية :

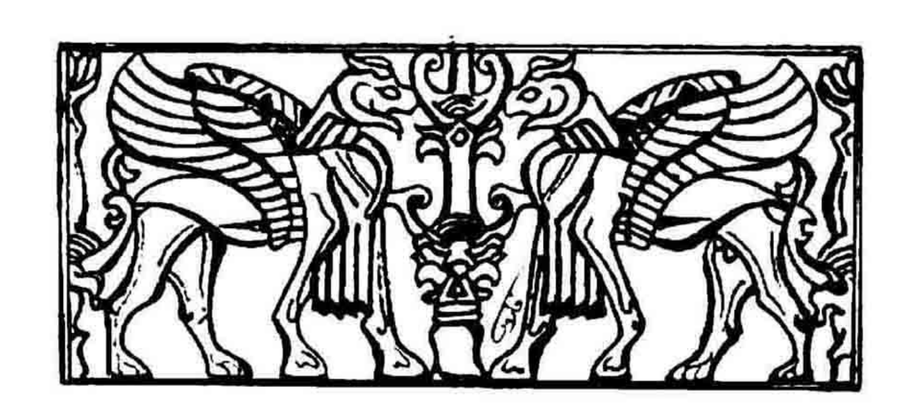
1- **الجن الحيواني (الحيوانات المجنحة)** :- وهي الحيوانات غير الطائرة التي وضعت لها اجنحة كالثور والأسد . حيث نشاهد في المنحوتات الآرامية الثور الآرامي الذي يرمز للإله (حد) بأجنحة وهو يثب على قدميه الخلفيتين بينما يتزين ذيله برأس الطير الآرامي الذي يشير أيضاً الى الإله (حدد) . وبذلك يجمع هذا (الثور الآرامي) رمزي (حدد) الأساسين وهما الثور والطير ، وأحدهما يدل على الخصب وهو الثور ، أما الآخر فيدل على الهواء والعاصفة وهو الطير .



شكل (22)
الثور الآرامي المجنح

- وهناك أنواع أخرى من الجن الحيواني . كالبقرة المجنحة ، والكبش المجنح الذي يظهر بجسد أسد وبصيغة الأنثى والذكر في منحوتة عاجية ، حيث يتقابلان أمام رمز شجري قنديلي لا نعرف عنه شيئاً على وجه الدقة . وهناك حيوان يشبه القط أو الكلب باجنحة وبذيل ينتهي برأس طير مزين بمنقار .





شكل (23)

البقرة المجنحة بجسد أسد الكبش المجنح بجسد أسد



شكل (24)

الكلب المجنح ذو الفم المنقاري

والحقيقة التي تلفت انتباهنا ، أن رغبة الآراميين في اضفاء الشكل الطيري أو المجنح على الحيوانات الأرضية ، يأتي من فكرة ربطها بالصورة الرمزية للإله (حدد) الذي هو إله العاصفة والهواء .

وهو ما يشير أيضاً الى طبيعته المزدوجة التي افصحت عن نفسها في السير الخرافية لإلهات وسيدات الحمام والطيور مثل (سمير أميس وسميرنا وميرنا وبلقيس) .

- فهم لا يتركون فرصة الا ويذكرون بالطير ، حيث يضعون لذيول الحيوانات رؤوس طيور ، ولرؤسها المناقير ، وينصبون على اكتافها الاجنحة ، ولذلك نقول أن ظهور الجان

(الجن) عندهم يمثل حاجة أصيلة ، وليس نقلاً عن تراث من سبقهم أو تأثراً بهم . إذ ان الإله المركزي عندهم هو الإله (حدد) الذي يمثل الهواء والطيران في الهواء ، ولذلك كان لا بد من رفع الكائنات كلها الى مستواه ، عن طريق اعضاء الطير وهي الاجنحة ، الرؤوس المنقارية ، الاقدام ذوات المخالب . وحتى رفع الايادي الى الاعلى كان يشير الى الطير واجنحته .

2- الجن البشري الجسد والحيواني الرأس :

- يمكننا أن نميز صنفين رئيسيين من هذا النواع من الجن ، وهما ذوا الرأس الحيواني المنقاري ، حيث يبدو الرأس وكأنه رأس كبش أو ما عز تتدلى قرونه الى الاسفل على رقبته وله فم منقاري الشكل (تشبهاً بالطير) ، والاجنحة تبدو خارجة من حزام خصره الى الجانبين ، أما بصورة أفقية أو منخفضة أو مرتفعة ، ويتدلى من الحزام ما يشبه الشوكة أو الصاعقة المفردة (وهي من صفات ورموز حدد أيضاً) . ويشير ارتفاع الايادي الى محاولة الطيران إلى الاعالي .



شكل (25)

الجن البشري الجسد، والحيواني الرأس (رأس كبش منقاري) يتدلى رمز الصاعقة من حزامه المجنح

- أما النوع الآخر فهو على شكل ثور (الثور الذي يرمز لحدد) ، والذي يخرج جناحاه من حزامه وكذلك تتدلى من وسط الحزام قطعة تشبه ربطة العنق الرجالية ، لكن ما يميز هذا النوع من الجن هو ظهور السنة اللهب ملتصقة على ساقيه ، وربما يشير ذلك إلى اصله الناري (وليس الهوائي) . . وقد ظهر مرافقاً لإله الجبل الذي ربما كان الهاً للعالم الاسفل ، لكن ما يميز كفوفها هو تكونها من اصبعين كبيرين يشبهان اطراف السرطان البحري .



شكل (26)

الجن البشري الجسد والحيواني الرأس (رأس ثور) ذوي السيقان النارية

3- **الجن البشري الرأس والحيواني الجسد** . وهي على انواع عدة :

أ- **أبو الهول** :- وهو كائن مركب من جسد حيواني له اجنحة ، ورأس بشري (ذكري) تدل عليه لحيته في الغالب . ومتأله اذ يدل على ذلك التاج المقرن الذي يوضع على رأسه . أما جسمه فقد يكون جسم أسد أو ثور (كما في الاشكال المرفقة) :

أبو الهول (من تل حلف) الآرامي



أبو الهول (من شمأل) الآرامي



شكل (27)

- ويتميز شكل أبو الهول الذي عثر عليه في تل (حلف) الآرامي ، بمؤثرات حيثية واضحة وأن جسمه يقترب شبهاً من جسم الاسد . وكذلك ابو الهول (من شمأل) ، الاّ أن العلامة الآرامية المميزة في جعل ذيل الأسد كرأس الطير هي التي تظهر في منقوشة شمأل .

- ولعل الشكل الثالث لأبي الهول نجده في تماثيل اللماسو الآشورية (الثيران المجنحة) وتمثال أبو الهول المصري قرب الاهرام (الاسد المجنح بوجه انسان) وهو يمثل الإله (حور ما خيس) .

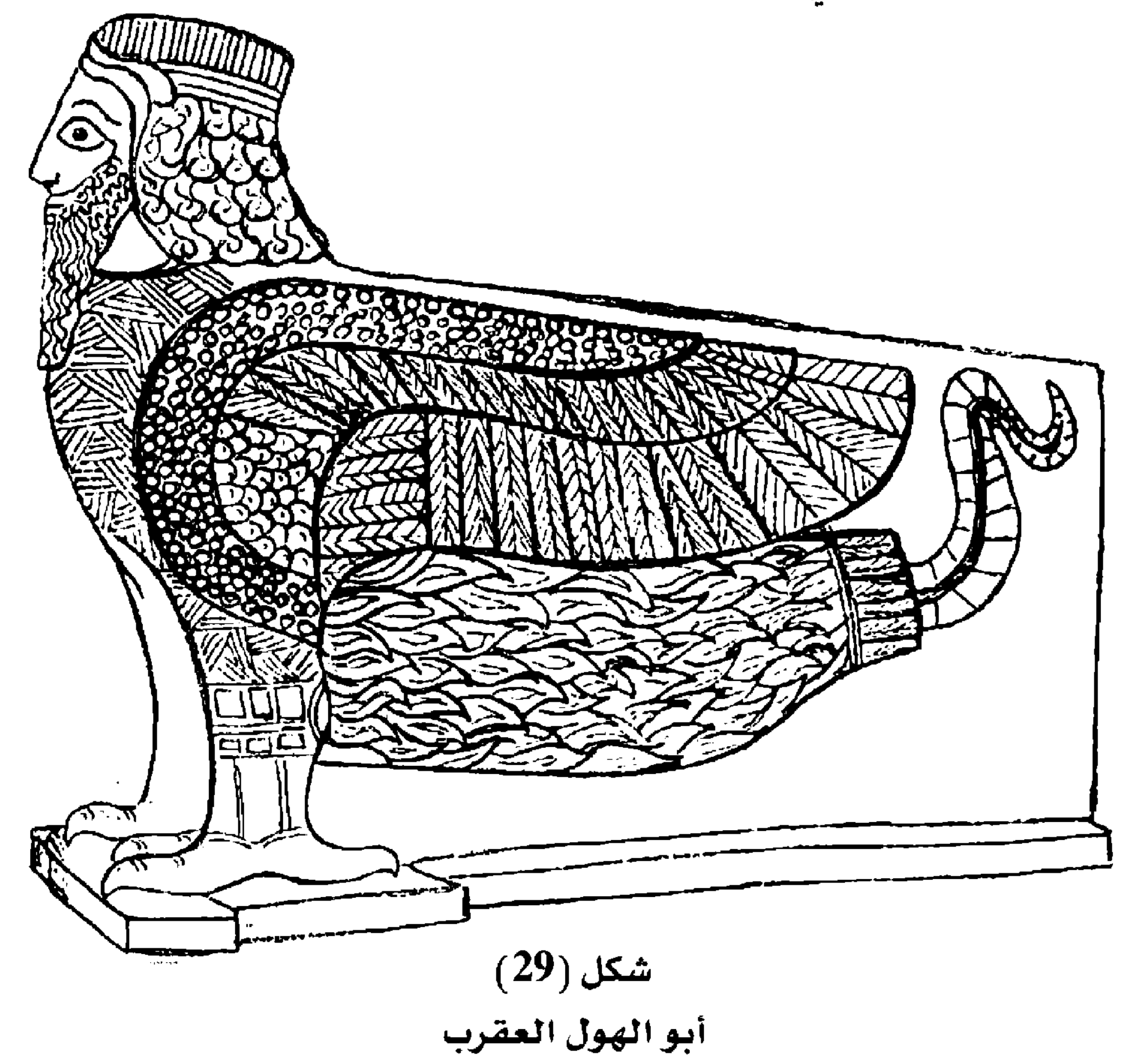
ب- العنقاء :- وهي أنثى أبي الهول ، التي تظهر بجميع صفاته سوى ان الوجه البشري لها هو وجه انثوي . وقد لا تظهر مألهة وكان أبو الهول والعنقاء جِنيينْ يشيران أو يرمزان الى الإلهة (عشتار) في بلاد الشام ، في حين كان الاسد رمزها في بلاد وادي الرافدين . ولذلك نرجح ان تكون هذه الجنية (العنقاء) كائناً حامياً للمدن أو القصور ترافق (عتر) وليس بديلاً عنها .



شكل (28)
العنقاء الآرامية

ج- أبو الهول العقرب :- وهو طائر بوجه ذكر مؤله وجسم عقرب في نهايته خاصة ، وقد عثر عليه يزين بوابة العقارب في مدينة (جوزن) الآرامية ، ويبدو هذا النوع من الجن كإله حام من الأرواح الشريرة . ويختلف هذا النوع من الجن عن ما عرف بـ (الرجل العقرب) السومري والبابلي الذي ظهر في ملحمة جلجامش فهو (رجل عقرب طائر) اذا صح التعبير . وتمتاز أقدام أبو الهول بانها اقدام طائر وفيها شيء من الضخامة .

وقد يجمع هذا الكائن الجني بين الريح والعالم الاسفل والانسان والإله . . فهو كائن خاص جداً يندر أن نجده في مكان آخر .



شكل (29)

أبو الهول العقرب

د- أبو الهول المزدوج الرأس :- يعتبر هذا الكائن من اغرب ما رأينا من الكائنات الخرافية ، فهو يتكون من أسد مجنح برأس وجسد أسد . لكن هناك رأساً إلهياً يخرج من رأس الأسد ويدل عليه وجود التاج المقرن الغريب الشكل ، فهو يتكون من قرنين اساسيين وبداخلهما هرم صغير من ستة قرون تعلوها كرة مميزة . ويظهر الرأس الالهي برقبة من قمة رأس الاسد . ويمتاز رأس الإله بشكل مميز فهو كبير الأنف .

ويظهر هذا الكائن الغريب متوثباً رافعاً يده اليسرى قليلاً . وقد ظهرت هذه المنقوشة ضمن عدد كبير من منقوشات مدينة جوزن الآرامية تشكل مشهداً نحتياً كبيراً مؤلفاً من حوالي (240) منقوشة . ومعروف ان جوزن هي عاصمة مملكة بيت بحياني (آرام النهرين) شمال العراق القديم .



شكل (30)

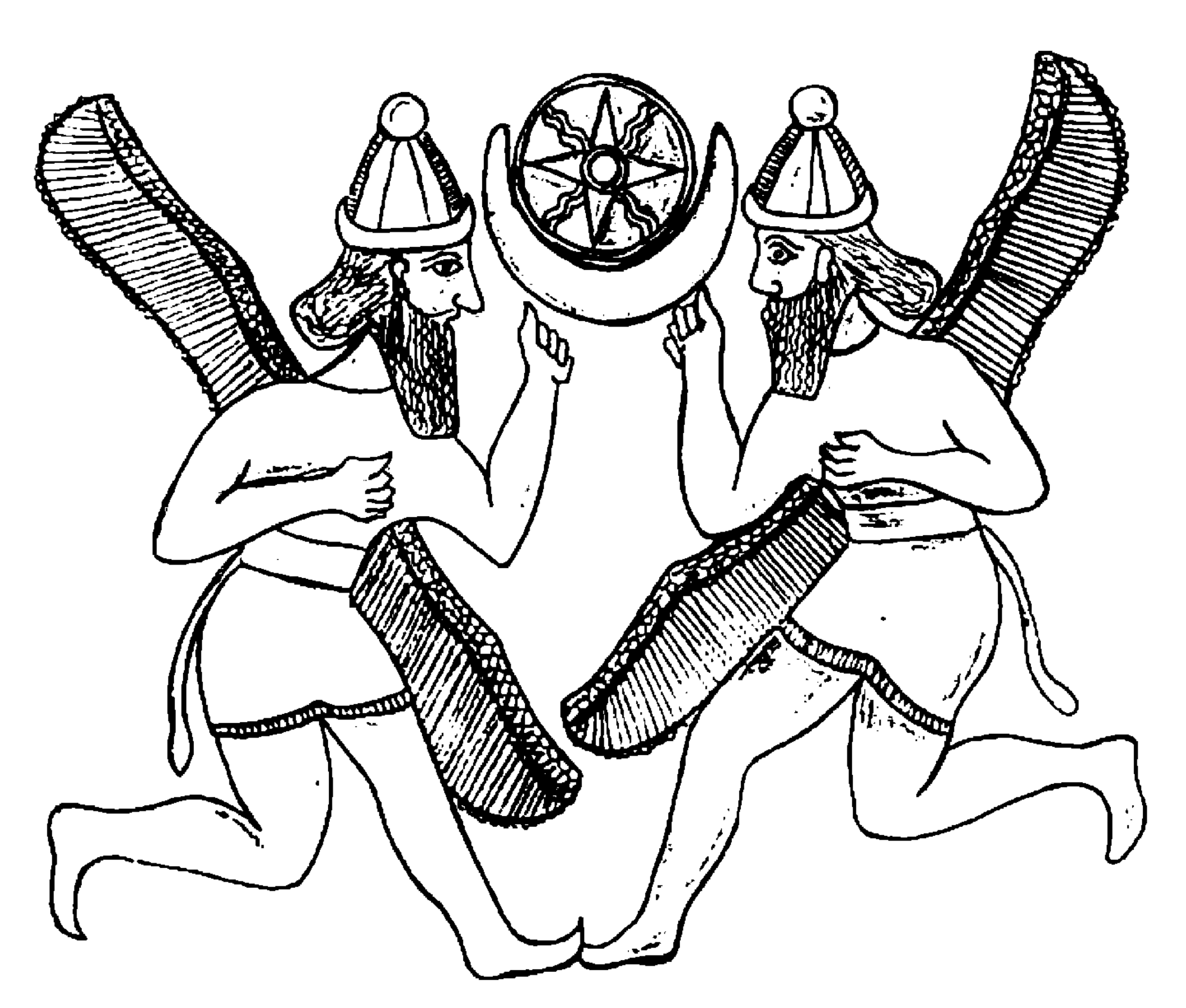
أبو الهول المزدوج الرأس (تل حلف - جوزن)

ج- الملائكة (ملاكي):

- هناك نوع ثالث من الكائنات التي عرفها الآراميون ، وهي الملائكة ويسمونها (ملاكي) . وهي كائنات بشرية الرأس والجسد ولكن لها اجنحة مزدوجة أو ثلاثية أو رباعية .

- ولعل أكثر هذه الأنواع وضوحاً هو اللوحة التي عثر عليها في قلعة حلب ، وربما كانت من بقايا مملكة حلب الآرامية . وهي تظهر ملاكين ، كل منهما يحمل على كتفيه جناحين يحملان الشمس والقمر (هلال في وسطه شمس بثمانية اشعة) . ويظهر غطاء رأسيهما غريباً بعض الشيء فهو مقرن القاعدة وذو عرم ينتهي بكرة في اعلاه .

وربما كان هذان الملاكان مساعدي الالهين الشمس والقمر واللذين يعملان على رفعهما الى السماء .



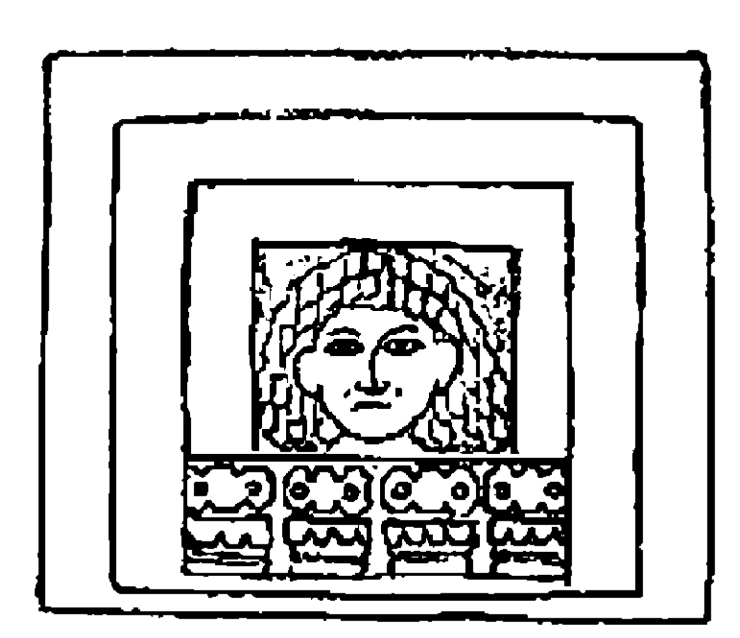
شكل (31)

ملاكا الشمس والقمر

د- الشياطين:

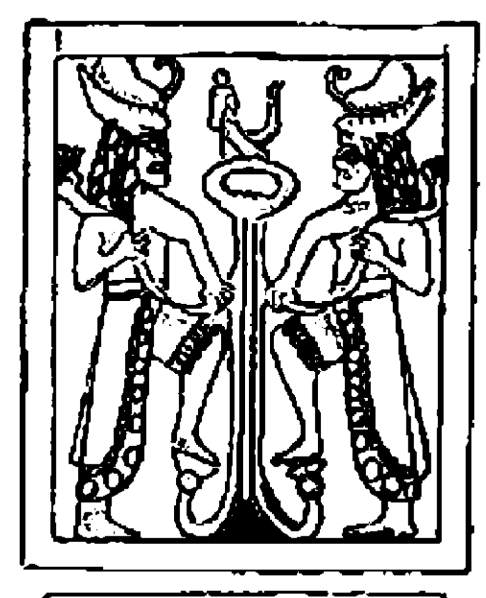
الشياطين كائنات شريرة ، وقد تأخذ اشكال الملائكة والجن أو العفاريت ، ولكنها مؤذية وشريرة . ولذلك قد تكون بأجنحة أو بدون أجنحة او ككائنات مركبة حيوانية وإلهية ..... الخ .

- وقد ظهرت الشياطين في الرسومات الآرامية بهذه الصور المختلفة . ومنها الشيطانة (كليلو) ، التي تظهر بصورة فتاة جميلة تتوسط نافذة . في آثار مملكة خداتو (ارسلان طاش) والتي تعود للقرن التاسع قبل الميلاد ، وتوصف بأنها الوصيفة الأولى (لعشتار) والتي تراقب من خلال النوافذ . وقد صورت مجنحة أو بدون اجنحة ، ترتدي على رأسها التاج المصري المزدوج وتمسك زنبقة بكل يد ، وتشارك في مشهد ولادة رب الشمس . حسب الطريقة المصرية ، ويتألف المشهد من ربتين مجنحتين تحيطان كدابتين بنبتة الزنبق ، التي يجلس على زهرتها رب الشمس اليافع ، ويعبر هذا المشهد عن المعتقد المصري في أن رب الشمس يولد كل صباح من تفتح برعم زهرة الزنبق (انظر ابو عساف 224:1988) .



شكل (32)

الشيطانة (كليلو) في النافذة





شكل (33)

الشيطانة (كليلو) المجنحة

3- رموز المعتقدات الدينيه الآرامية :

- تعتبر رموز المعتقدات الدينية نوعاً من التجريد الشكلي الذي يختزل مضامين معتقدات دينية (إلهية وروحية) تعبر عن نظام ديني معين . وقد ظهرت في جميع المعتقدات رموز مرافقة لها تحاول ان تستبطن شحناتها المختلفة في اشكال مختزلة .

- وتعد الرموز نمطاً أركيتايبياً - Archetypes - تعبر عن النماذج الأولى التي تبغي اللاشعور الجمعي لجماعة دينية تمارس طقوسها دورياً وعلى مر الاجيال .

- وقد ترك الآراميون مجموعة من رموز المعتقدات الدينية التي يمكن ان نصفها كما يلي :

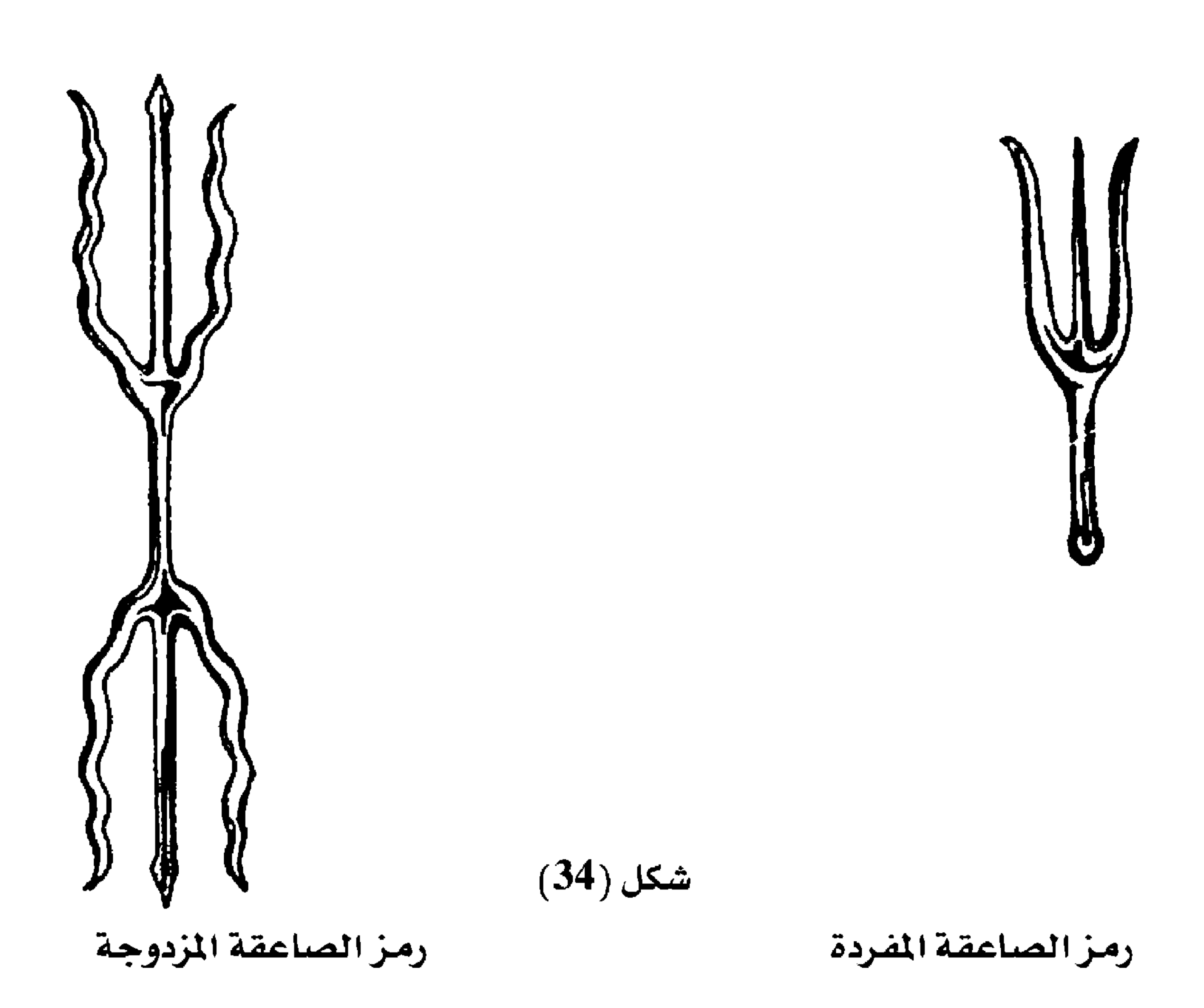
أ- رموز الآلهة:

رموز الإله حدد:

- كانت رموز الإله (حدد) هي الاكثر شيوعاً بين رموز المعتقدات الدينية الآرامية لارتباطها بأهم جوهر اعتقادي عند الآراميين ، هو الإله (حدد) الذي يعد المركز الفريد للآلهة الآرامية . وقد تنوعت هذه الرموز لانها عبرت عن صفات الإله (حدد) وهي كما يلي :

رمـز الصـاعـقـة : وهو أهم رموز الإله (حدد) على الاطلاق ، ورغم ان جميع آلهة الطقس المعنية بالبرق والرعود كان لها هذا الرمز ، إلا أن الرمز الآرامي له صفات خاصة عبر عنها بشكلين . الأول هو الصاعقة المفردة ذات المقبض وتمتاز الاغصان الثلاثة لهذه الصاعقة بأنها منحنية ما عدا الأوسط المستقيم ، وتشبه اغصان الشوكة الزراعية التي كانت تستعمل لتذرية الحبوب في الهواء . أما الشكل الثاني فهو الصاعقة المزدوجة التي لها مقبض وسطي وتمتاز اغصان هذه الصاعقة بتموج متكسر ما عدا الأوسط المستقيم الذي يشبه الرمح .

وبذلك اختلف رمز الصاعقة الآرامي عن رموز الصاعقة الرافدينية القديمة (السومرية ، البابلية ، الآشورية) بشكل الفريد .



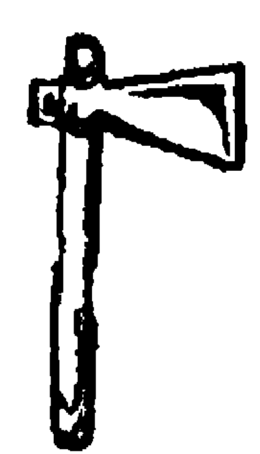
شكل (34)

رمز الصاعقة المفردة **رمز الصاعقة المزدوجة**

- وكان الإله (أدد) يمسك برمز الصاعقة هذا إما بيد واحدة او بيدين ، فاذا أمسكها بيد واحدة أمسك بالاخرى فأساً .

رمز الفأس :

- هذا الرمز قديم جداً ، إذا كان يشير منذ الألف السادس قبل الميلاد الى إله الهواء ، وظهر الفأس المزدوج ليشير الى الإله إنليل السومري (إله الهواء) . ولأن هذه الصفة مرتبطة بالإله (حدد) ايضاً ، لذلك كان الفأس رمزاً له .



شكل (35)
رمز الفأس

رمز الثور :

- كان الثور هو حيوان الإله (حدد) لأن (حدد) كان ثور السماء الذي يسبب الخصب للارض بواسطة المطر ، وكان الثور الآرامي المعبر عن (حدد) ذا شكلٍ خاص ، فقد كان يبدو جانبياً وكأنه وحيد القرن . وكان قرنه معقوف النهاية ، وكان احياناً مدبباً . ويبدو دائماً في حالة توثب وقوة ، والثور كما هو معروف ، رمز ارتبط بالإلهة الأم كصيغة ذكرية لها . ولذلك كان الخصب صفته الاولى ، وكان يظهر الثور تحت قدمي الإله (حدد) رمزاً له .



شكل (36)
(الثور) رمز حدد

رمز الطير :

- كان الطير هو الشكل الحيواني الهوائي الذي يرمز لـ (حدد) ، ويبدو أن النسر لم يكن هو هذا الطائر بل كان طائراً عادياً يمتاز بطول وضخامة منقاره ، ولا نستطيع ان نميز نوع هذا الطائر فهو بين ان يمتلك صفات النعامة وصفات العقاب وذكر الحمام معاً .

وكان هذا الرمز ينشطر احياناً ليرمز الى (حدد) (عتر) معاً ، فإن ارتبط بـ (حدد) كان ذكراً ، وان ارتبط بـ (عتر) كان حمامة على وجه التحديد .



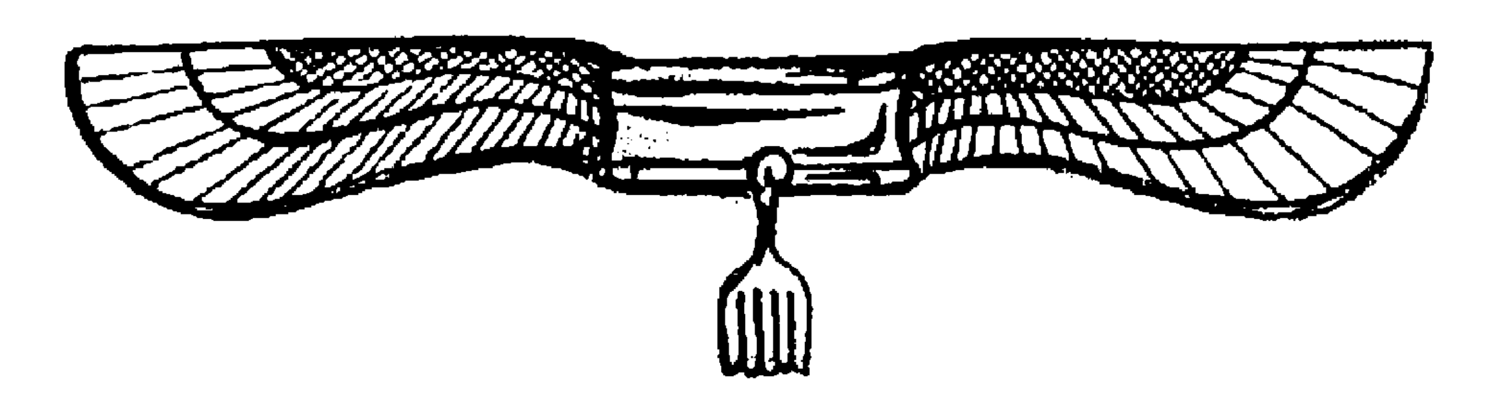
شكل (37)

الطير رمز (حدد) و (عتر)

رمز الحزام المجنح :

- وهو رمز كانت تتوشح به الكائنات الخرافية (العفاريت والجن) المرتبطة بالإله (حدد) ، فهو يتكون من جناحين يبدوان بثلاث طبقات من الريش ، أما الرابط الوسطي بينهما فكان

يحمل شكلاً متدلياً يشير الى الصاعقة التي هي أيضاً رمز لـ (حدد) وهذا رمز فريدكان مرتبطاً بالإله (حدد) .



شكل (38)
رمز الحزام المجنح

رمز التاج المقرن :

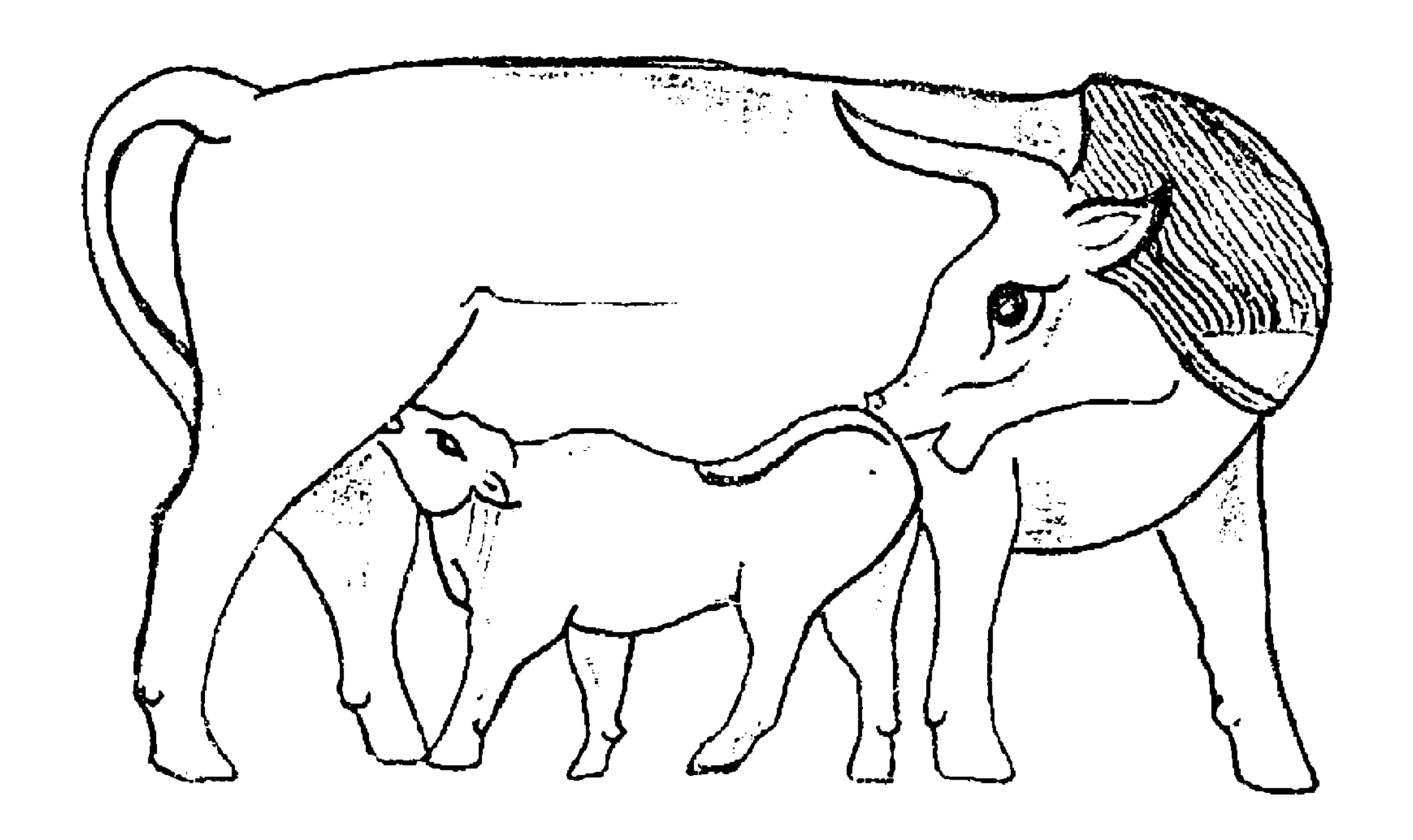
وهو رمز الألوهية بشكل عام ، ولكنه يخص الإله (حدد) ولا نراه على رؤوس آلهة أخرى ،وقد نراه على رؤوس كائنات خرافية مؤلهة تنتمي للإله (حدد) في الغالب ، وكان التاج المقرن الحددي يتكون من ستة قرون ، اثنان منها بارزان .

وقد يدل هذا العدد على العدد الرمزي القديم للإله (أدد) في سومر . التاج المقرن الذي نراه على رؤوس العفاريت ، إذ يبدو بشكل آخر حيث تظهر القرون الأربعة الأخرى مثل ست طبقات تعلوها كرة فيبدو الشكل هرمياً مميزاً .

رموز الإلهة عتر :

البقرة :

- لا شك ان البقرة شكلت المقابل الأنثوي لرمز الثور الحددي ، وهذا يعني انها تمثل الإلهة (عتر) ، وبذلك تأخذ عتر هنا صفة الإلهة الام وليس صفة الإلهة العذراء أو العاشقة التي غلبت على (عشتار) ، فقد عادت (عتر) الى جذورها الأمومي البعيد . وقد تظهر البقرة لوحدها ، ولكنها في الغالب تظهر مع وليدها وهو يرضع منها وهي تراعيه .



شكل (39)
البقرة رمز (عتر)

الأسد :

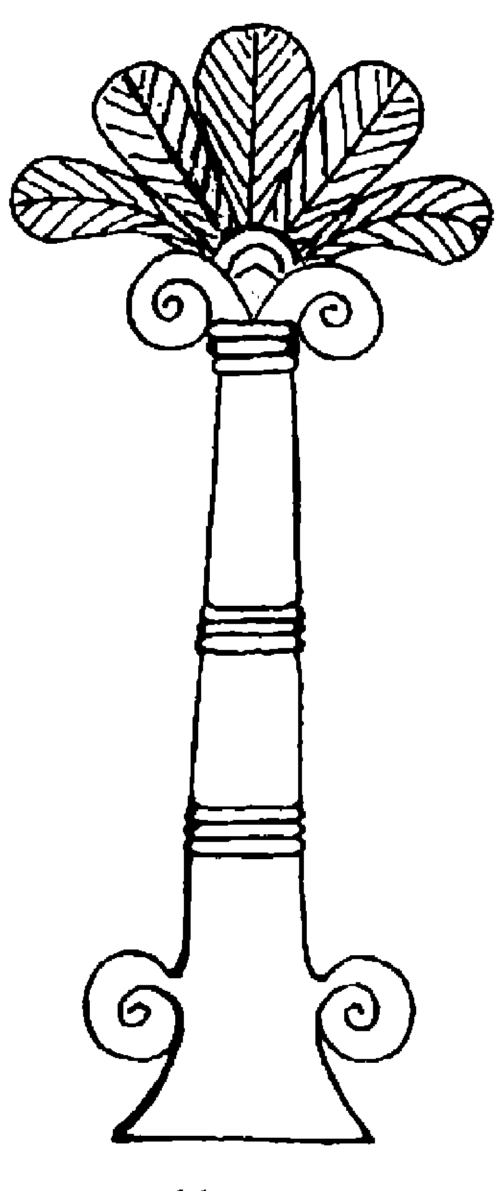
- وهو رمز عشتاري يذكر بالإلهة العذراء العاشقة (عشتار) ، حيث تأخذ (عتر) هنا صفة الإبنة وليس الأم ، وتعبر عن الوجه المحارب الشرس في شخصيتها .

وقد يحل الفهد محل الأسد ليعبر عن (عتر) وهي بهذا الوجه .

ونرى ان (عتر) التي ارتبطت بـ (بعل) كانت محاربة قاسية ، في حين ان (عتر) التي ارتبطت بـ (حدد) القديم كانت تمثل الأم الرؤوم ، أما عتر التي ارتبطت بـ (بعل حدد) وكانت (اترجاتيس) التي حلت فيها كل الصفات الأمومية والعذراوية واتسعت لتشمل الحماية والحظ والشفاعة وغير ذلك .



شكل (40)
الأسد الآرامي رمز (عتر)



شكل (41)
النخلة الآرامية

العنقاء :

- قلنا أن العنقاء (وهي أنثى أبو الهول - رأس امرأة وجسم طائر) ، عبرت عن الإلهة (عتر) الآرامية ، واكثر ما ارتبطت به هو رعايتها لولادة الشمس كل يوم ، وكأنها كانت تشير الى البعث المستمر للحياة أو الضوء .

النخلة :

- كانت النخلة هي الشجرة الآرامية المقدسة وكانت تشير إلى الإلهة (عتر) ، وكان رسم رمز النخلة محدداً ، حيث يبدو جذعها وكأنه عمود أيوني إغريقي ، اذ تظهر في أعلى الجذع وأسفله الطية

الحلزونيـة المزدوجة على جانبي الجـذع ، وتظهر على الجذع ايضاً ثـلاث حلقات ، كل منـها مكون من ثـلاث حلقـات دائرية . ويبـدو الجذع اسطوانياً ولكنه يتـسع عند القـاعـدة قليـلاً ، ويحمل في أعلاه ما يشبـه الثمـرة الجوهرة . أما سعفات النخلة الخمس فتبدو مثل أوراق محززة وتمتاز بالقصر .

- وكانت النخلة مقدسة عند السومريين والبابليين وتمثل شجرة الحياة . ونشير هنا أيضاً الى ارتباط النخلة بطائر الفينيق ، الذي كان يموت فيها ثم تعود اليه الحياة من جديد .

الحمامة :

- نرى أن رمز الطير الـذي كـان يشير الى (حـدد) ، أصبح يشير الى (عتـر) أيضاً ولكنه صـار حـمـامـة ، وقـد تنامى ظهـور هذا الرمـز في المرحلة الهـيلنسـتيـة ، عندمـا سـميت ابنة أو حفيدة (عتر) بمحبوبة الحمام (سـميرام) . وقد تفجرت عن هذه الصفة مجموعة كثيرة من القصص والأساطير ، منها حكاية (سـمير أميس الآشورية) و (سـميرنا السورية) و (ميـرنا الأمازونية الليبيـة) و (بلقيس اليـمانية) ، وارتبطت شخصيـة الاسكندر المقدوني بطريقة غامضة مع هذه الأساطير .

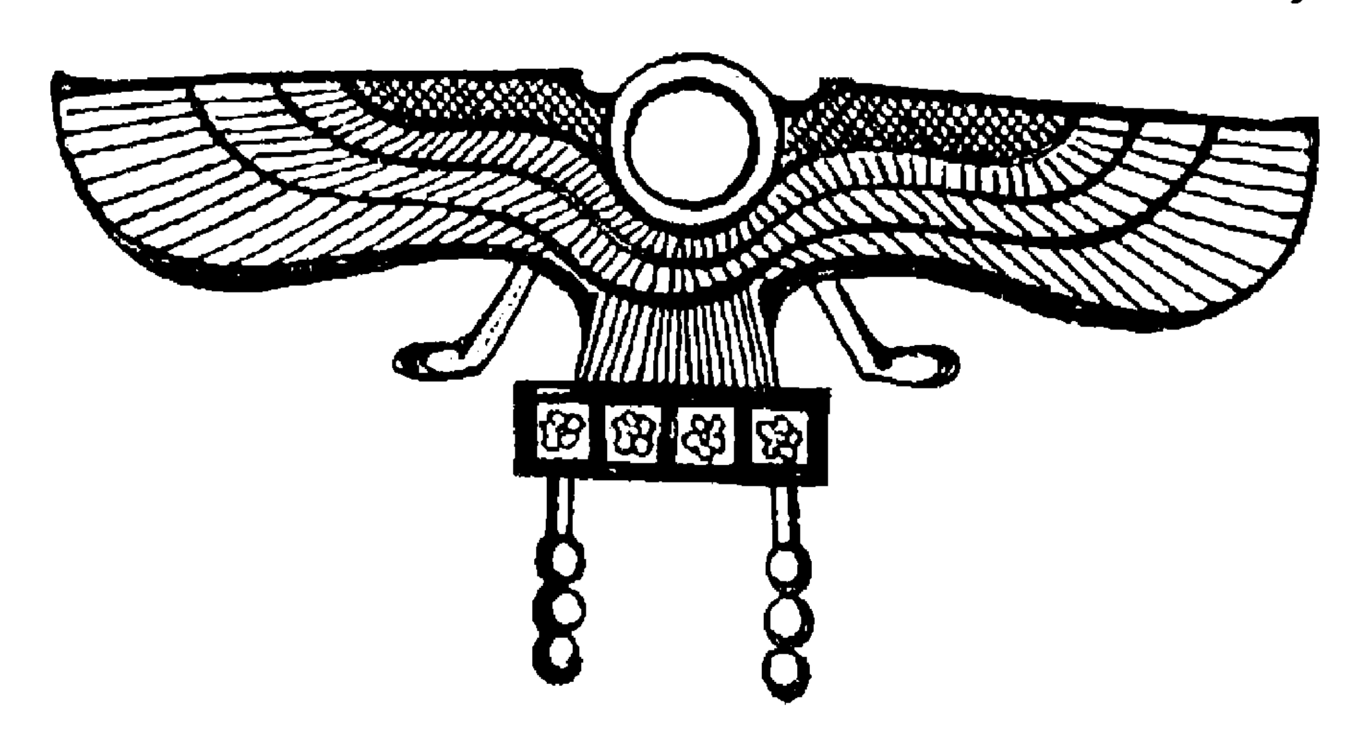
ونرجح شكل الطيـر المبكر الذي ظهر في المنحوتات الآراميـة يقتـرب كـثيراً من شكل حمامة . ولا شك ان الحمامة ارتبطت بطائر الفينيق أيضاً ، والذي عد رمزاً للانبعاث من جديد ويقال أن فـينيق هذا هو بعـينه الطائر الخرافي (بينو) ، الـذي عبـد كـروم (أوزيريس) ، وكرمز للاله (رع) .

رمز الإله شمش:

قرص الشمس المجنح :

يبدو قرص الشمس المرفوع بجناحين جانبيين مكونين من ثلاث طبقات ، وكأنه تقليد لقرص الشمس المجنح المصري للإله (حورس) في (أدفو) . ولكننا لا نستبعد تأثيراً آشورياً متسرباً إليه من رمز الإله (آشور) في القرن التاسع قبل الميلاد .

- ويتدلى من وسط الجناح ما يشير الى قدمين، وكذلك حزمة تنتهي بلوحة مقسمة الى أربع مربعات مزينة بدوائر، ويتولى من كل من المربعين الجانبيين عمود صغير ينتهي بثلاث كرات.



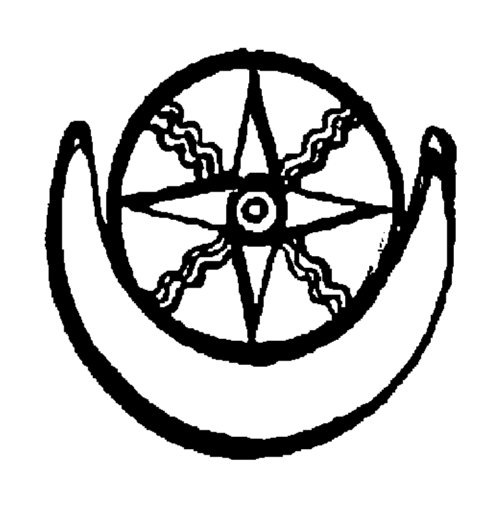
شكل (42)

رمز الإله شمس

- وقد شاهدنا في لوحة سابقة كيف يرفع العفريتان والشخص هذا القرص. ولا شك ان هذا الرمز يشير الى اسطورة ولادة الشمس كنسر في السماء من الشرق، وتألقه نهاراً ثم غروبه بعد السماء.

رمز إله القمر (سن، شاهار):

الهلال وقرص الشمس :- يظهر رمز إله القمر الآرامي في صورة مشتقة من رمز إله القمر السومري (نانا، ننار) في القرن (22) قبل الميلاد، مع اختلاف بسيط في عدد اشعاعات قرص الشمس الآرامي التي اختزلت الى نصفها، عما كانت عليه في الرمز السومري. ويظهر الرمز الآرامي بصورة هلال يحتضن قرص الشمس المكون من ثمانية اشعاعات، أربعة منها مدببة وأربعة منها متموجة بثلاث خطوط.



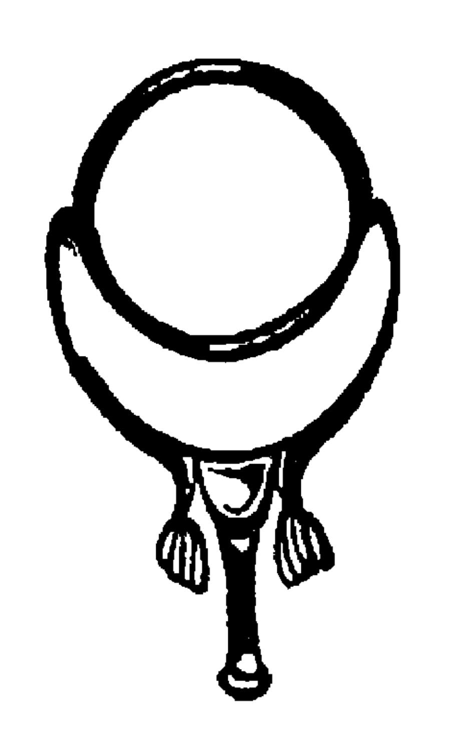
شكل (43)

رمز إله القمر

وقد يحمل هذا الرمز فكرة ولادة المشمس من الإله القمر الأب.

إله القمر الحراني :

- كان إله القمر الحراني مميزاً بسبب رسوخ عبادته في حران ، التي بدت وكأنها عاصمة عالمية لعبادة القمر ، فقد ورثت أور السومرية في عبادة هذا الإله على امتداد الحكم البابلي والآشوري ، ومع ظهور الآراميين ظلت هذه المدينة مركز عبادة القمر ، وقد انتشر رمز إله القمر الحراني في مدن مجاورة حيث يظهر هذا الرمز واضحاً في منقوشة عثر عليها في مدينة زنجيرلي ، يبدو فيها الملك (بار ريكوب) جالساً على عرشه وأمامه سكرتيره ويظهر رمز القمر معلقاً بينهما .



شكل (44)
حبل الصاعقة

ويشبه هذا الرمز الرمز السابق ، الا ان قرص الشمس يبدو مثل كرة يحتضنها الهلال الذي تتدلى منه قطعتان صغيرتان مشرشبتان ، ويظهر وسطهما مقبض لرفع هذا الرمز أو مسكه .

ب- رموز الكهانة :

حبل الحزام (حبل الصاعقة):

- يظهر هذا الرمز كقطع تتدلى من حبل الحزام عند بعض الكهنة ، وخصوصاً المسؤولين عن الموسيقى والحفلات .

ويبدو هذا الشكل وكأنه شوكة الصاعقة التي تشير الى الإله (حدد) وينتهي كل ذراع من اذرعها الثلاثة بثلاثة اذرع صغيرة .

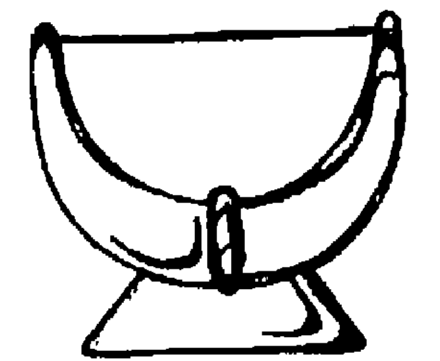
ولا نملك معلومات دقيقة عن هذا الرمز ولا عن استخدامه . سوى ظهوره على بعض المنحوتات بالنقش بارز .

شكل (45)
حبل الصاعقة

الموقد المقدس:

- يظهر الموقد المقدس الذي يستعمله الكهنة وكأنه قرنا الثور الذي يشير أيضاً الى رمز (حدد) .

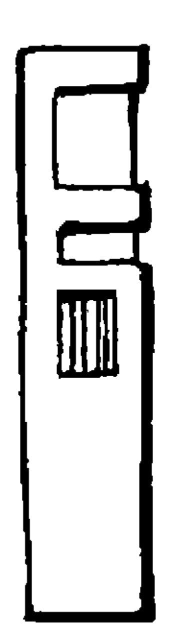
ويبدو أن استخدامات هذا الموقد كانت مخصصة للأعمال الدينية .



شكل (46)
الموقد المقدس

باب المعبد:

يظهر باب المعبد بصورة معينة كرمز للمعبد ، ولا يبدو هذا الرمز عاماً بل يظهر بشكل خاص .



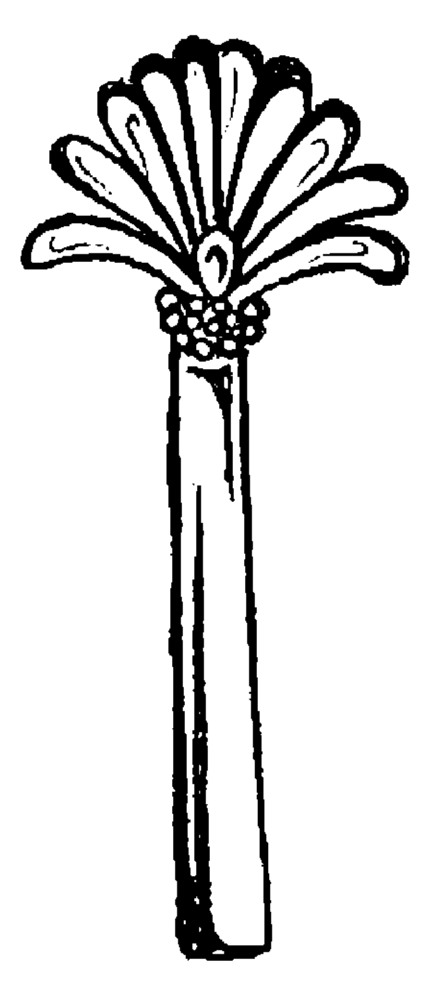
شكل (47)
باب المعبد



ج- رموز السلطة والملكية :

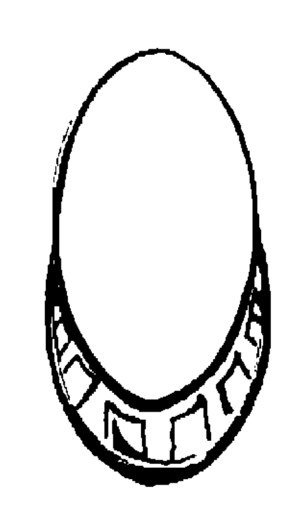
نخلة اليد:

- وهي نخلة صغيرة الحجم كانت تصنع في مواد مختلفة يمسكها الملوك بأيديهم وهي ترمز للإلهة (عتر) ، ولكنها تظهر هنا بعشرة سعفات ، ويبدو جذعها اسطوانياً وتعلوه كرات تشير الى التمر وهناك لب صغير للنخلة يظهر وسط سعفاتها .



شكل (48)
نخلة اليد

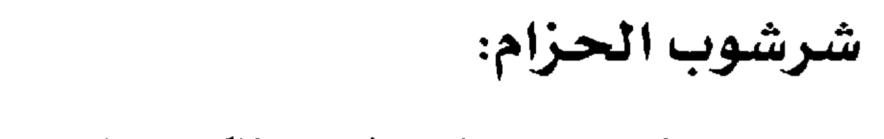
القلادة الملكية:



شكل (49)

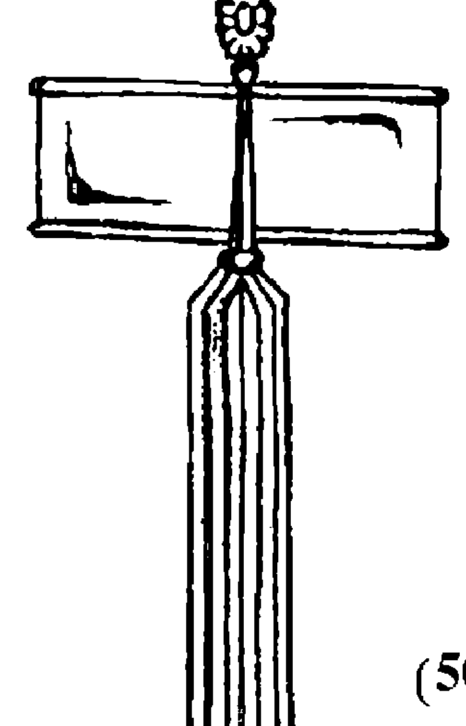
القلادة الملكية

- كـان الملوك يلبسـون قـلادة ربما كـانت للزينة ، ولكنها إحدى الرموز الملكية . وكانت تختلف في شكلها ، ولكنها بصورة عـامة أما على شكل حلقة هلالية مزينة بمقاطع داخلية ، أو على شكل حلقة هلالية تتوسطها حلقة صغيرة ، وترافقها حلقة هلالية أخرى .



شرشوب الحزام:

وهي قطعة متصلة بالحزام الملكي تعلوها من الوسط وردة محززة الأوراق وتتدلى على الثوب ، وهي للزينة ولكنها ربما تشير ايضاً الى الصاعقة المفردة لـ(حدد) مضاعفة الاغصان .

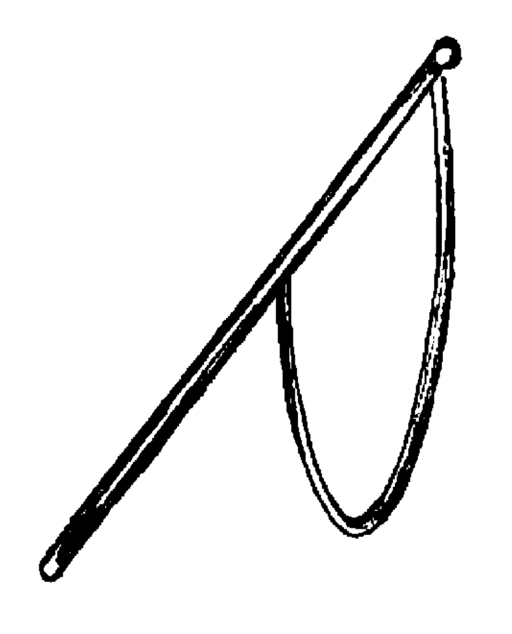


شكل (50)

شرشوب الحزام

السوط:

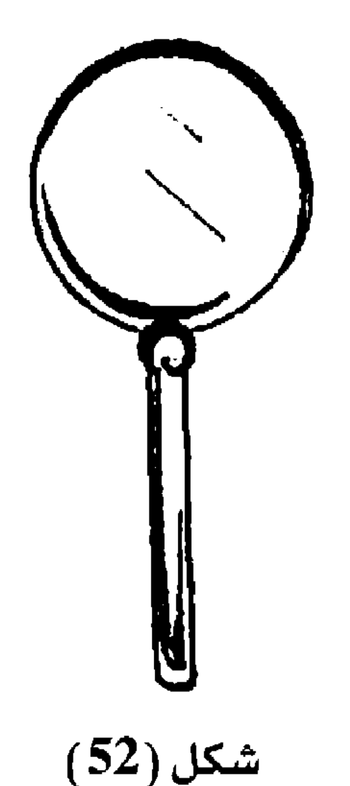
لا يظهر هذا الرمز كثيراً في الاشكال المنحوتة ، ولكنه ربما ظهر معبراً عن القوة والسلطة .



شكل (51)

السوط

المرآة:



شكل (52)
المرآة

ربما ظهرت المرآة مرافقة لبعض الملكات أو النساء بصورة عامة ، ولا نظمنها رمزاً بقدر ما هي حلية مرافقة للمرأة ، وقد ظهرت بشكل طبيعي كمرآة يدوية .

- الأساطير الآرامية ما زالت موضع جدل كبير بسبب غياب نصوصها المفصلة ، ولا يمكننا التكهن بما كانت تدور عليه الاّ من خلال المقاربات الممكنة مع الآساطير الكنعانية والبابلية التي كانت هي الاقرب لها .

ومع ذلك فهناك نص أسطوري في غاية الأهمية هو النص الآرامي الجصي ، الذي عُثر عليه في (دير عَلاّ) في الأردن والذي قام - لبنسكي - بترجمته ودراسته . . ويعتقد ان هذا النص منسوب الى الكاهن الآرامي (بلعام) الذي يعتقد أنه جاء من (آرام النهرين) الى منطقة دير علاّ المؤابية ، وكان يسمى (بلعام بن بعور مؤوّل الاحلام الذي كان قرب النهر) .

والنص عبارة عن قطعتين أسطوريتين قام بترجمتها الى اللغة العربية الاستاذ - عمر الغول (انظر لبنسكي 26:1997) .

- تتحدث الأسطورة الأولى عن رؤيا بلعام ، حيث اجتمع الآلهة الشدايين وخاطبوا الشمس ودعوها الى الغياب وقلب الموازين ، وكأن هذا الحلم انذار قوي من آلهة بلعام الى قومه .

- أما الأسطورة الثانية ، فتتحدث عن عقاب العالم لا بالطوفان المائي ، بل بحرائق النار والعواصف ، وهو ما يتناسب مع ايقاع المثولوجيا الآرامية ، حيث الهواء والنار اساس العالم ومادة خرابه في الوقت نفسه ، عكس الخليقة البابلية التي خلقت من الماء ودمرت بالماء .

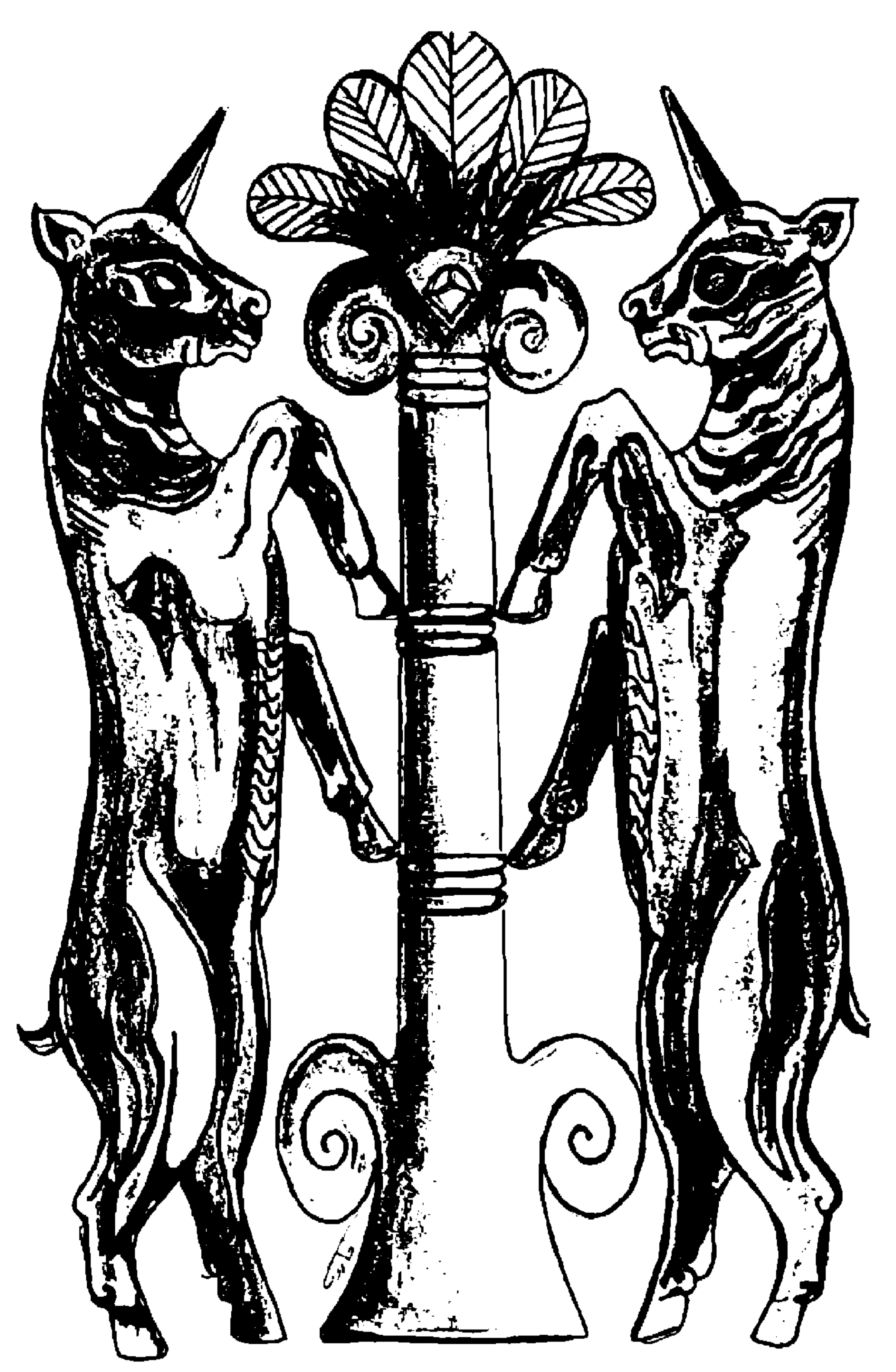
- ولولا أن نص هذه الأسطورة مهشم وناقص لكان واحداً من أندر نصوص العالم القديم التي تتحدث بطريقة مختلفة عن نهاية العالم .

- ويمكننا استشفاف ما ينضح من حكمة الحكيم الآرامي (احيقار) ، لتلمس المثولوجيا الآرامية ، وهو موضوع نتمنى ان نترصده في موضع آخر غير هذا ، رغم اننا نشير الى أهميته الاستثنائية في هذا المجال .

الفصل الثالث

اللاهوت الآرامي

(دراسة في العقائد والأفكار الدينية للآراميين)



«أقــــرض بيت إل عـشـاني لبـيت إل يدع من الفضـة 27 شقلن (مثقالاً)، في السنة الرابعـــة والثلاثين من حكم نبـوخـذنصـر ملك بابـل وجـــعلـني شـــــاهـداً» .

صك قرض مـدون على لوحـة طينية عثر عليها في السفيرة تعود إلى عـام (571 او 570) ق . م . محفوظة في متحف اللوفر

ثوران تتوسطهما النخلة (شجرة الحياة)
رموز (حدد) و (عتر)

تطور العقائد الدينية الآرامية ومراحلها

– إن تتبعنا لأبعد النقاط التي انطلقت منها العقائد الدينية الآرامية ، يضعنا في منطقة يشوبها غموض شديد . ولا اعتقد ان من السهولة امكانية معرفة طبيعة تلك العقائد في مراحلها الأولى . لكننا نستطيع القول ، قياساً على بعض استنتاجاتنا ، ان العقائد الدينية الآرامية القديمة كانت بسيطة جداً ، وكانت تدور حول عبادة إله واحد هو الإله (ور) أو (مر) ، ويبدو ان هذا الإله يرقد قصياً في ذاكرة شعوب منطقة الشرق الأدنى ، والسامية منها بشكل خاص .

– ويأتي ذكره القديم من وادي الرافدين ومصر ، ففي وادي الرافدين يرد ذكره في نصوص ماري من العصر البابلي القديم بصيغة (ور – مر) ويرافق الإله (دجن) و (أدد) فهو إله طقس قديم .

– وفي مصر القديمة نصادف في عبادة إله الشمس (رع) أحد رموز هذا الإله بصيغة الثور المسمى (مرور) (Merwer).

– ونرى أن هذا الإله العتيق كان إلهاً واحداً آمن به الآراميون ، بعد ان انتقل اليهم من الأمويين الذين ربما اكتسبوا اسمهم منه (أمورو) أو (عمورو) .

ولكن الآراميين نزهوا هذا الإله لأزمان طويلة ولم يضعوا معه شريكة او شريكاً .

– ولكنهم عندما عرفوا عبادة الإله (حدد) الإله الواحد جعلوا (ور – مر) أحد أشكاله أو العكس . ومع ذلك ظل الإله حدد إلهاً أحداً لا شريك له .

– ونرى أن نزعة التوحيد عند الأراميين ، كانت هي الغالبة على نزعة تعدد الآلهة ، بدليل ان إلههم (حدد) ظل الى قرون بعد الميلاد هو الإله ذاته . وكانوا يدمجون صفات أي إله قوي بصفاته مثلما حصل مع الإله (إيل) والإله (بعل) الكنعانيين .

– ولعلنا نرى في الآلهة المتعددة التي ظهرت في العهد البابلي الآشوري انعكاساً لتمزق الآراميين في دويلات صغيرة تتأثر بما حولها ، وذلك واضح من تماسهم مع الكنعانيين

والفينيقيين سياسياً وثقافياً . فقد اخذوا عنهم البعول ، ثم دمجوا البعل الرئيسي مع (حدد) فظهر (بعل حدد) .

- ولذلك نميل الى القول أن نزعة التوحيد الآرامية كانت الجذر الأعمق والأعرق للتوحيد في المنطقة . أما التوحيد العبري فاننا ننظر اليه بريبة شديدة ، ونجده متأخراً ومشوباً بالتفريد .

وقد جاء التوحيد اليهودي أكثر تأخراً وعزلة ، ونهل من النزعة الغنوصية للفلسفة الهيلنستية .

- وهكذا يمكننا أن نوصل بيسر التوحيد المسيحي مع التوحيد الآرامي . . ويمكننا أيضاً مقارنة الثالوث المسيحي مع الثالث الآرامي كما مر ذكره .

- إن الوقت ما زال مبكراً للحديث بثقة كاملة حول مثل هذه الموضوعات ، بسبب شحة مادة التراث العقائدي الآرامي . . . ولكنها رغم هذه الشحة توحي لنا بالكثير حول هذا الموضوع .

- إن تفسيرنا لبقاء اللغة الآرامية وشيوعها في منطقة الشرق الأدنى لما يقرب من ألف عام بعد زوال الممالك الآرامية ، ينبع من نفس تفسيرنا لبقاء فكرة ونزعة التوحيد الإلهي عندهم طيلة الفترة ذاتها ، وهي الفترة التي ظهرت فيها الاديان الموحدة الثلاثة (اليهودية والمسيحية والاسلامية) ، ولا نبعدها عن المحيط الزرادشتي الذي كان ينبض بالتوحيد والثنوية معاً .

- وختاماً نرى أن من المفيد اخذنا بنظر الاعتبار مثل هذه الأمور ، لأنه يعيننا في تفسير تاريخ حضارات وعقائد المنطقة . . اضافة إلى أن الإله الواحد في الأديان الموحدة الثلاثة نبع من إله طقسي كالإله (حدد) الذي لم نر له تمثالاً واحداً (صنماً) على شكل بشري ، سوى ذلك التمثال الذي يمسك برمزي الصاعقة ، والذي كان مكتسباً من أديان البعول أو المعتقدات الحيثية والحورية والأكدية وغيرها بدليل شكله الذي يشبهه . وهذا ما يدفعنا إلى القول أن الآراميين عموماً امتنعوا عن وضع الههم في تمثال أو صنم ، لشعورهم بصفاته الوحدانية المطلقة .

المؤسسة الدينية الآرامية

- تتكون المؤسسة الدينية السماوية من الإله الواحد (حدد) ، وما دار حوله من آلهة عرفناها في الفصل السابق . وهي المؤسسة الإلهية .

أما المؤسسة الارضية فقوامها الكهان والمعابد .

الكهان :

- كان الكهنة الآراموين يختلفون في مهامهم وطبقاتهم ، ويصعب علينا القيام بتصنيف دقيق لهم ، ويمكن تقسيمهم حسب الآلهة الذين يخدمونهم ، فهناك مثلاً كاهن الإله (القمر) (سن زير ابني) في مدينة النيرب قرب حلب .

ويظهر الكاهن وهو يخطو نحو اليمين ويرتدي ثوباً ذي طيات وينتهي بنهايات متموجة أو قطع صغيرة وهو يحمل بيسراه رمزاً من رموز الكهانة ، ويرفع يده اليمنى مباركاً .

ولا شك ان هذا الكاهن كان يؤدي طقساً دينياً ، وقد وجدت عليه كتابة آرامية هذه ترجمتها : «التي لسن زيري بن كاهن شهر بالنيرب مات ، وهذه شاهدته وجثته . وانت يا من ينقل الشاهدة والجثة من مكانها فان شهر وشمش ونكال ونسكو ينسخون اسمك واثرك من بين الاحياء . يميتونك موتاً قبيحاً ويقتلونك ويبددوا زرعك . واذا صنت هذه الشاهدة وهذه الجثة ، فان الآلهة المذكورين يصونون الذي لك» (انظر ابو عساف111-112-1988) ولا شك ان كهنة الإله (حدد) كانوا اكبر الكهنة .

- وكان الكهنة وفقاً للتصنيفات الوظيفية ينقسمون الى :-

1- الجامر : وهو اسم الكاهن بصفة عامة ، ويبدو من اسمه انه كان يعتني بالطقوس .

2- كمر : وهو يقترب من اسم ووظيفة السابق .

3- الحازي : وهو الكاهن الذي ينظر في أمور العامة ، ويبدو من اسمه بأنه المتبصر أو الرائي أو المتبنئ (حزو : من احزى الشيء أي أظهره ورفعه ليُريَه) .

وكانت كلمة - حزائيل - تعني نبي الله . وهو اسم ملك من مملكة آرام . فهل كان لقباً أم اسماً؟

٤- الكهنة المنشدون : وهم الكهنة الذين يتزينون بحبل يحمل اشارة الصاعقة كما ذكرنا ، ويمكن ان يكون تمثال أحد الرجال في مدينة جوزن أو تمثالاً لكاهن قدير يظهر بتسريحة خاصة ويضع على مائدته كأساً من الشراب حيث يمسكه بيده .

المعابد :

- يرى الدكتور علي أبو عساف - أن المعبد الآرامي نشأ عن تجانس بين أسلوبين معماريين هما : المعبد أو الهيكل الكنعاني الأموري ، والمعبد العالي أو البيت العالي الآرامي الاصل (كان المعبد في الآرامية يسمى بيت) . وبالرغم من أن المعابد الآرامية نادرة ، إلا أننا سنقوم بشرح احدها ، وهو معبد عين دارا الذي يعتقد انه للإلهة (عتر) زوجة الإله (حدد) ، اعتماداً على ما ورد في كتاب أبي عساف (انظر ابو عساف 1988:186-191) .

- يتكون معبد عين دار من الأجزاء التالية :-

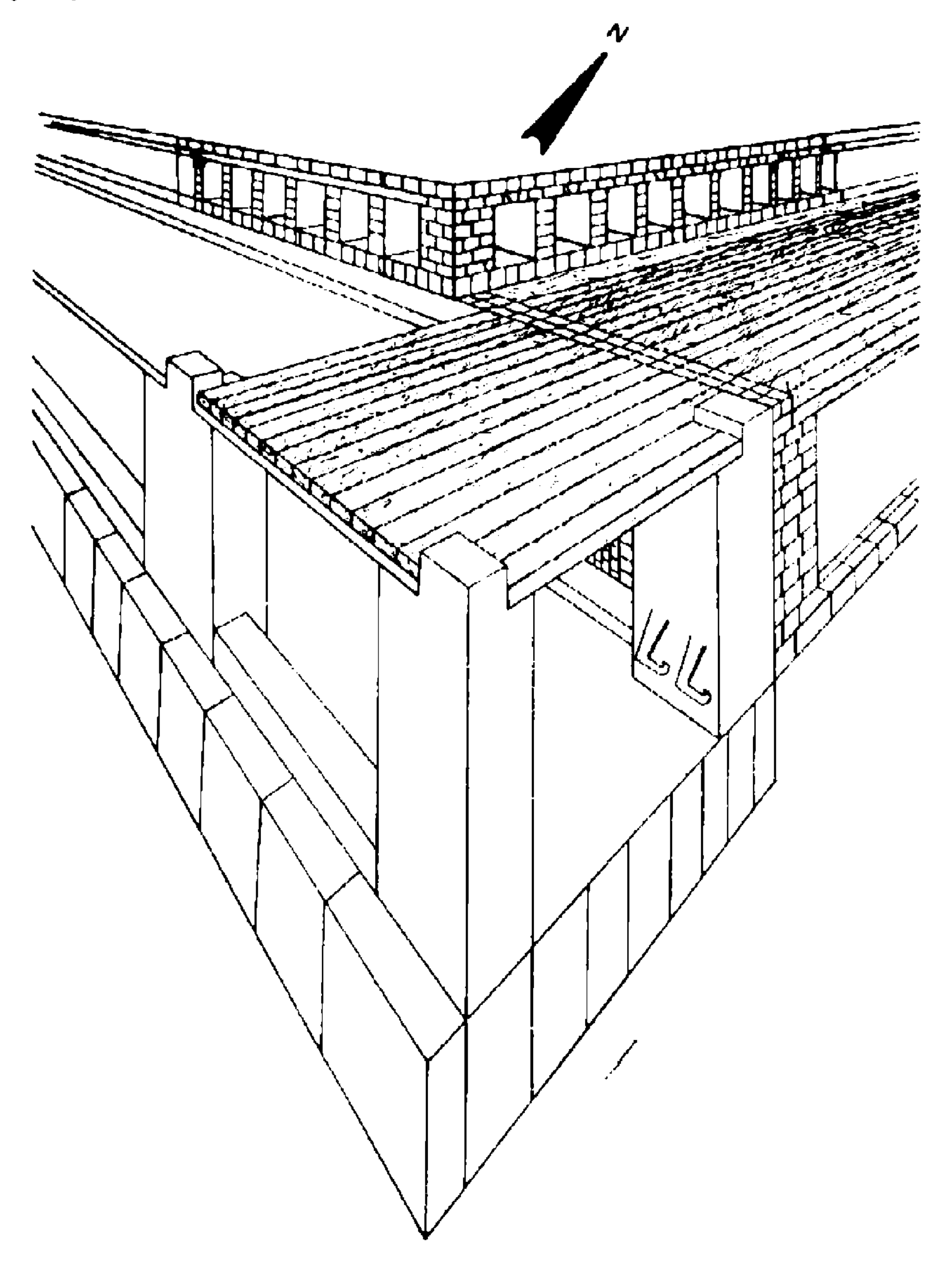
1- الرواق الخارجي المسّقف :

- حيث يرتفع الرواق الخارجي عن مستوى سطح الأرض المجاورة ، بحوالي مترين ، وقد غطيت جوانبه بعدد كبير من اللوحات البازلتية المزينة باشكال الأسود وأبي الهول التي تلتفت نحو اليسار أو اليمين وهي في غاية الجمال .

- وللرواق مدخلان ،أحدهما عند الزاوية الجنوبية ، والآخر عند الزاوية الشرقية للمعبد . وكان للرواق أدراج تربطه بالأرض المنخفضة عنه والمحيطة به .

وقد أقيمت في الرواق أنصاب من حجر البازلت يبلغ عددها حوالي (30) نصباً جعلت متقابلة ، ونقشت عليها مشاهد مختلفة منها :

- اشجار نخيل ، ملك يجلس على العرش ، رجل يقود ثوراً أو يقف لوحده . . . إلخ ، واستخدمت الأنصاب المرتفعة بنحو ثلاثة أمتار كأعمدة لسقف الرواق الذي لم يكن له جدار خارجي ، وكان سقفه أقل ارتفاعاً من سقف المعبد .



شكل (54)

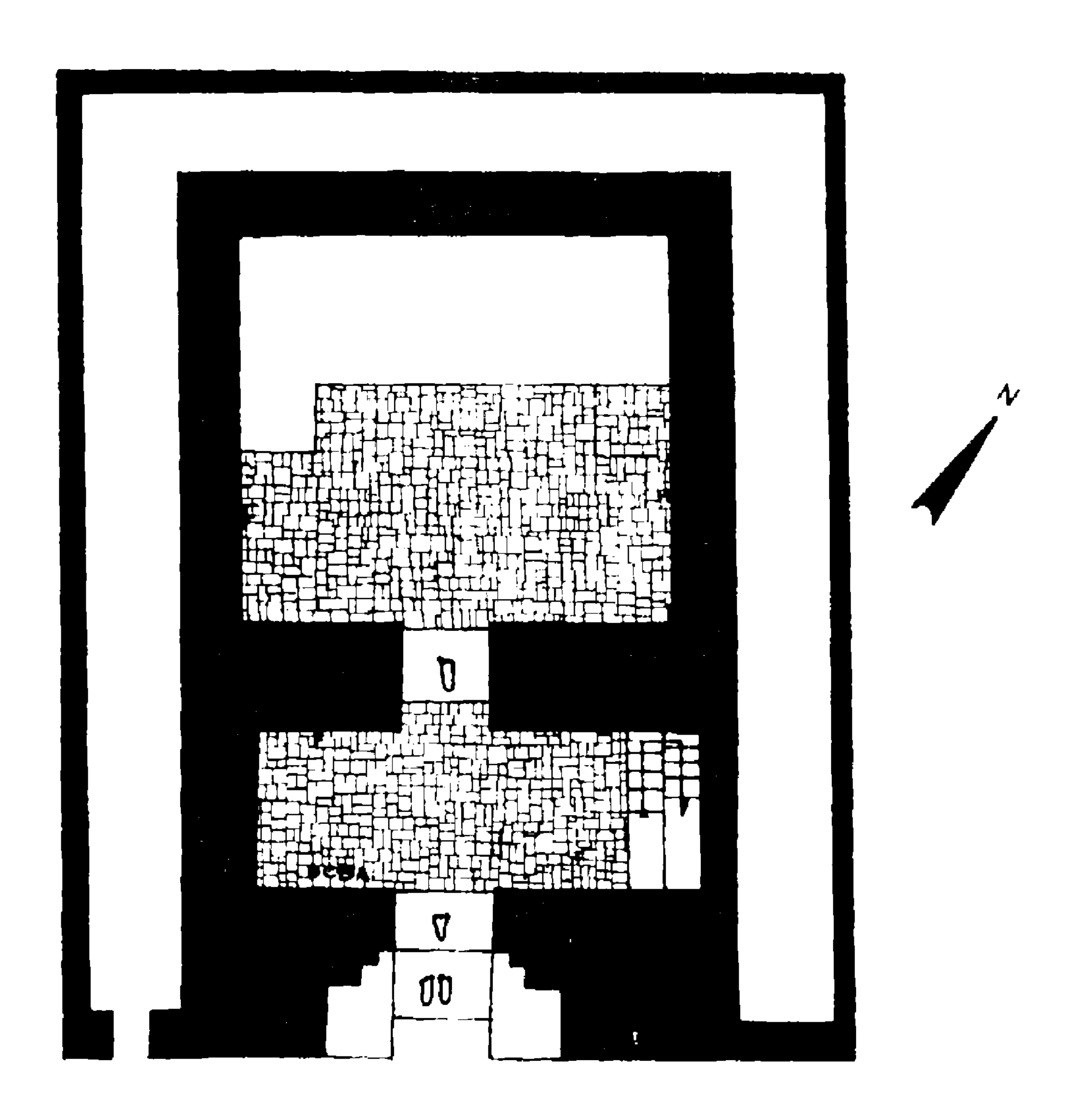
منظور الرواق في معبد -عين دارا-

2- باحتا مدخل المعبد :

وهما باحتان ، الأولى كبيرة مبلطة بلوحات حجرية كبيرة كلسية جصية ، والثانية مبلطة بالبازلت صغيرة وبجانبها حوض من الحجر الكلسي الجصي للاغتسال والتطهر قبل الدخول الى حرم الهيكل .

3- الدرج الخارجي العريض :

الذي يتكون من جناحين ودرج أوسط ، يصعد الجناحان الجانبيان الى شرفتين جميلتين فيهما قاعدتان بازليتان كبيرتان ارتكز عمودان خشبيان عليهما يحملان السقف الخشبي ، أما الدرج الأوسط فيصعد الى العتبتين .



شكل (55)

مسقط معبد - عين دارا-

يحرس الدرج تمثالان للعنقاء (رمز عتر) ، وخلفهما من كل جانب أسدان متقابلان (رمز عتر) ملتفتان نحو اليمين ونحو الشمال . وجيمعها تراقب الزائر للهيكل ، وقد زين الجدار اللبني بلوحات ، ويقف على هذا الجدار نسق من الأسود الجانبية التي يبلغ ارتفاعها نحو مترين ، ويوحي كل هذا المنظر بالهيبة والجلال .

4- عتبتا مدخل الهيكل :

بعد الدرج الاوسط عتبتان كبيرتان من الحجر الكلسي الجيري ، نقشت على الاولى صورة لقدمين بشريتين نعتقد انهما اشارة للمتعبد بالوقوف والتريث (وربما كان ذلك مصحوباً بدعاء أو ترتيل) ، إما الثانية فقد نقشت عليها صورة القدم اليسرى التي نرى انها تدعو المتعبد لتريث ومد القدم اليسرى أولاً قبل اليمنى للدخول الى مدخل حرم الهيكل .

5- مدخل الهيكل :

وهو مدخل صغير محاط ببرجين شامخين يوصل العتبة الثانية بالقاعة الأمامية لحرم الهيكل .

6- واجهة المعبد :

وهي عبارة عن جدار شامخ يتقدم بناء الهيكل يراه زائر المعبد مباشرة ، زين هذا الجدار بمشاهد مختلفة معبرة ، ولها وقع كبير على نفس الزائر .

7- قاعة الهيكل الأمامية :

وهي قاعة مستطيلة الشكل (16 x 6م) ذات أرضية بازلتية سوداء ، وفي الجدارين الجانبيين توجد بلاطات بازلتية ايضاً عليها اشكال (إله الجبل) ، أو ضفائر تفصل بين عوارض بارزة .

8- البرج :

وهما برجان أيسر وأيمن ، ويؤدي الثاني الى بيت الدرج .

9- الدرج والعتبة :

حيث يلتصق الدرج بجدار القاعة الشمالي الشرقي ، فاذا ما صعدناه نصل الى عتبة كبيرة من الحجر الكلسي ، يحيط بها اسدان وبرجان ، وقد نقش عليها رسم القدم اليمنى

للانسان ، وكما نرى أنه يعني أن يقدم المتعبد قدمه اليمنى عند الدخول الى الحرم أو المصلّى .

10- الباب المفتوح للحرم :

وهو باب لا يغلق ووظيفته تنظيم دخول المصلين الى الحرم .

11- الحرم (المصلّى) :

وهو غرفة مستطيلة الشكل تنتهي بسدة يتقدمها محراب ، وتوضع فوق السدة التماثيل ، أما بقية الغرفة فهي للمصلين حيث تزين حائطه نخلة بازلتية ،ونقش عليها زوج من الأشكال الرشيقة التي تشبه الضفائر وتعلوها لوحات مزخرفة ثم الجدار اللبني .

- ومما دل الى كون هذا المعبد للإلهة (عتر) هو العثور على لوحة بازلتية منقوشة لها وهي ترتدي الزي الحربي ، عُثر عليها مقلوبة قرب الزاوية الغربية للقاعة الامامية . ويتضح ايضاً ، من رموز العنقاء والاسود التي تزين المعبد نقوشاً وتماثيل وهي ترمز للإلهة (عتر) .

وقد اكتشف هذا المعبد الشامخ فوق انقاض مدينة تعرف اليوم بـ (عين دارا) والتي ربما كانت مدينة (مررا) في السابق . وتبعد هذه المدينة (٥) كم جنوبي بلدة عفرين وعلى نهر عفرين .

وفي مدينة آفيس قرب حلب اكتشف معبد قديم للإله (ور) أو (مر) إله العواصف الكبير قبل (حدد) .

المندائية: الغنوصية الآرامية

الغنوصية (Gnosticism) وقد ترجمت الى العرفان ، وهي معرفة الاسرار الإلهية عن طريق الذوق والقلب لا عن طريق العقل والحكمة ، وكان الغنوصيون يدعون المعرفة الكاملة لطبيعة الله وصفاته .

وهي من جهة الأديان تشكل عقيدة باطنية قياساً الى العقائد الظاهرية لكل دين . أما من جهة الفلسفة ، فهي فلسفة تمخضت عن خرافات وحكايات اسطورية تتسع لجميع صور المعتقدات الدينية التي تسكن العقل الشرقي ، وعن عبادات وممارسات تطهيرية ترامت

انصابها وآثارها على امتداد الامبراطورية الرومانية ، وصلتها غير مباشرة بتاريخ الفلسفة (انظر برهييه 310:1928) .

ونرى . . خلافاً لما يراه الكثيرون . . أن الغنوصية شرقية المنشأ ، وان تأريخها كنزعة تعتني بالسريّ والباطني يغوص في التأريخ ليصل الى سومر ، التي كانت عقيدتها التموزية عقيدة غنوصية النزعة .

لكن المناخ الذي ظهرت فيه الغنوصية كتيار عقيدة فلسفية كان مناخاً آرامياً وقد ساهم هذا المناخ وهذه النزعة بظهور الأديان التوحيدية (اليهودية والمسيحية) .

- لقد حركت شرارات الفلسفة الإغريقية الوافدة الى الشرق الآرامي والمصري تيارات هذا الشرق العقائدية ، التي كانت نزاعة نحو عبادات الاسرار والغموض . وقد نتج عن ذلك ظهور تيار خليط بين الفلسفة والمعتقد الآرامي بشكل خاص هو الغنوصية .

ولذلك لا نستغرب ان يكون اسم مؤسس هذا التيار هو (سيمون السامر) لأن اسم سيمون هو اسم الابن في الثالوث اللاهوتي الآرامي المتأخر والمتكون من (حدد ، عتر ، سيمون) ، ولذلك نرى ان هذا التطابق بين الاسمين ليس اعتباطياً .

- ولعل ابرز مظاهر الغنوصية الآرامية قد تجلت في العقيدة المندائية ، وهي معتقد صابئة البطائح في جنوب العراق ، حيث كان المناخ الآرامي الهيلنستي في هذا المكان مناخاً مناسباً لظهور مثل هذه العقيدة الدينية ، التي نرى أن لها جذوراً أعمق تصل الى سومر .

- ظهر في الآثار الآرامية ما يشير الى وجود بيت أو إمارة آرامية في جنوب العراق تسمى (بيت يدع) ، ويعني اسمها (بيت الله يعرف) أو (بيت المعرفة) . ويبدو أن هذا الشعب الآرامي العريق الجذور اعاد صياغة عقائده القديمة وفق نوع جديد من العرفان ، اطلق عليه اسم (مندع) أو (مندا) .

و (مندا) والاسم الآرامي للـ (غنوص) إذ أن كلاهما يعني (العرفان) أو المعرفة الذوقية التي تدعي معرفة صفات الله وأسراره .

- وهناك في سوريا تل اسمه (تل النبي مند) لعل له علاقة بالمعتقدات المندائية .

لقد ترعرعت النزعة الغنوصية المندائية في المعتقد الآرامي كما قلنا في جنوب العراق ، في منطقة مملكة ميسان الهيلنستية الآرامية وما حولها ، حيث كان المندائيون ينتشرون في هذه البيئة ، وكان طابع مملكة ميسان الممتدة حتى نهر الكرخة طابعاً إغريقياً هيلنستياً ، لأن مؤسسي هذه المملكة هم من بقايا الجيش السلوقي الذي انحدر الى جنوب العراق وعاش فيه ونسي موطنه . وقد حصل ذلك ما بين القرن الثاني قبل الميلاد والقرن الميلادي الثاني . ولذلك نرجح أن الغنوصية نشأت هنا من مؤثرات إغريقية هيلنستية ، ولكن (بيت يدع) الآرامي هو الذي اعاد صياغة هذه المؤثرات ، بطريقة شرقية محكمة وجديدة .

ونرى أن هذه العقيدة قد انتعشت في القرون الأولى للميلاد وسمي اصحابها بـ (المغتسلة) ، وكانوا ينتشرون من ميسان حتى الكوت وبابل .

وتذكر المراجع التأريخية أن أبا (النبي) ماني كان من هؤلاء المغتسلة ، وأن ماني نفسه قد شب على العقيدة المندائية في بداية حياته ، ثم قام بدمجها مع العقيدتين المسيحية والزرادشتية بطريقة غنوصية ، أدت الى ظهور المانوية التي كان لها شأن خطير في منافسة المسيحية الأصولية منذ القرن الثالث الميلادي .

وتظهر لنا اللغة المندائية كلغة عقيدة آرامية للصابئة المندائيين في جنوب العراق الى يومنا هذا ، وما زال الكهنة يستعملونها في حياتهم الدينية وفي طقوسهم ، وما زالت الكتب المندائية المقدسة مكتوبة بها ، وأكثر هذه الكتب قداسة هو كتاب الـ (كنزا) المكتوب بالمندائية .

- إن عالمي النور والظلام في الديانة المندائية يشيران الى الغنوصية الآرامية القديمة ، حيث كانت الآلهة التي يرأسها (حدد) تنقسم الى آلهة نور علوية وآلهة ظلام سفلية . ويمكننا بنوع من التقصي الدقيق في اسماء كائنات هذين العالمين ، ومقارنتها بالآلهة الآرامية القديمة العثور على الكثير من التوافقات بينها .

- إن نظرية الفيض الإلهي المندائية تشير أيضاً الى العقيدة الغنوصية النزعة ، وهي التي تفسر مصدر العقيدة والمعرفة ، وهي تعاكس العقيدة الدينية الشائعة التي تقول بالوحي .

- وتتضح علاقة المندائية بالغنوصية من خلال قوى النور العشرة ، التي تنحدر عنها الحيوات النورية الأربعة ، وهو ما يذكر بمدارج الصعود والهبوط في الغنوصية حيث يهبط

فيضى العقل من مدارج عشرة ، وتصعد النفس في هذه المدارج العشرة . ويزداد هذا اليقين في معرفتنا لعقائد الموت المندائية ، وتتبع حركة الروح بعد الموت .

- إن عقائد الأسرار هو ما تشترك به المندائية والغنوصية ، حيث تتشكل هذه الأسرار الإلهية وفق رؤىً باطنية سريعة عميقة لا يستطيع الانسان العادي ادراكها . . بل تستوجب نوعاً نادراً من المعرفة الإلهية الخاصة . ولذلك ليس من الغريب ان يسمي المندائيين انفسهم بهذا الاسم لانه يعني بالضبط (المعرفيون) أو (العارفون) أو (العرفانيون) .

- واعتقدُ هنا أن استبدال كلمة الغنوصية بالكلمة السامية مندائية ، هو ما يناسب هذه الكلمة لأن منشأ هذه العقيدة منشأ شرقي آرامي تحديداً ، وكلمة غنوصية كلمة يونانية أو لاتينية لاحقة لنشوء هذه العقيدة .

الزرادشتية وعلاقتها بالمعتقد الآرامي

- نزعم أن الزرادشتية والعقائد الثنوية الفارسية السابقة لها ، كانت على صلة وثيقة بالمعتقدات الرافدينية القديمة ، بل كانت السومرية هي منهلها الأول . فقد اتخذت المعتقدات الإيرانية القديمة من التضاد في شجرة نسل الإله (إنليل) ، التي كانت منقسمة الى عالمي النور والظلام ، الكواكب والعالم السفلي . هذا العالم الهوائي الطقسي ، كان ملهماً للإيرانيين القدماء ، لظهور أول افكار النور والظلام والخير والشر . ثم وسع الإيرانيون هذه الثنوية واتخذوا منها عقيدة أساسية .

ولم تكن تعني حتى زرادشت وجود إلهين فقط ، فقد كانت زوجة إله النور - أهورا مزدا - الإلهة (أناهيت) ، وهناك آلهة أخرى عدا (اهر يمان) إله الظلام .

- إن هذا يعني بوضوح ، ان النظام الإلهي واللاهوتي الإيراني قبل الزرادشتية وبعدها ، كان له علاقة بما يقابله عند العراقيين القدماء ، وهم نظام تعددي وليس ثنوياً فقط .

- وقد كان الآراميون قد تبنوا فكرة عالمين إلهين متضادين هما عالمي النور والظلمة ، ويرأسهما حدد ، و (وليس إله عالم النور كما في العقائد الإيرانية) . ونعني بقولنا هذا ان ايقاع الثنوية أتى بعد ايقاع التوحيد في الآرامية . . ونرى أن القبائل والامارات والممالك الآرامية شرق بابل وجنوب العراق والمتاخمة للحدود الإيرانية ، كانت تؤثر وتتأثر بالعقائد الدينية الإيرانية .

- وكذلك نزعم أن علاقة الدولة الميدية بالآراميين والآشوريين وتسرب العقائد بينهم ، كان له شأن في ظهور الملامح الدينية المشتركة .

وربما نخالف في آرائنا هذه اغلب المتعصبين لأصالة وتأثير التراث العقائدي الآري عبر فارس ، ومنهم لاروس وجريم وتيودور بنفي وغيرهم .

ولكننا نثبت آراءنا هذه من خلال ما تركته لنا مدينة حّران ، من عقيدة ذات طابع ثنوي واشراقي يعتني بعبادة الكواكب ، وقد كانت حرّان منطقة آرامية ظهرت فيها عبادة الإله القمر (سين) مبكراً ، وتكوّن فيها ثالوث كوكبي ، ثم ظهرت عبادة الكواكب السبعة كهياكل نورية .

- إن تراث حرّان يشكل الوجه المعاكس للتراث الآرامي في البطائح .

فبينما انتجت البطائح العراقية في ميسان وحولها غنوصية آرامية متصلة بالماء . انتجت حران في الشمال هرمسية آرامية اشراقية متصلة بالكواكب .

- وهذا ما يفسر في رأينا تسمية الاثنين بالصابئة ، رغم اختلافهما الواضح . فبينما ينزل المندائيون الى مناطق الأسرار والغموض في الماء والهيولي الأولى . . . . يصعد الاشراقيون الهرمسيون الحرانيون الى مناطق الأسرار والغموض في النور والكواكب .

وهذان تياران متضادان ظهرا في الآرامية ، وكشفا عن جوهرهما في عصور لاحقة وصلت الى عدة قرون من بعد ظهور الاسلام .

- إننا نود القول أن الثنوية الآرامية ، أثرت وتأثرت بالعقائد الثنوية الإيرانية ، ولا يهمنا كثيراً البحث عن الأولويات في هذا المجال لكننا نود أن نثبت الصلة هنا .

- لم تتعارض الثنوية الزرادشتية ، عندما شاعت بعد سقوط بابل ، المناخ الآرامي للثقافة واللغة الذي وجدت نفسها فيه ، واعتقد أن ذلك يعود الى ايقاع خفي كان يشترك بينهما ، وكان هذا الايقاع يقبع في الجذر السومري البابلي لكليهما ، حيث تكمن عقيدة النور والظلام واضحة في هذا التراث .

- إن العقيدة الإشراقية الحرانية هي المقابل للعقيدة الغنوصية المندائية ، وهما وجهان متضادان للغنوصية الآرامية ، التي ترتبط بالغنوصية الإيرانية قبل وبعد الزرادشتية .

• • •

- فهل هذا كل ما في المشهد الآرامي؟

- نرى أن المشهد الآرامي اكثر ثراء مما أسلفنا ، لأننا إذا ما فحصنا عقائد الأقوام والمدن التي ظهرت في بادية الجزيرة الفراتية والصحراء العراقية السورية ، فاننا سنرى مشهداً باذخاً .

عقائد ما بعد الموت

- كان الآراميون ، مثل غيرهم من الساميين ، يؤمنون أن الإنسان عندما يموت فإنه يذهب الى العالم السفلي ، وكان القبر مدخلاً لهذا العالم الذي تتجمع فيه أرواح الموتى .

كان السومريون يسمون العالم الأسفل (كور) أو (كيكَال) ، وكان البابليون والآشوريون يسمونه (أرالّو) ، أما المصريون فيسمونه (دوات) ، والعبريون يسمونه (شيؤول) . ولكننا لا نعرف اسم هذا العالم بالآرامية ، رغم ان نعتقد المندائية (وهي معتقدات آرامية غنوصية) ، تخبرنا ان اسم هذا العالم هو عالم الظلام (آلمي دهشوخا) . ولكننا لا نستطيع تعميم مفاهيم المندائية على الآرامية بشكل عام .

- وكان للقبور عند الآراميين حرمتها ولذلك كانوا يحافظون على القبور ، وكانت توضع لهذا الغرض شاهدة (صلم : بالآرامية) . وقد ذكرنا سابقاً كيف وضع كاهن إله القمر في النيرب هذه الشاهدة على قبره ، وحذرّ فيها كل من يمسّها أو يمسّ القبر بسوء ، أو ينقلها الى مكان آخر فإن الآلهة ستقبض على روحه ، وسيميتوه شرّ ميتة وتنقرض ذريته .

وكان هذا التقليد يسري على العامة والملوك ، حيث وضعوا قداسةً لجثة الميت وشاهدته . فقد كانو يخافون من تعريض جثة الميت الى العبث أو التلف ، وكانت جثة الميت تسمى (عرضه ، عرصه) ، لأن ذلك يؤدي الى عذاب روح تلك الجثة في العالم الأسفل وقلقها ، وهو اعتقاد سامي عام .

كان الآراميون يميزون بين الروح ، وهي على قيد الحياة ويسمونها (فنمو) ، والروح بعد الموت أو بشكل عام ويسمونها (روح) .

ويبدو أن طقوس النواح والبكاء على الميت كانت موجودة عند الآراميين ، ويظهر لنا من بعض النصوص بأن فلسفة الموت والحياة عندهم شديدة البساطة والوضوح ، فالحياة التي

نعيشها ونطلبها على الأرض ونسعى الى اطالة أمدها بالتوسل الى الآلهة لتحقيق أمانينا . أما أشد قصاص ينزله الإله بنا فينحصر في الموت المبكر ، والحرمان من كل شيء حتى من القبر ، وكم نتمنى ان نعيش حتى سن الشيخوخة ، مع تمتعنا بنظر ثاقب وبمقدرة على النطق ، محاطين بأطفالنا وأحفادنا (انظر دوبون يومر 1988:190-191) .

لا تخبرنا النصوص الآرامية القليلة عن طبيعة عالم ما بعد الموت بالتفصيل ، كما انها لا تخبرنا عن وجود أو عدم وجود حساب أو عقاب أو ثواب أو جنة أو نار . . . وإذا استعنا بمجمل التراث السامي وقبله السومري ، فإننا لا نرى أثراً لهذه العقائد في فكرها العقائدي . ولذلك نستطيع ان نستنتج أن الآراميين لا يملكون افكاراً عن الحساب والعقاب والثواب والجنة والنار ، فقد اكتفوا بالفكرة البسيطة عن الموت المحتم للانسان وعن نزول الروح سجينةً الى العالم الأسفل .

- وبالطبع فإننا لا نستطيع أن نتكهن بأي شيء أبعد من ذلك . أما الرأي الذي اورده (دوبون / سومر) من أن الصلاة التي يقيمها وارث الملك على روح الملك في معبد الإله (حدد) ، ستعمل على أن تأخذ روح الفقيد (الملك) طريقها بيسر الى العالم الآخر ، لتكون قرباناً للعلي الأعلى وحينئذ يتحقق حلم الوصول الى السعادة الأبدية . ويستشف من هذه الفكرة أن ثمة اتحاداً بين الملك والإله ، وأنه بالرغم من أن الملك ، كإنسان قابل للفناء ، إلاّ أنه يبدو دوماً شخصية خاصة مميزة ومقدسة ، (دوبون - سومر 1988:191-192) .

- إن هذا الرأي يعتمد على المقارنة مع بعض آراء الحيثيين التي يرى (دوبون - سومر) ، أن الآراميين (وخصوصاً في شمأل) اقتبسوها .

ولكننا نرى خطأ هذا الرأي لأنه يخرج عن نظام الاسكاتولوجيا السامية . وهو بهذا يقترب من الاسكاتولوجيا المصرية التي ترى توحد روح الملك بالشمس أو بالإله الأعظم (رع) . . . ونحذر من هذه الأخطاء الشائعة المتعجلة ، وندعو الى رصد دقيق لما تكشفه الآثار والنصوص حول هذا الموضوع .

الفصل الرابع

الطقوس الآرامية

(دراسة في الطقوس والشعائر الآرامية)



مسلّة جنائزية تمثل الكاهن أجبار، عثر عليها في النيرب قرب حلب.

«في اليوم الذي متُّ فيه، توقف فمي عن النطق، غير أني كنت أرى بعيني كيف بكاني الجميع وناحوا عليّ كثيراً بما فيهم الأطفال، الذين انحدروا من صلبي حتى الدرجة الرابعة. ومع ذلك لم يضعوا معي في القبر أية أشياء لازمة مثل النقود والبرونز والطعام، عدا ثوبي الذي ألبسوني إياه قبل وفاتي»

مسلّة الكاهن أجبار (أجبر) كاهن الإله (ساهار) من النيرب مملكة بيت آجوشي

- الطقوس هي الشكل العملي للعقائد الدينية وللأفكار اللاهوتية ، وهي بسبب صيغتها العملية لا النظرية فانها يندر أن تحفظ مدونة ، بل تقوم الممارسات العملية بحفظها عبر الأجيال . ولأن المعتقدات الآرامية مرت بفترات مختلفة تطورت خلالها كثيراً واتصلت بمعتقدات مختلفة . وبسبب من غياب النصوص الآرامية أساساً لذلك ، بات من الصعب الحديث تفصيلياً عن هذه الطقوس والشعائر .

ولكننا نستطيع أن نجمع من بعض الشذرات التي وصلتنا ، ما يدعو الى بيان صورة عامة عن هذه الطقوس والشعائر ونستعرضها كما يلي :-

الصلاة:

- كانت الصلاة طقساً أساسياً من الطقوس الآرامية ، وكانت تؤدى بمختلف الطرق . وكانت الصلاة تسمى بالآرامية (صلاة) وفعل (صلي) يعني (صلّى) .

كانت الصلاة تؤدي في المعبد أيضاً تبركاً ، فقد كان معبد عين دارا مجهزاً بحوض الاغتسال والتطهر ، وهذا يعني أن الاغتسال أو التطهر كان ملزماً قبل الدخول الى المعبد والصلاة فيه .

وكذلك كان يرافق الصلاة في المعبد نوع من الطقوس التي تُشعر المتعبد بالهيبة والتريث والوقار ، مثل وجود شكل القدمين على بلاطة الدخول حيث يتوجب الوقوف والتريث والدعاء ، ثم شكل القدم اليسرى على البلاطة التالية لتشير الى تقديم القدم اليسرى أولاً ثم الدخول الى مدخل الهيكل . وبعد مسافة تلي الدرج هناك بلاطة منقوش عليها شكل القدم اليمنى ، حيث يتوجب تقديم القدم اليمنى ثم الدخول الى حرم الصلاة .

وفي حرم الصلاة (المصّلى) كانت تجري الصلاة جماعية أو مفردة أمام محراب واضح على الجدار الأمامي .

- وكانت الصلاة تؤدى على أرواح الموتى أيضاً في المعابد لكي تستريح تلك الأرواح ، فمثلاً نجد الملك (بانامو الأول) من مملكة (سمأل) ، الذي شيد معبداً ونقش عليه كتابات تقول «لقد شيدتُ هذا المعبد ونصبتُ في داخله تمثالاً للإله (حدد) ، قام بكل ذلك

(باناموا بن قرل) ملك (يؤودي) . وأصدر تعليماته الى من سيخلفه على العرش من أبنائه بعد موته ، أن يصليّ في هذا المعبد من أجله ، وأن يقدم القرابين الى الرب (حدد) وأن يقر بمقدرته على قبض روح باناموا» (دوبون - سومر 191:198) .

ويبدو من هذا النص أن الصلاة تريح روح الميت في العالم الأسفل ، وكان هذا تقليد يسري بين الملوك في الممالك الآرامية .

الدعوات والتراتيل

- كانت الدعوات المكتوبة على شواهد القبور والأحجار والنصب ، تشير الى نوعٍ من الشعائر والتقاليد المتداولة عند الآراميين .

وكانت هذه الدعوات تسمى بأسماء مختلفة مثل (حلمة الفم) أو (كلمات لاحيات) اي اللعنات أو كلمة عمل (أي كلام الغضب) .

- فمن كلمة الفم نأخذ هذا المقطع من نص آرامي من مملكة بيت بحياني من كتابة منقوشة على تمثال الملك (هدد يسعى) المنحوت من الحجر البازلتي :

«لتطول حياته ، ولتستجاب كلمة فمه (أي دعواته) من الآلهة والبشر ، طيبوا الدمية التي صنعت ونصبت قدام الخالد ، قدام هدد ، المقيم من سيكاني ، سيد الخابور ، حيث نصب صنمه هناك . ومن يمحي اسمي من ماعوني .

الذي في بيت هدد سيدي سيدي هددا! خبزه وماءه لا تستقبل من يده . سول سيدتي! خبزه وماءه ، لا تستقبلي من يده ، ولو زرع فلا يحصد ، وألف من الشعير ليزرع ، حفنة ليجني منه . ومئة شاة ليرضعن خروفاً ولا يرتوي ، ومئة بقرة لترضعن عجلاً ولا يرتوي . ومئة نسوة ليرضعن غلاماً ولا يرتوي ومئة نسوة ليضعن بالتنور خبزاً ولا يملئنه .

ومن القلة ليلتقط الناس الشعر ليأكلوه .

ووباء شباط الذي لنرجال لا يبرح بلاده» (ابو عساف 1988:92-93) .

- وفي نص آخر هو عبارة عن معاهدة بين (برجاية) ملك (كتك) و (متع) (إيل) ملك (أرفاد) على حجر بازلتي هرمي الشكل ، ارتفاعه نحو متر وربع المتر . . يذكر النص طبيعة

المعاهدة أمام الآلهة ، والتحالف بين الملكين وأبنائهما وأحفادهما ، ثم يذكر أن كل من لا يحترم ما ورد في هذه المعاهدة ، فان اللعنات ستقع عليه . وهذه اللعنات هي :

«شاة ولا تحمل وسبع مرضعات يمسكن ثديهن ويرضعن غلاماً ولا يشبع . وسبع افراس يرضعن مهراً ولا يشبع ، وسبع بقرات يرضعن عجلاً ولا يشبع ، وسبع شياه يرضعن خروفاً ولا يشبع . وسبع دجاجات يخرجن ليبحثن عن الطعام ولا يجدنه ، وإذا نقض العهد متع ايل مع برجايه ومع ابنائه ومع ذريته تصبح مملكته كمملكة الرمال ، ومملكة الأحلام التي تحكمها آشور .

كلمات لاحيات (= اللعنات) على الأرض والسماء ، وكلام الغضب .

وينزل على أرفاد (حجارة) البرد (اي حب الغمام) ، وسبع سنين يأكل الجراد وسبع سنين تأكل الديديان وسبع سنين يسكن التوي (هلاك المال) على سطح ارضها فلا ينبت الأخضر ولا يظهر الورق ولا أحد يرى مراعيها ، ولا يسمع صوتالكناري بأرفاد» (المراجع السابق : 100/99) .

أما التراتيل فكانت ذات طبيعة ابتهالية موجهة للآلهة ، ومضمونها توسلّي ولأغراض إنزال الرحمة والخصب والتقرب من الآلهة .

تقديم التماثيل

كان التمثال بالآرامية يسمى بعدة أسماء هي :

1- دموتا : دمية وهي للملوك والامراء والناس ، ويسمى أيضاً دموة .

2- صلم : صنم وهو للآلهة .

3- مشكي : وهو تمثال صنم يوضع فيه أو عليه المصباح .

وكان صنع التماثيل والأصنام وتقديمها الى المعبد طقساً من طقوس التقدمات والنذور والهدايا للمعبد .

وكان الصنم المقدم ينقش عادةً بنص يوّضح اسم الإله واحياناً اسم من يقدم هذا للإله .

القرابين

- كان القربان يسمى بالآرامية (قرين) ، وكان يقدم الى الآلهة نذراً أو تقدمة . ولكننا لا نعرف على وجه الدقة ما نوع الحيوانات التي كانت تقدم كنذور ، وما هي الحيوانات المحرم تقديمها .

كذلك يصعب علينا معرفة وجود القرابين النباتية والبشرية من عدم وجودها .

وكان وعاء الأضاحي يسمى الدروق (أدقور) ، وهو وعاء لرش السائل أو الماء .

وهناك أيضاً المجامر التي كانت ترافق تقديم القرابين والأضاحي .



شكل (56)

تماثيل آرامية في المعبد

طقوس الموت

- في الفصل السابق تحدثنا عن عقائد الموت والعالم الآخر ، وهنا سنستعرض ما تيسر من معلومات حول الطقوس الآرامية الخاصة بالموت .

كانت القبور الآرامية قبوراً عادية ، فهي حفر داخل الأرض توضع فيها جثة الميت (عرضه) .

وكان الميت يُلبّس ثوباً أو ربما كان كفناً ويغسل ، ويوضع في تابوت (أرصه) . وكان يوضع على القبر شاهدة (صلم) ، يكتب عليها أحياناً اسم الميت . أما عند الملوك ، فقد كانت الشاهدة تتضمن معلومات عن الملك ، وكانت تحتوي بعض نصوص اللعنات كما اسلفنا .

- ويبدو أن النواح والعويل كان يقام من قبل عائلة الميت ، ويشارك فيه الجميع حتى الأطفال ، إذ يذكر نص مكتوب على مسلة جنائزية تمثل الكاهن (أجبار) ، عثر عليها في (النيرب) قرب حلب ، ويبلغ طولها نحو المتر . وتتألف من نص آرامي بعشرة اسطر ، وتحتها مشهد مائدة ، حيث يجلس الكاهن وبيده إناء وأمامه المائدة التي تحتوي على بعض الأطعمة ، ويقف أمام المائدة من الجانب الآخر خادم الكاهن الذي يحمل مروحةً يرفعها باتجاه الكاهن . وهذه المسلة محفوظة في متحف اللوفر ، وفيما يلي ترجمة حرفية للنص الموجود على المسلة :

«التي لأجبر أكبر كاهن شهر بالنيرب هذه صلمته (شاهدته) لصدقي قدامه أسماني طيباً وأطال أيامي (حياتي) وبيوم مماتي فمي لم ينقطع عن الكلام وبعيني رأيت أنا أبناء الربع (العشيرة) يبكوني .

وهم مهمومون ولم يضعوا معي ماعوناً فضياً أو نحاسياً بلباسي سجوني حتى لا تنقل في المستقبل جثتي من أنت (يامن) تستولي

وتنقلني . . شهر ونكال ونسكو يجعلون صيتته رخيصة وتباد سلالته» (ابو عساف 1988:-112-113) .

وتوضح لنا ترجمة أخرى للنص قام بها دوبون سومر وترجمها ناظم الجندي ، أن الكاهن أجبار كان **«يتباهى ويفخر بذلك العويل والنواح ، اللذين يرافقان جنازته مع المراسيم الرسمية ، حسب الطقوس القديمة . وصورته المنقوشة على المسلة يظهر فيها جالساً وأمامه منصة جميلة في صنعها وزخرفتها وهو يتعاطى الشراب بينما يقف أمامه أحد أبنائه وهو يقدم اليه القرابين الجنائزية ، التي اليها يرجع الفضل في تخليد الفقيد في الحياة الآخرة المكتنفة بالأسرار والغموض»** (دوبون - سومر 191:1988) .

-وفي جميع الأحوال كانت الطقوس المرافقة للوفاة من الغسل والدفن والصلاة ولبكاء وغيرها لا تختلف بصورة عامة عن الطقوس السامية في هذا المجال ولاّ بما هو خاص ومتوارث عند الآراميين حصراً .

الفهارس

1- فهرس المراجع

2- فهرس الأشكال والصور

3- فهرس الجداول

4- فهرس الخرائط

5- فهرس المحتويات

1- فهرس المراجع

1- الأحمد ، د . سامي سعيد : **سمير أميس** . دائرة الشؤون الثقافية العامة . بغداد 1987

2- اذزارد ، د . وجماعته : **قاموس الآلهة والاساطير** . ترجمة محمد وحيد خياطة ، مكتبة سومر . حلب السليمانية . 1987

3- خيم ، د . علي فهمي : **آلهة مصر العربية** حـ2 الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان ودار الآفاق الجديدة ، مصراته - الدار البيضاء . 1990

4- ديودوروس : **نصوص ليبية** . جمع وترجمة علي فهمي خشيم . طرابلس . 1967

5- دوبون - سومر ، أ . : **الآراميون** تعريب ناظم الجندي ، مراجعة وتقديم د . توفيق سليمان .منشورات دار أماني للطباعة والنشر والتوزيع . طرسوس . 1988

6- أبو عساف ، د . علي : **الآراميون تأريخاً ولغةً وفناً** ، دار أماني للطباعة والنشر والتوزيع ، طرسوس . 1988

7- عبد الحكيم ، شوقي : **مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية** ،دار ابن خلدون . بيروت . 1978

8- عبد الحكيم ، شوقي : **موسوعة الفلكلور والأساطير العربية** . دار العودة . بيروت 1982

9- الكتاب المقدس : **العهد القديم** . بيروت . 1983

10- لبنسكي ، إدوارد : **نقش الجص الآرامي عن دير علاّ** . جامعة اليرموك . أربد . 1997

11-لابات ، رينيه : **المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين** ، ترجمعة ألبير أبونا ، د . وليد الجادر . وزارة التعليم العاليم والبحث العلمي . جامعة بغداد . كلية الآداب قسم الآثار . بغداد 1988

12- الماجدي ، خزعل : **متون سومر (التأريخ . المثولوجيا . اللاهوت . الطقوس)** ، منشورات الدار الاهلية للنشر والتوزيع ، عمّان . 1998

13- الماجدي ، خزعل : **الآلهة الكنعانية** ، منشورات دار أزمنة ، عمان . 1999

14- ياسين ، خير نمر : **الآدوميون** . الجامعة الأردنية . عمان 1994

15- Shneidar, Pn.N: **Aram Und Aramaer in der** Ur-III. Zeit. Biblica 1949 (30)

2- فهرس الأشكال والصور

12- إله الجبل .

13- بعل حدد في صورة العجل أو الثور .

14- اثر غاتيس النبطية الآرامية .

15- جوبتر حدد .

16- العفريت الحيواني بجسم فهد ورأس طير

17- العفريت الحيواني بجسم فهد ورأس أسد .

18- أبقار تشبه الخنازير .

19- عفريت برأس حيواني وجسد بشري .

20- عفريتان يرفعان قرص الشمس .

21- ختم الملك الحيثي تدخاليا .

22- الثور الآرامي المجنح .

23- البقرة والكبش المجنحين .

24- الكلب المجنح .

25- الجن البشري الجسد والحيواني الرأس (رأس كبش) .

26- الجن البشري الجسد والحيواني الرأس (رأس ثور) .

27- أبو الهول الآرامي .

28- العنقاء الآرامية .

29- أبو الهول العقرب .

30- أبو الهول المزدوج الرأس .

31- ملاكا الشمس والقمر .

32- الشيطانة كليلو في النافذة .

33- الشيطانة كليلو المجنحة .

34- رمز الصاعقة .

35- رمز الفأس .

36- الثور : رمز حدد .

37- الطير : رمز حدد وعتر .

38- رمز الحزام المجنح .

39- البقرة رمز عتر .

40- الأسد الآرامي رمز عتر .

41- النخلة الآرامية رمز عتر .

42- رمز الإله الشمس .

43- الرمز الآرامي لإله القمر .

44- رمز إله القمر .

45- حبل الصاعقة .

46- الموقد المقدس .

47- باب المعبد .

48- نخلة اليد .

49- القلادة الملكية .

50- شر شوب الحزام .

51- السوط .

52- المرآة .

❖ الفصل الثالث: ثوران تتوسطهما النخلة (شجرة الحياة)

53- مسلة جنائزية للكاهن سان زير أبني عثر عليها في النيرب قرب حلب .

54- منظور الرواق في معبد عين دارا .

55- مسقط معبد عين دارا .

❖ الفصل الرابع: مسلة جنائزية تمثل الكاهن أجبار عثر عليها في النيرب قرب حلب.

56- تماثيل آرامية في المعبد .

3- فهرس الجداول

4- فهرس الخرائط

المحتويات

الفصل الأول
مقدمة تأريخية
(دراسة في التأريخ السياسي والثقافي للآراميين)

الفصل الثاني

المثولوجيا الآرامية

(دراسة في الآلهة والرموز والأساطير الآرامية)

الفصل الثالث

اللاهوت الآرامي

(دراسة في العقائد والأفكار الدينية للآراميين)

الفصل الرابع

الطقوس الآرامية

(دراسة في الطقوس والشعائر الآرامية).

الفهارس

صدر للمؤلف

في حقل المثولوجيا والأديان القديمة

1- سفر سومر/ بغداد 1990

2- حكايات سومرية/بغداد 1995

3- مثولوجيا الأردن القديم/عمّان 1997

4- أديان ومعتقدات ما قبل التأريخ/ عمّان 1997

5- جذور الديانة المندائية/بغداد 1997

6- الدين السومري/عمّان 1998

7-بخور الآلهة (دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين)/عمّان 1998

8-متون سومر/ عمّان 1998

9-إنجيل بابل/عمّان 1998

10-إنجيل سومر/ عمّان 1998

11- الدين المصري/عمّان 1999

12-الآلهة الكنعانية/عمان .1990

في حقل الشعر

1- يقظة دلمون/بغداد 1980

2- أناشيد إسرافيل/بغداد 1984

3- خزائيل/ بغداد 1989

4- عكازة رامبو/بغداد 1993

5- فيزياء مضادة/بغداد 1997

في حقل المسرح (المسرحيات المعروضة)

1- عزلة في الكريستال 1990

2- حفلة الماس 1991

3- هاملت بلا هاملت 1992

4- قمر من دم 1992

5- الغراب 1992

6- مسرحيات قصيرة جداً ١٩٩٣

7- تموز في الأعالي 1993

8- قيامة شهرزاد 1994

9- نزول عشتار إلى ملجأ العامرية 1994

10- أكيتو (الليالي البابلية) 1995

11- مفتاح بغداد 1996

12- أنيما 1997

13- سيدرا 1999

هذا الكتاب

يقدم لنا هذا الكتاب صورةً عن تأريخ وتراث الآراميين عبر أربعة محاور أساسية :

1- تأريخ الآراميين القدامى وقبائلهم ومدنهم وممالكهم التي انتشرت في العراق القديم وسوريا القديمة ، وتتبع حضارتهم عبر اللغة والدين في الشرق الأدنى القديم .

2- المثولوجيا الآرامية : حيث يقدم المؤلف دراسة معمقة في الآلهة الآرامية وشجرة أنسابها والرموز الدينية والأساطير التي صاغت تلك الآلهة والرموز في حكايات مقدسة .

3- اللاهوت الآرامي عبر دراسة العقائد والأفكار الدينية والمؤسسة الدينية الآرامية وعلاقتها بالمندائية والزرادشتية من خلال الغنوص الآرامي وعقائد ما بعد الموت .

4- الطقوس والشعائر الآرامية من خلال الصلاة والدعوات والتراتيل وتقديم التماثيل والقرابين وطقوس الموت .

إنه كتاب يفتح باباً جديداً في كهوف روح الشرق القديم وكنوزه الغامضة .

الناشر